من أكثر الكتب بيعا وانتشارا

د. عائض القرني

لا تحزن

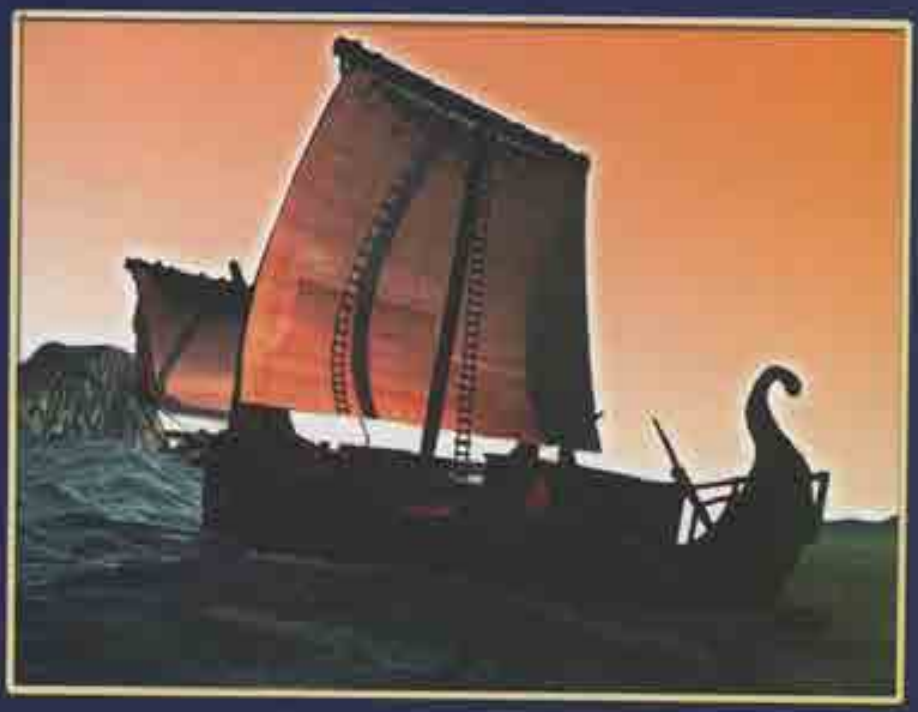

مكتبة العبيكان

د. عائض القرني

لا تحـــزن

مكتبة العبيكان

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة الطبعة الثانية	٢٥
مقدمة الطبعة الأولى	٢٧
يا الله	٣١
فكر واشكر	٣٣
ما مضى فات	٣٤
يومك يومك	٣٦
اترك المستقبل حتى يأتي	٣٨
كيف تواجه النقد الأثم	٣٩
لا تنتظر شكراً من أحد	٤١
الإحسان إلى الغير	٤٢
اطرد الفراغ بالعمل	٤٣
لا تكن إمّعة	٤٤
قضاء وقدر	٤٦
إن مع العسر يسراً	٤٧
اصنع من الليمون شراباً حلواً	٤٨
أمّن يجيب المضطر إذا دعاه	٥٠
وليسعك بيتك	٥١

العوض من الله	٥٢
الإيمان هو الحياة	٥٣
اجن العسل ولا تكسر الخلية	٥٥
ألا بذكر الله تطمئن القلوب	٥٦
أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله	٥٧
اقبل الحياة كما هي	٥٨
تعزّ بأهل البلاء	٥٩
الصلاة... الصلاة	٦١
حسبنا الله ونعم الوكيل	٦٢
قل سيروا في الأرض	٦٤
فصبرٌ جميل	٦٥
لا تحمل الكرة الأرضية على رأسك	٦٦
لا تحطمك التوافه	٦٧
ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس	٦٨
ذكّر نفسك بجنة عرضها السماوات والأرض	٧٠
وكذلك جعلناكم أمة وسطاً	٧١
الحزن ليس مطلوباً شرعاً. ولا مقصوداً أصلاً	٧٣
ابتسم	٧٨
نعمة الألم	٨٦
نعمة المعرفة	٨٩

فنُّ السرور ٩١
ضبْط العواطف ٩٥
سعادة الصحابة بمحمد ﷺ ٩٧
اطرد الملل من حياتكَ ٩٩
دع القلق ١٠١
لا تحزن فإن ربك غافر الذنب وقابل التوب ١٠٤
لا تحزن فكل شيء بقضاء وقدَر ١٠٧
لا تحزن وانتظر الفرَج ١٠٩
لا تحزن وأكْثِرْ من الاستغفار، فإن ربك غفّار ١١٢
لا تحزن وعليك بذكر الله دائماً ١١٢
لا تحزن، ولا تيأس من روح الله ١١٤
لا تحزن من أذية الآخرين لك، واعفُ عمن أساء إليك ١١٤
لا تحزن على ما فاتك، فإن عندك نعماً كثيرة ١١٥
لا تحزن على شيء لا يستحق الحزن ١١٥
لا تحزن واطرد الهمّ ١١٧
لا تحزن ممَّن جحد إحسانك ١١٧
لا تحزن من لوم اللائمين وعذل العُذَّال ١١٨
لا تحزن من قلة ذات اليد ١١٩
لا تحزن مما يتوقع ١٢٠
لا تحزن من نقد أهل الباطل والحسّاد ١٢٠

لا تحزن واختر لنفسك ما اختاره الله لك	١٢٤
لا تحزن ولا تراقب تصرفات الناس	١٢٥
لا تحزن واعرف ثمن الشيء الذي تحزن من أجله	١٢٦
لا تحزن ما دمت تُحسن إلى الناس	١٢٧
لا تحزن إذا صدَّت أذنُك كلمةٌ نابية	١٣١
لا تحزن فإن الصبر على المكاره وتحمُّل الشدائد طريق الفوز	١٣٣
لا تحزن من فعْل الخلق معك وانظر إلى فعلهم مع الخالق	١٣٤
لا تحزن من تعثُّر الرزق	١٣٥
لا تحزن فإن هناك أسباباً تسهل المصائب	١٣٥
لا تتقمَّص شخصية غيرك	١٣٦
العزلة ومردودها الإيجابي على العبد	١٣٧
لا تحزن من الشدائد	١٤١
لا تحزن واقرأ هذه القواعد في السعادة	١٤٢
ولِمَ الحزن وعندك ستة أخلاط؟	١٤٤
لا تحزن إذا أوذيت	١٤٤
لا تحزن وادَّخر لك حسن الثناء بإسداء المعروف إلى الناس	١٤٥
لا تحزن إذا واجهتْك الصعاب	١٤٥
لا تحزن فمعك إخوة ولك محبُّون	١٤٦
لا تحزن إذا حجبك أحد أو اكفهرّ في وجهك عَبوس	١٤٧
خير جليس في الأنام كتاب	١٤٨

أقوال في فضل الكتاب ١٥٠
فوائد القراءة والمطالعة ١٥١
لا تحزن وأنت تعلم أنك ادخرت بمعروفك ألسنة تُثني عليك ١٥٢
لا تحزن لأن هناك مشهداً آخر وحياة أخرى ١٥٤
أقوال عالمية ونُقولات من تجارب القوم ١٥٥
لا تحزن واسأل نفسك هذه الأسئلة ١٥٨
لا تحزن إذا أَلَمّتْ بك حادثة واسأل نفسك ١٥٨
لا تحزن فإن الحزن يحطم القوة ١٦٠
والحزن أيضاً يثير القرحة!! ١٦٠
وإليك بعضَ آثار الحزن ١٦٠
ماذا يفعل الحزن والهم والحقد ١٦١
تناوَل أمورك بهدوء ١٦٢
حسِّنْ ظنّك بربك ١٦٢
إذا هام بك الخيال ١٦٣
ولا تقلق من النصح البنّاء الهادف ١٦٤
لا تتوقف متفكّراً أو متردداً، بل اعملْ ١٦٥
أكثرُ الشائعات لا صحة لها ١٦٦
الرفق يجنّب المزالق ١٦٦
ما فات لن يعود ١٦٧
وابحث عن السعادة في نفسك ١٦٧

الحياة لا تستحق الحزن	١٦٧
لا تحزن ما دمت مؤمناً بالله	١٧٠
لا تحزن للتوافه فإن الدنيا بأسرها تافهة	١٧٢
لا تحزن مع الاعتداء الصارخ عليك	١٧٤
العالم خُلق هكذا	١٧٥
لا تعجب من الأشرار وكثرتهم	١٧٦
لا تحزن إذا كان معك كِسرة خبز	١٧٦
لا تحزن من محنة فقد تكون منحة	١٧٧
لا تحزن لأنك لم تكن مثل فلان	١٧٨
رُبَّ ضارة نافعة	١٨٠
الإيمان أعظم دواء	١٨٢
لا تحزن.. الله يجيب المضطر المشرك، فكيف بالمسلم الموحِّد؟!	١٨٣
لا تحزن فالحياة أقصر مما تتصور	١٨٥
لا تحزن إذا حصلتَ على الكَفاف	١٨٦
الرضا بما حصل يذهب الحزن	١٨٨
إن فقدتَ جارحة من جوارحك فقد بقيتْ لك جوارح	١٨٩
الأيام دُوَل	١٩١
لك أن تخرج في أرض الله الفسيحة	١٩٢
لا تحزن في اللحظات الأخيرة من حياتك	١٩٤
لا تحزن إذا داهمك الموت	١٩٥

لا تحزن من الكوارث	١٩٦
لا تحزن فإن الدنيا أحقر من أن تحزن من أجلها	١٩٨
لا تحزن فأنت مؤمن بالله	١٩٩
لا تحزن إذا أُصبتَ بعاهة، فإنها لن تعُوقك عن التفوق	٢٠٠
لا تحزن إذا عرفتَ الإسلام	٢٠٢
لا تحسب المجد تمراً أنت آكله	٢٠٤
من أسباب السعادة	٢٠٤
مقوِّمات السعادة	٢٠٥
لا تحزن فلن تموت قبل حينك	٢٠٦
ألظُّوا بـ«يا ذا الجلال والإكرام»	٢٠٧
من خاف حاسداً	٢١٢
حسِّن خُلُقك مع الناس	٢١٢
لا تحزن وسوف أخبرك	٢١٣
ومن نتائج المعصية الوخيمة	٢١٤
اطلب الرزق ولا تحرص	٢١٥
اهدنا الصراط المستقيم سرُّ الهداية	٢١٦
عشر زهرات للحياة الطيبة	٢١٧
لا تحزن وتعامل مع الأمر الواقع	٢٢٠
لا تحزن فإنّ ما تحزن لأجله سينتهي	٢٢٥
لا تكتئب فإن الاكتئاب طريق الشقاء	٢٢٦

الاكتئاب بواية الانتحار	٢٢٧
الاستغفار يفتح الأقفال	٢٣٣
الناس عليك لا لك	٢٣٥
رفقاً بالمال	٢٣٦
لا تتعلّق بغير الله	٢٣٧
أسباب انشراح الصدر	٢٣٨
فُرغ من القضاء	٢٤٠
طعم الحرية لذيذ	٢٤٠
سفيان الثوري مخدّته التراب	٢٤١
لا تركن إلى المرجفين	٢٤١
لن يضرّك السبُّ والشتم	٢٤٢
اقرأ الجَمالَ في الكون	٢٤٣
أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت	٢٤٤
لا يجدي الحرص	٢٤٤
الأزمات تُكفّر عنك السيئات	٢٤٤
حسبنا الله ونِعْم الوكيل	٢٤٥
مكوّنات السعادة	٢٤٦
نَصَبُ المنْصِبِ	٢٤٨
هيا إلى الصلاة	٢٤٩
الصدقة سعة في الصدر	٢٥١

لا تغضب	٢٥٢
وِرْد صباحي	٢٥٣
القرآن.. الكتاب المبارك	٢٥٦
لا تحرص على الشهرة فإن لها ضريبة	٢٥٧
الحياة الطيبة	٢٥٧
البلاء في صالحك	٢٥٨
عبودية الإذعان والتسليم	٢٥٩
من الإمارة إلى النجارة	٢٥٩
من أسباب الكدَر والنكد: مجالسة الثقلاء	٢٦٠
إلى أهل المصائب	٢٦٢
مشاهد التوحيد	٢٦٣
اعتنِ بالظاهر والباطن	٢٦٧
وقل اعملوا	٢٦٩
التجئ إلى الله	٢٦٩
عليه توكَّلتُ	٢٧٠
أجمعوا على ثلاثة	٢٧٠
أحلّ ظالمك على الله	٢٧٢
كسرى وعجوز	٢٧٢
مركب النقص قد يكون مركب كمال	٢٧٣
وأخيراً اعترفوا	٢٧٧

لحظاتٌ مع الحمقى	٢٧٨
الإيمان طريق النجاة	٢٧٩
حتى الكفار درجات	٢٨١
إرادة فولاذية	٢٨٢
فطرة الله	٢٨٣
لا تحزن على تأخُّر الرزق	٢٨٤
انغمسْ في العمل النافع	٢٨٥
في حياتك دقائق غالية	٢٨٩
الأفعال الجميلة طريق السعادة	٢٩٣
العلم النافع والعلم الضارُّ	٢٩٤
أكثرْ من الاطلاع والتأمُّل	٢٩٦
حاسبْ نفسك	٢٩٧
ثلاثة أخطاء تتكرَّر في حياتنا اليومية	٢٩٧
خذوا حِذْركم	٢٩٨
اكسبِ الناس	٢٩٩
تنقَّلْ في الديار واقرأ آيات القدرة	٣٠٠
تهجَّد مع المتهجدين	٣٠١
ثمنك الجنة	٣٠٣
الحب الحقيقي	٣٠٤
لا تحزن فالشريعة سهلة ميسرة	٣٠٥

أُسس للراحة	٣٠٦
احذر العشق	٣٠٧
حقوق الأُخوّة	٣٠٩
أسرار في الذنوب ولكن	٣١٠
اطلب الرزق ولا تحرص	٣١٠
شريعة سمحة	٣١٢
لا تخف إنك أنت الأعلى	٣١٣
إياك وأربعاً	٣١٣
اسكن إلى ربك	٣١٤
كلمتان عظيمتان	٣١٥
من فوائد المصائب	٣١٥
العلم هدىً وشفاء	٣١٦
عسى أن يكون خيراً	٣١٦
السعادة موهبة ربانية	٣١٧
الذكر الجميل عمر طويل	٣١٧
أُمّهات المراثي	٣١٨
ربٌّ لا يظلم ولا يهضم	٣٢١
اكتبْ تاريخك بنفسك	٣٢٣
أنصت لكلام الله	٣٢٤
كلٌّ يبحث عن السعادة ولكن	٣٢٧

نعيم وجحيم	٣٣٩
ألم نشرح لك صدرك	٣٣٠
مفهوم الحياة الطيبة	٣٣١
إذن فما هي السعادة؟	٣٣٤
إليه يصعد الكلم الطيب	٣٣٦
وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى	٣٣٨
دعوة المظلوم	٣٤٠
قلتُ: بالباب أنا	٣٤٠
لابدَّ من صاحب	٣٤١
الأمن مطلب شرعي وعقلي	٣٤٢
أمجاد زائلة	٣٤٣
اكتساب الفضائل أكاليل على هام الحياة السعيدة	٣٤٥
الخلد والنعيم هناك لا هنا	٣٤٦
أعداء المنهج الرباني	٣٤٧
حقيقة الدنيا	٣٤٩
مفتاح السعادة	٣٥١
كيف كانوا يعيشون	٣٥٢
أقوال الحكماء في الصبر	٣٥٣
حسن الظن بالله لا يخيب	٣٥٥
يدرك الصبور أحمدَ الأمور	٣٥٦

أقوال في تهوين المصائب ٣٥٨
لا تحزن إن قلَّ مالك ٣٥٩
لا تحزن واعلم أنك بواسطة الكتب يمكن أن تنمي مواهبك ٣٥٩
لا تحزن واقرأ عجائب خلق الله في الكون ٣٦٠
يا الله.. يا الله ٣٦٦
كل يوم هو في شأن ٣٦٧
لا تحزن فإن الأيام دول ٣٦٧
هذان خصمان اختصموا في ربهم ٣٦٨
لا تحزن فيُسَرّ عدوك ٣٦٨
تفاؤل وتشاؤم ٣٧٠
لا تحزن أيها الإنسان ٣٧٢
تعزَّ بالمنكوبين ٣٧٦
ثمرات الرضا اليانعة ٣٨٣
رضاً برضاً ٣٨٣
مَن سَخِطَ فله السُّخْط ٣٨٤
فوائد الرضا ٣٨٤
لا تخاصم ربك ٣٨٥
حكم ماضٍ وقضاء عدل ٣٨٥
لا فائدة في السخط ٣٨٦
السلامة مع الرضا ٣٨٦

السخط باب الشك	٣٨٧
الرضا غنىً وأمن	٣٨٨
ثمرة الرضا الشكر	٣٨٨
ثمرة السخط الكفر	٣٨٨
السخط مصيدة للشيطان	٣٨٩
الرضا يُخرج الهوى	٣٩٠
الإغضاء عن هفوات الإخوان	٣٩١
الصحة والفراغ واغتنامهما في طاعة الله	٣٩٤
الله وليُّ المؤمنين	٣٩٥
إشارات في طريق الباحثين	٣٩٧
الكرامة ابتلاء	٣٩٨
الكنوز الباقية	٣٩٩
همة تنطح الثريا	٣٩٩
قراءة العقول	٤٠١
وإذا مرضتُ فهو يشفين	٤٠١
خذوا حذركم	٤٠٤
فتبينوا	٤٠٤
اعزم وأقدم	٤٠٤
ليست حياتنا الدنيا فحسب	٤٠٥
التواري من البطش حلٌّ مؤقت	٤٠٦

أنت تتعامل مع أرحم الراحمين	٤٠٩
براهين تدعوك للتفاؤل	٤٠٩
حياة كلها تعب	٤١٠
الوسطية نجاة من الهلاك	٤١١
المرء بصفاته الغالبة	٤١٢
هكذا خُلقت	٤١٣
لابدَّ للذكاء من زكاء	٤١٣
كن جميلاً ترَ الوجود جميلاً	٤١٥
أبشرْ بالفرج القريب	٤١٦
أنت أرفع من الأحقاد	٤١٧
العلم مفتاح اليسر	٤١٨
ما هكذا تُورد الإبل	٤١٩
أشرح الناس صدراً	٤٢٠
رويداً رويداً	٤٣٠
كيف تشكر على الكثير وقد قصرت في القليل	٤٣١
ثلاث لوحات	٤٣٢
اطمئنوا أيها الناس	٤٣٣
صنائع المعروف تقي مصارع السوء	٤٣٤
استجمام.. يعين على مواصلة السير	٤٣٦
مسارح النظر في الملكوت	٤٣٩

خطوات مدروسة	٤٣٠
أرجوك بلا فوضوية	٤٣١
ثمنك إيمانك وخُلُقك	٤٣٢
يا سعادة هؤلاء!	٤٣٤
ويا شقاوة هؤلاء!	٤٣٥
رفقاً بالقوارير	٤٣٦
بسمة في البداية	٤٣٧
حبُّ الانتقام سمٌّ زعاف في النفوس الهائجة	٤٤٠
لا تذُبْ في شخصية غيرك	٤٤٢
المكظومون في انتظار لطف الله	٤٤٣
احرص على العمل الذي ترتاح له	٤٤٤
كلاً نُمد هؤلاء وهؤلاء	٤٤٤
ومن يؤمن بالله يهد قلبه	٤٤٦
المنهج وسط	٤٤٩
لا هذا ولا هذا	٤٥٠
من هم الأولياء؟	٤٥١
الله لطيف بعباده	٤٥٢
ويرزقه من حيث لا يحتسب	٤٥٤
وهو الذي ينزّل الغيث	٤٥٥
عوَّضه الله خيراً منه	٤٥٦

إذا سألت فاسأل الله	٤٥٧
الدقائق الغالية	٤٥٨
من لنا وقت الضائقة؟	٤٦٠
من قصص الموت	٤٦٠
لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون	٤٦٢
ضلَّ من تدعون إلا إيَّاه	٤٦٣
فربما صحَّت الأجسامُ بالعلل	٤٦٤
وللأولياء كرامات	٤٦٥
كفى بالله وكيلاً وشهيداً	٤٦٦
أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة	٤٦٨
وإن من شيء إلا يسبح بحمد ربه	٤٧٠
ارضَ عن الله عز وجل	٤٧٣
هتاف في وادي نخلة	٣٧٨
جوائز للرعيل الأول	٤٧٩
الرضا ولو على جمر الغضا	٤٨١
اتخاذ القرار	٤٨٣
اثبت أُحُد	٤٨٦
كما تدين تدان	٤٨٨
ضريبة الكلام الخلاَّب	٤٩٠
الراحة في الجنة	٤٩١

الرفق يعين على حصول المقصود	٤٩٣
لا ينفعك القلق شيئاً	٤٩٧
الراحة مع الكفاف	٤٩٨
توقُّع أسوأ الاحتمالات	٤٩٩
إذا وجدتَ القوت والعافية فعلى الدنيا السلام	٥٠١
أطفئ نار العداوة قبل أن تضطرم	٥٠٣
لا تحطَّ من مكانة أحد	٥٠٥
كما تدين تدان	٥١٠
لا تصادرْ جهود الآخرين	٥١٠
اطرح المحاكاة المتكلَّفة	٥١١
إذا لم تستطع شيئًا فدعه	٥١٢
لا تكن فوضوياً في حياتك	٥١٣
ألهاكم التكاثر	٥١٤
حتى تكون أسعد الناس	٥١٦
الخاتمة	٥٨٤

هـذا الكتـاب

دراسة جادة أخّاذة مسؤولة، تُعنى بمعالجة الجانب المأسوي من حياة البشرية، جانب الاضطراب والقلق، وفقد الثقة، والحيرة، والكآبة والتشاؤم، والهمّ والغمّ، والحزن، والكدر، واليأس والقنوط والإحباط.

وهو حلٌّ لمشاكل العصر على نور من الوحي، وهدي من الرسالة، وموافقة مع الفطرة السويّة، والتجارب الراشدة، والأمثال الحيّة، والقَصص الجذّاب، والأدب الخلاّب، وفيه نقولات عن الصحابة الأبرار، والتابعين الأخيار، وفيه نفحات من قصيد كبار الشعراء، ووصايا جهابذة الأطباء، ونصائح الحكماء، وتوجيهات العلماء.

وفي ثناياه أُطروحات للشرقيين والغربيين، والقدامى والمحدثين، كل ذلك مع ما يوافق الحق مما قدّمَتْه وسائل الإعلام، من صحف ومجلات، ودوريات وملاحق ونشرات.

إن هذا الكتاب مزيج مرتّب، وجهد مهذّب مشذّب، وهو يقول لك باختصار:

اسعد واطمئنّ وابشرْ وتفاءلْ ولا تحزن.

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وبعد:

فقد اعتاد كثير من المؤلفين ذكر الإقبال على مؤلفاتهم، ونفاد الطبعات الأولى منها، واهتمام الناس بها، وانصرافهم إليها. وهذا أمر ثقيل على النفس، سامج في الطبع. مشين في العادة.

وحسبي من كتابي (**لا تحزن**) أني كتبته لي ولأمثالي، وأول المستفيدين منه أنا. فإنني أعود له كل مرة وقد خطّطته بيميني. فإذا هو جديد عليَّ كأنني أقرؤه لأولِ مرّة:

ألم تر أني كلمـــــا زرتُ زينبـــاً وجدتُ بها طيباً وإن لم تطيّب

كلما انزعجتُ أو غضبت أو حزنتُ قلت لنفسي ألستُ مؤلف كتاب: (**لا تحزن**) فيهدأ غضبي، ويسكن قلبي.

كنت أظن أني مبالغ في حسن ظني بكتابي، وإعجابي بتأليفي، حتى وصلتني كلمات الثناء والدعاء والحفاوة من أناس أثق بعلمهم، وأحترم عقولهم، وأقدر ثناءهم. فحمدت الله على لطفه وعونه فليس عندي شيء، ولا مني شيء، ولا لي شيء. فالفضل والمنّة والحمد لله وحده.

إن قضية السعادة قضية عالمية، وهي مطلب أجمع عليه العقلاء. فكل فرد وكل أمة وكل جيل يسعون وراء السعادة. فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر.

وهذا الكتاب يواكب مئات الرسائل في البحث عن السعادة. وهو خطاب مفتوح لكل من يحترم عقله. نزلت كلماته من قلب ملسوع ملذوع. فكان كما قال أبو الطيب المتنبي:

لا تعذل المشتاق في أشواقه حتى يكون حشاك في أحشائه

اللهمّ اقبل العمل مع قلتهِ. والجهد مع ضآلته. والسعي مع شوائبه. عزّ جاهك. وجلّ ثناؤك. ولا إله إلا انت.

كتبه

عائض القرني

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه وبعد:

فهذا كتاب (**لا تحزن**)، عسى أن تسعد بقراءته والاستفادة منه، ولك قبل أن تقرأ هذا الكتاب أن تحاكمه إلى المنطق السليم والعقل الصحيح، وفوق هذا وذاك النقل المعصوم.

إنَّ من الحيف الحكم المُسبق على الشيء قبل تصوُّره وذوقه وشمِّه، وإن من ظلم المعرفة إصدار فتوى مسبقة قبل الاطلاع والتأمُّل، وسماع الدعوى ورؤية الحجة، وقراءة البرهان.

كتبتُ هذا الحديث لمن عاش ضائقة أو ألمَّ به همٌّ أو حزن، أو طاف به طائف من مصيبة، أو أقضَّ مضجعه أرقٌ، وشرَّد نومه قلقٌ. وأيُّنا يخلو من ذلك؟!

هنا آيات وأبيات، وصور وعبر، وفوائد وشوارد، وأمثال وقصص، سكبتُ فيها عصارة ما وصل إليه اللامعون: من دواء للقلب المفجوع، والروح المنهكة، والنفس الحزينة البائسة.

هذا الكتاب يقول لك: أبشِّر واسعدْ، وتفاءَل واهدأ. بل يقول: عِش الحياة كما هي، طيبةً رضيَّة بهيجة.

هذا الكتاب يصحِّح لك أخطاء مخالفةِ الفطرة، في التعامل مع السنن والناس، والأشياء، والزمان والمكان.

إنه ينهاك نهيًا جازماً عن الإصرار على مصادمة الحياة ومعاكسة القضاء. ومخاصمة المنهج ورفض الدليل. بل يُناديك من مكان قريب من أقطار نفسك، ومن أطراف رُوحك أن تطمئن لحسن مصيرك، وتثق بمعطياتك وتستثمر مواهبك، وتنسى منغّصات العيش، وغصص العمر وأتعاب المسيرة.

وأريد التنبيه على مسائلَ هامّة في أوّله:

الأولى: أنّ المقصد من الكتاب جلب السعادة والهدوء والسكينة وانشراح الصدر، وفتح باب الأمل والتفاؤل والفرج والمستقبل الزاهر.

وهو تذكير برحمة الله وغفرانه، والتوكُّل عليه وحسن الظنّ به، والإيمان بالقضاء والقدر، والعيش في حدود اليوم، وترك القلق على المستقبل، وتذكُّر نعم الله.

الثانية: وهو محاولة لطرد الهمّ والغمّ، والحزن والأسى، والقلق والاضطراب، وضيق الصدر والانهيار واليأس، والقنوط والإحباط.

الثالثة: جمعتُ فيه ما يدور في فلك الموضوع من التنزيل، ومن كلام المعصوم ﷺ، ومن الأمثلة الشاردة، والقصص المعبّرة، والأبيات المؤثّرة، وما قاله الحكماء والأطباء والأدباء، وفيه قبس من التجارب المائلة والبراهين الساطعة، والكلمة الجادة وليس وعظاً مجرّداً، ولا ترفاً فكريّاً ولا طرحًا سياسياً؛ بل هو دعوة ملحة من أجل سعادتك.

الرابعة: هذا الكتاب للمسلم وغيره، فراعيتُ فيه المشاعر ومنافذ النفس الإنسانية؛ أخذاً في الاعتبار المنهج الرباني الصحيح، وهو دين الفطرة.

الخامسة: سوف تجد في الكتاب نُقولات عن شرقيّين وغربيّين، ولعلّه لا تثريبَ عليَّ في ذلك؛ فالحكمة ضالة المؤمن، أنّى وجدها فهو أحقّ بها.

السادسة: لم أجعل للكتاب حواشي، تخفيفاً للقارئ وتسهيلاً له، لتكون قراءاته مستمرّة وفكره متصلاً. وجعلتُ المرجع مع النقل في أصل الكتاب.

السابعة: لم أنقل رقم الصفحة ولا الجزء، مقتدياً بمن سبق في ذلك؛ ورأيتُه أنفع وأسهل. فحيناً أنقل بتصرُّف وحيناً بالنصّ، أو بما فهمتُه من الكتاب أو المقالة.

الثامنة: لم أرتب هذا الكتاب على الأبواب ولا على الفصول، وإنما نوّعت فيه الطرح، فربما أداخل بين الفقرات، وأنتقل من حديث إلى آخر وأعود للحديث بعد صفحات، ليكون أمتع للقارئ وألذّ له وأطرف لنظره.

التاسعة: لم أطل بأرقام الآيات أو تخريج الأحاديث؛ فإن كان الحديث فيه ضعفٌ بيّنتُه، وإن كان صحيحًا أو حسنًا ذكرتُ ذلك أو سكتُّ. وهذا كلُّه طلبًا للاختصار، وبُعداً عن التكرار والإكثار والإملال.

«والمتشبع بما لم يُعط كلابس ثوبي زور».

العاشرة: ربما يلحظ القارئ تكراراً لبعض المعاني في قوالب شتّى، وأساليب متنوعة، وأنا قصدتُ ذلك وتعمّدت هذا الصنيع لتثبيت الفكرة بأكثر من طرح، وترسخ المعلومة بغزارة النقل. ومن يتدبّر القرآن يجد ذلك.

تلك عشَرةٌ كاملة، أقدّمها لمن أراد أن يقرأ هذا الكتاب، وعسى أن يحمل هذا الكتاب صدّقاً في الخبر، وعدلاً في الحكم، وإنصافاً في القول، ويقيناً في المعرفة، وسداداً في الرأي، ونوراً في البصيرة.

إنني أخاطب فيه الجميع وأتكلم فيه للكّل، ولم أقصد به طائفة خاصّة، أو جيلاً بعينه، أو فئة متحيّزة، أو بلداً بذاته، بل هو لكل من أراد أن يحيا حياة سعيدة.

ورصّعت فيه الدرّ حتى تركتْه

يضيء بلا شمسٍ ويسري بلا قمرْ

فعيناهُ سحرٌ والجبينُ مهنّدٌ

ولله درُّ الرمشِ والجيد والخصرْ

وكتبه

عائض بن عبدالله القرني

يـا اللّـــه

﴿يسألُهُ من في السّموات والأرض كلّ يومٍ هُوَ في شأنٍ﴾: إذا اضطرب البحر، وهاج الموج، وهبّت الريح، نادى أصحاب السفينة: **يا الله**.

إذا ضلّ الحادي في الصحراء، ومال الركبُ عن الطريق، وحارت القافلة في السير، نادوا: **يا الله**.

إذا وقعت المصيبة، وحلّت النكبة، وجثمت الكارثة، نادى المصاب المنكوب: **يا الله**.

إذا أُوصدت الأبوابُ أمام الطالبين، وأسدلت الستور في وجوه السائلين، صاحوا: **يا الله**.

إذا بارت الحِيل، وضاقت السبل، وانتهت الآمال، وتقطّعت الحبال، نادوا: **يا الله**.

إذا ضاقت عليك الأرض بما رحُبَت، وضاقت عليك نفسُك بما حملت، فاهتفْ: **يا الله**.

ولقد ذكرتُك والخطوبُ كوالحٌ ... سودٌ ووجهُ الدهرِ أغبرُ قاتمُ

فهتفتُ في الأسحار باسمك صارخاً ... فإذا محيًا كلّ فجرٍ باسمُ

إليه يصعد الكلم الطيب، والدعاء الخالص، والهاتف الصادق، والدمع البريء، والتفجّع الوالهِ.

إليه تُمدُّ الأكُفُّ في الأسحار، والأيادي في الحاجات، والأعين في الملمَّات، والأسئلة في الحوادث.

باسمه تشدو الألسن، وتستغيث وتلهج وتنادي، وبذكره تطمئن القلوب، وتسكن الأرواح، وتهدأ المشاعر، وتبرد الأعصاب، ويثوب الرشد، ويستقرُّ اليقين. ﴿ اللهُ لطيفٌ بعباده ﴾.

الله: أحسن الأسماء، وأجمل الحروف، وأصدق العبارات، وأثمن الكلمات. ﴿ هل تعلَمُ لهُ سميًا ﴾؟!.

الله: فإذا الغنى والبقاء، والقوة والنُّصرة، والعز والقدرة والحكمة. ﴿ لمن المُلكُ اليوم لله الواحد القهار ﴾.

الله: فإذا اللطف والعناية، والغوث والمدد، والوُدُّ والإحسان. ﴿ وما بكُم مِن نِعمة فمن الله ﴾.

الله: ذو الجلال والعظمة، والهيبة والجبروت.

مهما رسمْنا في جلالك أحرفًا ... قدسيةً تشدو بها الأرواحُ

فلأنت أعظمُ والمعاني كلُّها ... يارَبُّ عند جلالكم تتداحُ

اللهم فاجعل مكان اللوعة سلوة، وجزاء الحزن سروراً، وعند الخوف أمنًا. اللهمَّ أبردْ لاعجَ القلب بثلج اليقين، وأطفئ جمْر الأرواح بماء الإيمان.

يا ربُّ، ألقِ على العيون الساهرة نعاسًا آمنةً منك، وعلى النفوس المضطربة سكينة، وأثبها فتحًا قريباً. يا ربُّ، اهدِ حيارى البصائر إلى نورك، وضلال المناهج إلى صراطك، والزائغين عن السبيل إلى هداك.

اللهمَّ أزل الوساوس بفجر صادق من النور، وأزهقْ باطل الضمائر بفيلق من الحق. وردَّ كيد الشيطان بمدد من جنود عونك مُسوَّمين.

اللهمَّ أذهبْ عنَّا الحزن، وأزلْ عنَّا الهمَّ، واطردْ من نفوسنا القلق.

نعوذ بك من الخوف إلا منك، والركون إلا إليك، والتوكل إلا عليك، والسؤال إلا منك، والاستعانة إلا بك. أنت وليُّنا، نعم المولى ونعم النصير.

فكِّر واشكر

المعنى: أن تذكر نعم الله عليك. فإذا هي تغمرك من فوقك ومن تحت قدميك ﴿ وإن تعدُّوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ صحة في بدن، أمنٌ في وطن، غذاءٌ وكساء، وهواءٌ وماء. لديك الدنيا وأنت ما تشعر. تملك الحياة وأنت لا تعلم ﴿ وأسبغ عليكم نعمهُ ظاهرة وباطنة ﴾ عندك عينان، ولسان وشفتان، ويدان ورجلان ﴿ فبأيِّ آلاء ربكما تكذبان ﴾ هل هي مسألة سهلة أن تمشي على قدميك، وقد بترت أقدام؟! وأن تعتمد على ساقيك، وقد قطعت سوق؟! أحقير أن تنام ملء عينيك، وقد أطار الألمُ نوم الكثير؟! وأن تملأ معدتك من الطعام الشهي، وأن تكرع من الماء البارد، وهناك من عُكر عليه

الطعام، ونغص عليه الشراب بأمراض وأسقام؟! تفكّرْ في سمعك وقد عوفيت من الصمم. وتأمل في نظرك وقد سلمت من العمى . وانظر إلى جلدك وقد نجوت من البرص والجذام. والمَعْ عقلك وقد أنعم عليك بحضوره ولم تفجع بالجنون والذهول.

أتريد في بصرك وحده كجبل أحد ذهباً؟! أتحب بيع سمعك وزن ثهلان فضة؟! هل تشتري قصور الزهراء بلسانك فتكون أبكم؟! هل تقايض بيديك مقابل عقود اللؤلؤ والياقوت لتكون أقطع؟! إنك في نِعَمٍ عميمة، وأفضال جسيمة، ولكنك لا تدري، تعيش مهموماً مغموماً حزيناً كئيباً. وعندك الخبز الدافئ، والماء البارد، والنوم الهانئ، والعافية الوارفة، تتفكر في المفقود ولا تشكر الموجود، تنزعج من خسارة مالية وعندك مفتاح السعادة، وقناطير مقنطرة من الخير والمواهب والنعم والأشياء، فكّر واشكر. ﴿ وفي أنفُسكُمْ أفلا تبصرُونَ ﴾ فكّر في نفسك، وأهلك، وبيتك، وعملك، وعافيتك، وأصدقائك، والدنيا من حولك ﴿ يعرفُون نعمت الله ثُمّ ينكرُونها ﴾ .

ما مضى فات

تذكُّرُ الماضي والتفاعل معه واستحضاره، والحزن لمآسيه حمقٌ وجنون، وقتلٌ للإرادة وتبديد للحياة الحاضرة. إن ملف الماضي عند العقلاء يطوى ولا يروى، يغلق عليه أبداً في زنزانة النسيان، يقيد بحبال قوية في سجن الإهمال، فلا يخرج أبداً، ويوصد عليه فلا يرى النور؛ لأنه مضى

وانتهى. لا الحزن يعيده، لا الهم يصلحه. ولا الغم يصححه، لا الكدر يحييه؛ لأنه عدم. لا تعش في كابوس الماضي، وتحت مظلة النسائت. أنقذ نفسك من شبح الماضي، أتريد أن تَرُدَّ النهر إلى مَصبِّه، والشمسَ إلى مطلعها. والطفلَ إلى بطن أمه، واللبنَ إلى الثدي. والدمعةَ إلى العين. إن تفاعلك مع الماضي، وقلقك منه واحتراقك بناره، وانطراحك على أعتابه، وضعٌ مأساويٌ رهيبٌ مخيفٌ مفزعٌ.

القراءة في دفتر الماضي ضياع للحاضر، وتمزيق للجهد، ونسف للساعة الراهنة. ذكر الله الأمم وما فعلت ثم قال: ﴿تلك أُمَّةٌ قد خلت﴾ انتهى الأمر وقضي، ولا طائل من تشريح جثة الزمان، وإعادة عجلة التاريخ.

إن الذي يعود للماضي، كالذي يطحن الطحين وهو مطحون أصلاً. وكالذي ينشر نشارة الخشب. وقديماً قالوا لمن يبكي على الماضي: لا تخرج الأموات من قبورهم، وقد ذكر من يتحدث على ألسنة البهائم أنهم قالوا للحمار: لم لا تجتر؟ قال: أكره الكذب.

إن بلاءنا أننا نعجز عن حاضرنا ونشتغل بماضينا. نهمل قصورنا الجميلة، ونندب الأطلال البالية، ولئن اجتمعت الإنس والجن على إعادة ما مضى لما استطاعوا؛ لأن هذا هو المحال بعينه.

إن الناس لا ينظرون إلى الوراء ولا يلتفتون إلى الخلف؛ لأن الريح تتجه إلى الأمام، والماء ينحدر إلى الأمام. والقافلة تسير إلى الأمام، فلا تخالف سنةَ الحياة.

يومك يومك

إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، اليوم فحسب ستعيش. فلا أمس الذي ذهب بخيره وشره، ولا الغد الذي لم يأت إلى الآن. اليوم الذي أطلتك شمسه، وأدركك نهاره هو يومك فحسب. عمرك يومٌ واحد. فاجعل في خلدك العيش لهذا اليوم وكأنك ولدت فيه وتموت فيه. حينها لا تتعثر حياتك بين هاجس الماضي وهمه وغمه، وبين توقع المستقبل وشبحه المخيف وزحفه المرعب. لليوم فقط اصرف تركيزك واهتمامك وإبداعك وكدك وجدك، فلهذا اليوم لابد أن تقدم صلاة خاشعة، وتلاوة بتدبر، واطلاعاً بتأمل، وذكراً بحضور، واتزاناً في الأمور، وحسناً في خلق، ورضاً بالمقسوم، واهتماماً بالمظهر، واعتناءً بالجسم، ونفعاً للآخرين.

لليوم هذا الذي أنت فيه فتقسّم ساعاته وتجعل من دقائقه سنوات، ومن ثوانيه شهوراً، تزرع فيه الخير، تُسدي فيه الجميل، تستغفر فيه من الذنب، تذكر فيه الرب، تتهيأ للرحيل، تعيش هذا اليوم فرحًا وسرورًا، وأمنًا وسكينة، ترضى فيه برزقك، بزوجتك، بأطفالك، بوظيفتك، ببيتك، بعلمك، بمستواك ﴿ فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ تعيش هذا اليوم بلا حزن ولا انزعاج، ولا سَخَط ولا حقد، ولا حسد.

إن عليك أن تكتب على لوح قلبك عبارة واحدة تجلعها أيضًا على مكتبك تقول: (**يومك يومك**). إذا أكلت خبزاً حاراً شهياً هذا اليوم فهل يضرك خبز الأمس الجاف الرديء، أو خبز غد الغائب المنتظر.

إذا شربت ماءً عذباً زلالاً هذا اليوم، فلماذا تحزن من ماء أمس الملح الأجاج، أوتهتم لماء غد الآسن الحار.

إنك لو صدقت مع نفسك بإرادة فولاذية صارمة عازمة لأخضعتها للنظرية: (لن أعيش إلا هذا اليوم). حينها تستغل كل لحظة في هذا اليوم في بناء كيانك، وتنمية مواهبك، وتزكية عملك، فتقول: لليوم فقط أهذب ألفاظي فلا أنطق هجراً أو فحشاً، أو سبّاً، أو غيبة. لليوم فقط سوف أرتب بيتي ومكتبتي. فلا ارتباك ولا بعثرة، وإنما نظام ورتابة. لليوم فقط سوف أعيش فأعتني بنظافة جسمي، وتحسين مظهري، والاهتمام بهندامي، والاتزان في مشيتي وكلامي وحركاتي.

لليوم فقط سأعيش فأجتهد في طاعة ربّي، وتأدية صلاتي على أكمل وجه، والتزود بالنوافل، وتعاهد مصحفي، والنظر في كتبي، وحفظ فائدة، ومطالعة كتاب نافع.

لليوم فقط سأعيش فأغرس في قلبي الفضيلة، وأجتث منه شجرة الشر بغصونها الشائكة، من كِبْر وعُجب ورياء، وحسد وحقد وغِل وسوء ظن.

لليوم فقط سوف أعيش فأنفع الآخرين، وأسدي الجميل إلى الغير، أعودُ مريضاً، أشيّع جنازة، أدل حيران، أُطعم جائعاً، أفرج عن مكروب، أقف مع مظلوم، أشفع لضعيف، أواسي منكوباً، أكرم عالماً، أرحم صغيراً، أجلّ كبيراً.

لليوم فقط سأعيش فيا ماضٍ ذهب وانتهى اغرب كشمسك. فلن أبكي عليك، ولن تراني اقف لأتذكرك لحظة؛ لأنك تركتنا وهجرتنا وارتحلت عنّا ولن تعود إلينا أبد الآبدين.

ويا مستقبل أنت في عالم الغيب فلن أتعامل مع الأحلام. ولن أبيع نفسي مع الأوهام، ولن أتعجل ميلاد مفقود. لأن غداً لا شيء؛ لأنه لم يخلق ولأنه لم يكن شيئاً مذكوراً.

يومك يومك أيها الإنسان أروع كلمة في قاموس السعادة لمن أراد الحياة في أبهى صورها وأجمل حُلَلها.

اترك المستقبل حتى يأتي

﴿أتى أمرُ الله فلا تستعجلوه﴾. لا تستبق الأحداث. أتريد إجهاض الحمل قبل تمامه؟! وقطف الثمرة قبل النضج؟! إنّ غداً مفقود لا حقيقة له. ليس له وجود، ولا طعم، ولا لون. فلماذا نشغل أنفسنا به، ونتوجس من مصائبه، ونهتم لحوادثه. نتوقع كوارثه، ولا ندري هل يُحال بيننا وبينه. أو نلقاه. فإذا هو سرور وحبور؟! المهم أنه في عالم الغيب لم يصل إلى الأرض بعد. إن علينا أن لا نعبر جسراً حتى نأتيه، ومَن يدري؟ لعلنا نقف قبل وصول الجسر، أو لعلّ الجسر ينهار قبل وصولنا، وربما وصلنا الجسر ومررنا عليه بسلام.

إن إعطاء الذهن مساحة أوسع للتفكير في المستقبل وفتح كتاب الغيب ثم الاكتواء بالمزعجات المتوقعة ممقوتٌ شرعاً: لأنه طول أمل، وهو مذموم عقلاً: لأنه مصارعة للظلّ. إن كثيراً من هذا العالم يتوقع في مُستقبله الجوع والعري والمرض والفقر والمصائب، وهذا كله من مُقررات مدارس الشيطان: ﴿ الشيطانُ يعدُكمُ الفقرَ ويأمرُكم بالفحشاء واللهُ يعدُكم مَغفرةً منهُ وفضلاً ﴾.

كثيرٌ هم الذين يبكون: لأنهم سوف يجوعون غداً. وسوف يمرضون بعد سنة. وسوف ينتهي العالم بعد مائة عام. إن الذي عمره في يد غيره لا ينبغي له أن يراهن على العدم. والذي لا يدري متى يموت لا يجوز له الاشتغال بشيء مفقود لا حقيقة له.

اترك غداً حتى يأتيك. لا تسأل عن أخباره. لا تنتظر زحوفه. لأنك مشغول باليوم.

وإن تعجب فعجبٌ هؤلاء يقترضون الهم نقداً ليقضوه نسيئة في يوم لم يُشرق شمسه ولم ير النور. فحذار من طول الأمل.

كيف تواجه النقد الآثم؟

الرُّقعاء السُّخفاء سبّوا الخالق الرازق جل في علاه. وشتموا الواحد الأحد لا إله إلاهو. فماذا أتوقع أنا وأنت ونحن أهل الحيف والخطأ. إنك سوف تواجه في حياتك حرباً ضروساً لا هوادة فيها من النقد الآثم المر.

ومن التحطيم المدروس المقصود. ومن الإهانة المتعمّدة ما دام أنك تُعطي وتبني وتؤثر وتسطع وتلمع. ولن يسكت هؤلاء عنك حتى تتخذ نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء فتأتيهم. أما وأنت بين أظهرهم فانتظر منهم ما يسوؤك ويُبكي عينك. ويُدمي مقلتك. ويقض مضجعك.

إن الجالس على الأرض لا يسقط. والناس لا يرفسون كلبًا ميتًا. لكنهم يغضبون عليك لأنك فُقْتَهم صلاحاً. أو علمًا. أو أدباً. أومالاً. فأنت عندهم مُذنب لا توبة لك حتى تترك مواهبك ونعم الله عليك. وتتخلع من كل صفات الحمد. وتتسلخ من كل معاني النبل. وتبقى بليداً غبيًا. صفراً محطماً. مكدوداً. هذا ما يريدونه بالضبط. إذًا فاصمد لكلام هؤلاء ونقدهم وتشويههم وتحقيرهم «ليت أحد» وكن كالصخرة الصامتة المهيبة تتكسر عليها حبّات البرد لتثبت وجودها وقُدرتها على البقاء. إنك إن أصغيت لكلام هؤلاء وتفاعلت به حققت أمنيتهم الغالية في تعكير حياتك وتكدير عمرك. الا فاصفح الصفح الجميل. الا فأعرض عنهم ولا تك في ضيق مما يمكرون. إن نقدهم السخيف ترجمة محترمة لك. وبقدر وزنك يكون النقد الآثم المفتعل.

إنك لن تستطيع أن تغلق أفواه هؤلاء. ولن تستطيع أن تعتقل ألسنتهم لكنك تستطيع أن تدفن نقدهم وتجنّيهم بتجافيك لهم. وإهمالك لشأنهم. واطراحك لأقوالهم: ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾. بل تستطيع أن تصب في أفواههم الخردل بزيادة فضائلك. وتربية محاسنك. وتقويم اعوجاجك. إن كنت تُريد أن تكون مقبولاً عند الجميع. محبوباً لدى الكل. سليمًا من العيوب عند العالم. فقد طلبت مستحيلاً وأمّلت أملاً بعيداً.

لا تنتظر شكراً من أحد

خلق الله العباد ليذكروه، ورزق الله الخليقة ليشكروه، فعبد الكثيرُ غيرَه، وشكر الغالبُ سواه؛ لأن طبيعة الجحود والنكران والجفاء وكفران النعم غالبة على النفوس، فلا تُصْدَمْ إذا وجدت هؤلاء قد كفروا جميلك، وأحرقوا إحسانك، ونسوا معروفك، بل ربما ناصبوك العداء، ورموك بمنجنيق الحقد الدفين، لا لشيء إلا لأنك أحسنت إليهم ﴿وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله﴾. وطالع سجل النعائم المشهود؛ فإذا في فصوله قصة أب ربّى ابنه وغذّاه وكساه وأطعمه وسقاه، وأدبه، وعلّمه، سهر لينام، وجاع ليشبع، وتعب ليرتاح، فلما طرّ شارب هذا الابن وقوي ساعده، أصبح لوالده كالكلب العقور، استخفافاً، ازدراءً، مقتاً، عقوقاً صارخاً، عذاباً وبيلاً.

ألا فليهدأ الذين احترقت أوراق جميلهم عند منكوسي الفِطَر، ومحطّمي الإرادات، وليهنئوا بعوض المثوبة عند مَن لا تنفد خزائنه.

إن هذا الخطاب الحار لا يدعوك لترك الجميل، وعدم الإحسان للغير، وإنما يوطنك على انتظار الجحود، والتنكر لهذا الجميل والإحسان، فلا تبتئس بما كانوا يصنعون.

اعمل الخير لوجه الله؛ لأنك الفائز على كل حال، ثم لا يضرك غمط من غمطك، ولا جحود من جحدك، واحمد الله لأنك المحسن، وهو المسيء، واليد العليا خير من اليد السفلى ﴿إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا﴾.

وقد ذهل كثير من العقلاء من جبلّة الجحود عند الفوضاء، وكأنهم ما سمعوا الوحي الجليل وهو ينعي على الصنف عتوّه وتمرده ﴿مرّ كأن لم يدعنا إلى ضُرٍّ مسّه كذلك زيّن للمسرفين ما كانوا يعملون﴾ لا تُفاجأ إذا أهديت بليداً قلماً فكتب به هجاءك، أو منحت جافياً عصاً يتوكأ عليها ويهش بها على غنمه، فشج بها رأسك، هذا هو الأصل عند هذه البشرية المحنّطة في كفن الجحود مع باريها جل في علاه، فكيف بها معي ومعك؟!

الإحسان إلى الغير انشراح للصدر

الجميل كاسمه، والمعروف كرسمه، والخير كطعمه، أول المستفيدين من إسعاد الناس هم المتفضلون بهذا الإسعاد، يجنون ثمرته عاجلاً في نفوسهم، وأخلاقهم، وضمائرهم، فيجدون الانشراح والانبساط، والهدوء والسكينة.

فإذا طاف بك طائف من همٍّ أو ألمّ بك غم فامنح غيرك معروفاً، وأسد له جميلاً، تجد الفرج والرّاحة، أعط محروماً، انصر مظلوماً، انقذ مكروباً، أطعم جائعاً، عدّ مريضاً، أعن منكوباً، تجد السعادة تغمرك من بين يديك ومن خلفك.

إن فعل الخير كالطيب ينفع حامله وبائعه ومشتريه، وعوائد الخير النفسيّة عقاقير مباركة تصرف في صيدلية الذين عمرت قلوبهم بالبر والإحسان.

إن توزيع البسمات المشرقة على فقراء الأخلاق صدقة جارية في عالم القيم .ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق. وإن عبوس الوجه إعلان حرب ضروس على الآخرين لا يعلم قيامها إلاّ علاّم الغيوب.

شربة ماء من كف بغي لكلب عقور أثمرت دخول جنة عرضها السموات والأرض؛ لأن صاحب الثواب غفور شكور جميل. يحب الجميل. غني حميد.

يا من تهددهم كوابيس الشقاء والفزع والخوف هلموا إلى بستان المعروف وتشاغلوا بالغير. عطاءً وضيافة ومواساة وإعانة وخدمة وستجدون السعادة طعماً ولوناً وذوقاً ﴿وما لأحد عندهُ من نعمة تُجزى ﴿١٩﴾ إلاّ ابتغاء وجه ربه الأعلى ﴿٢٠﴾. ولسوف يرضى﴾.

اطرد الفراغ بالعمل

الفارغون في الحياة هم أهل الأراجيف والشائعات؛ لأن أذهانهم موزّعة ﴿رضُوا بأن يكُونُوا مع الخوالف﴾.

إن أخطر حالات الذهن يوم يفرغ صاحبه من العمل. فيبقى كالسيارة المسرعة في انحدار بلا سائق. تجنح ذات اليمين وذات الشمال.

يوم تجد في حياتك فراغاً فتهيأ حينها للهم والغم والفزع؛ لأن هذا الفراغ يسحب لك كل ملفات الماضي. والحاضر. والمستقبل من أدراج الحياة

فيجعلك في أمر مريح، ونصيحتي لك ولنفسي أن تقوم بأعمال مثمرة بدلاً من هذا الاسترخاء القاتل لأنه وأدٌ خفي. وانتحار بكبسول مسكّن.

إن الفراغ أشبه بالتعذيب البطيء الذي يمارس في سجون الصين بوضع السجين تحت أنبوب يقطر كل دقيقة قطرة. وفي فترات انتظار هذه القطرات يُصاب السجين بالجنون.

الراحة غفلة، والفراغ لص محترف، وعقلك هو فريسة ممزّقة لهذه الحروب الوهميَّة.

إذاً قم الآن صل أو اقرأ، أو سبِّح، أو طالع، أو اكتب، أو رتِّب مكتبك، أو أصلح بيتك، أو انفع غيرك، حتى تقضي على الفراغ، وإني لك من الناصحين.

اذبح الفراغ بسكين العمل، ويضمن لك أطباء العالم ٥٠٪ من السعادة مقابل هذا الإجراء الطارئ فحسب. انظر إلى الفلاحين والخبازين والبنائين يغردون بالأناشيد كالعصافير في سعادة وراحة وأنت على فراشك تمسح دموعك وتضطرب لأنك ملدوغ.

لا تكن إمعة

لا تتقمص شخصية غيرك ولا تذُبّ في الآخرين، إن هذا هو العذاب الدائم، وكثيرٌ هم الذين ينسون أنفسهم وأصواتهم وحركاتهم، وكلامهم.

ومواهبهم، وظروفهم. ليتصهروا في شخصيات الآخرين. فإذا التكلّف والصلف، والاحتراق، والإعدام للكيان وللذات.

من آدم إلى آخر الخليقة لم يتفق اثنان في صورة واحدة، فلماذا يتفقون في المواهب والأخلاق.

أنت شيء آخر لم يسبق لك في التاريخ مثيل ولن يأتي مثلك في الدنيا شبيه.

أنت مختلف تماماً عن زيد وعمرو فلا تحشر نفسك في سرداب التقليد والمحاكاة والذوبان.

انطلق على هيئتك وسجيّتك ﴿قد علم كُلُّ أُناسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾، ﴿ولكلٍّ وجهةٌ هُو مُوَلِّيها فاستَبِقُوا الخَيرات﴾ عش كما خلقت لا تغير صوتك، لا تبدل نبرتك، لا تخالف مشيتك، هذّب نفسك بالوحي. ولكن لا تلغي وجودك وتقتل استقلالك.

أنت لك طعم خاص، ولون خاص، وتريدك أنت بلونك هذا وطعمك هذا؛ لأنك خلقت هكذا، وعرفناك هكذا «لا يكن أحدكم إمعة».

إن الناس في طبائعهم أشبه بعالم الأشجار: حلو وحامض، وطويل وقصير، وهكذا فليكونوا. فإن كنت كالموز فلا تتحول إلى سفرجل؛ لأن جمالك وقيمتك أن تكون موزاً. إن اختلاف ألوانا وألسنتنا ومواهبنا وقدراتنا آية من آيات الباري فلا تجحد آياته.

قضاء وقدر

﴿ ما أصاب من مُصيبة في الأرض ولا في أنفُسكُمْ إلا في كتاب من قبل أن نَبرأها ﴾. جف القلم، رفعت الصحف، قضي الأمر، كتبت المقادير. ﴿ لن يُصيبنا إلا ما كتب اللهُ لنا ﴾. ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك.

إن هذه العقيدة إذا رسخت في نفسك وقرت في ضميرك صارت البلية عطية، والمحنة منحة، وكل الوقائع جوائز وأوسمة ،ومن يرد الله به خيراً يصب منه، فلا يصيبك قلق من مرض أو موت قريب، أو خسارة مالية، أو احتراق بيت. فإن الباري قد قدّر، والقضاء قد حل، والاختيار هكذا، والخيرة لله، والأجر حصل، والذنب كُفّر. هنيئاً لأهل المصائب صبرهم ورضاهم عن الآخذ، المعطي، القابض، الباسط. ﴿ لا يُسألُ عمّا يفعلُ وهُم يُسألون ﴾.

ولن تهدأ أعصابك، وتسكن بلابل نفسك، وتذهب وساوس صدرك؛ حتى تؤمن بالقضاء والقدر، جف القلم بما أنت لاق، فلا تذهب نفسك حسرات، لا تظن أنه كان بوسعك إيقاف الجدار أن ينهار، وحبس الماء أن ينسكب، ومنع الريح أن تهب، وحفظ الزجاج أن ينكسر، هذا ليس بصحيح على رغمي ورغمك، وسوف يقع المقدور، وينفذ القضاء، ويحل المكتوب ﴿ فمن شاء فليُؤمن ومن شاء فليكفُر ﴾.

استسلم للقدر قبل أن تطوّق بجيش السخط والتذمّر والعويل. اعترف بالقضاء قبل أن يدهمك سيل الندم. إذاً فليهدأ بالك إذا فعلت الأسباب، وبذلت الحيل. ثم وقع ما كنت تحذر. فهذا هو الذي كان ينبغي أن يقع. ولا تقل «لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا». ولكن قل: قدّر الله وما شاء فعل».

﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾

يا إنسان بعد الجوع شبع، وبعد الظمأ ري، وبعد السهر نوم. وبعد المرض عافية. سوف يصل الغائب، ويهتدي الضال، ويفك العاني، وينقشع الظلام ﴿فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده﴾.

بشّر الليل بصبح صادق يطارده على رؤوس الجبال، ومسارب الأودية. بشّر المهموم بفرج مفاجئ يصل في سرعة الضوء، ولمح البصر. بشّر المنكوب بلطف خفي، وكف حانية وادعة.

إذا رأيت الصحراء تمتد وتمتد. فاعلم أن وراءها رياضاً خضراء وارفة الظلال.

إذا رأيت الحبل يشتد ويشتد. فاعلم أنه سوف ينقطع.

مع الدمعة بسمة. ومع الخوف أمنٌ. ومع الفزع سكينة.

النار لا تحرق إبراهيم الخليل، لأن الرعاية الربانية فتحت نافذة ﴿بردا وسلاما على إبراهيم﴾.

البحر لا يفرق كليم الرحمن. لأن الصوت القوي الصادق نطق به ﴿كلا إن معي ربي سيهدين﴾.

المعصوم في الغار بشّر صاحبه بأنه وحده جل في علاه معنا: فتنزل الأمن والفتح والسكينة.

إن عبيد.. إماءاتهم الراهنة. وأرقاء ظروفهم القاتمة. لا يرون إلا الكمد والضيق والتعاسة. لأنهم لا ينظرون إلا إلى جدار الغرفة. وباب الدار فحسب. ألا فليمدوا أبصارهم وراء الحجب. وليطلقوا أعنة أفكارهم إلى ما وراء الأسوار.

إذاً فلا تضق ذرعاً فمن المحال دوام الحال. وأفضل العبادة انتظار الفرج. الأيام دول. والدهر قُلّب. والليالي حبالى. والغيب مستور. والحكيم كل يوم هو في شأن. ولعلّ الله يحدث بعد ذلك أمراً. وإن مع العسر يسراً. إن مع العسر يسراً.

اصنع من الليمون شراباً حلواً

الذكي الأريب يحوّل الخسائر إلى أرباح. والجاهل الرعديد يجعل المصيبة مصيبتين.

طُرد الرسول ﷺ من مكة فأقام في المدينة دولة ملأت سمع التاريخ وبصره.

سُجن أحمد بن حنبل وجلد، فصار إمام السنة. وحُبس ابن تيمية فأخرج من حبسه علماً جماً. ووضع السرخسي في قعر بئر معطلة فأخرج عشرين مجلداً في الفقه. وأقعد ابن الأثير فصنّف جامع الأصول. والنهاية من أشهر وأنفع كتب الحديث. ونفي ابن الجوزي من بغداد. فجوّد القراءات السبع. وأصابت حمى الموت مالك بن الريب فأرسل للعالمين قصيدته الرائعة الذائعة التي تعدل دواوين شعراء الدولة العباسية. ومات أبناء أبي ذؤيب الهذلي فرثاهم بالياذة أنصت لها الدهر، وذهل منها الجمهور، وصفّق لها التاريخ.

إذا داهمتك داهية فانظر في الجانب المشرق منها. وإذا ناولك أحدهم كوب ليمون فاضف إليه حفنة من سُكّر. وإذا أهدى لك ثعباناً فخذ جلده الثمين واترك باقيه. وإذا لدغتك عقرب فاعلم أنه مصل واقٍ ومناعة حصينة ضد سم الحيات.

تكيّف في ظرفك القاسي، لتخرج لنا منه زهراً وورداً وياسميناً. ﴿وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خيرٌ لكم﴾.

سجنت فرنسا قبل ثورتها العارمة شاعرين مجيدين متشائلاً ومتشائماً فأخرجا رأسيهما من نافذة السجن. فأما المتفائل فنظر نظرة في النجوم فضحك. وأما المتشائم فنظر إلى الطين في الشارع المجاور فبكى. انظر إلى الوجه الآخر للمأساة. لأن الشر المحض ليس موجوداً؛ بل هناك خير ومكسب وفتح وأجر.

﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾

من الذي يفزع إليه المكروب، ويستغيث به المنكوب، وتصمد إليه الكائنات، وتسأله المخلوقات، وتلهج بذكره الألسن، وتألهه القلوب إنه الله لا إله إلا هو.

وحقّ علي وعليك أن ندعوه في الشدة والرخاء، والسراء والضراء، ونفزع إليه في الملمّات، ونتوسّل إليه في الكربات، ونطرح على عتبات بابه سائلين باكين ضارعين منيبين، حينها يأتي مدده، ويصل عونه، ويسرع فرجه، ويحل فتحه ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ فينجي الغريق، ويرد الغائب، ويعافي المبتلى، وينصر المظلوم، ويهدي الضال، ويشفي المريض، ويفرّج عن المكروب ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾.

ولن أسرد عليك هنا أدعية إزاحة الهم والغم والحزن والكرب، ولكن أحيلك إلى كتب السنة لتتعلم شريف الخطاب معه؛ فتناجيه وتناديه وتدعوه وترجوه، فإن وجدته وجدت كل شيء، وإن فقدت الإيمان به فقدت كل شيء. إن دعاءك ربك عبادة أخرى، وطاعة عظمى ثانية فوق حصول المطلوب، وإن عبداً يجيد فن الدعاء حري أن لا يهتم ولا يغتم ولا يقلق. كل الحبال تنصرّم إلا حبله، كل الأبواب توصد إلا بابه، وهو قريب سميع مجيب. يجيب المضطر إذا دعاه. يأمرك - وأنت الفقير الضعيف المحتاج، وهو الغني القوي الواحد الماجد - بأن تدعوه ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ إذا نزلت بك النوازل، وألمت بك الخطوب فالهج بذكره، واهتف باسمه، واطلب مدده واسأله فتحه

وتصره، مَرَّغ الجبين لتقديس اسمه، لتحصل على تاج الحريَّة، وارغم الأنف في طين عبوديته لتحوز وسام النجاة. مد يديك، ارفع كفيك، أطلق لسانك، أكثر من طلبه، بالغ في سؤاله، ألحَّ عليه، الزم بابه، انتظر لطفه، ترقب فتحه، اشْدُدْ باسمه، أحسن ظنك فيه، انقطع إليه، تبتل إليه تبتيلاً حتى تسعد وتفلح.

وليسعك بيتك

العزلة الشرعيَّة السنيَّة: بعدك عن الشر وأهله، والفارغين واللاَّهين والفوضويين. فيجتمع عليك شملك، ويهدأ بالك، ويرتاح خاطرك، ويجود ذهنك بدرر الحكم، ويسرح طرفك في بستان المعارف.

إن العزلة عن كل ما يشغل عن الخير والطاعة دواء عزيز جرَّبه أطباء القلوب فنجح أيَّما نجاح. وأنا أدلك عليه، في العزلة عن الشر واللغو وعن الدهماء تلقيح للفكر، وإقامة لناموس الخشية، واحتفال بمولد الإنابة والتذكر، وإنما كان الاجتماع المحمود والاختلاط الممدوح في الصلوات والجمع ومجالس العلم والتعاون على الخير، أما مجالس البطالة والعطالة فحذارِ حذارِ، اهرب بجلدك، ابك على خطيئتك، وأمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، الاختلاط الهمجي حرب شعواء على النفس، وتهديد خطير لدنيا الأمن والاستقرار في نفسك، لأنك تجالس أساطين الشائعات، وأبطال

الأراجيف، وأساتذة التبشير بالفتن والكوارث والمحن. حتى تموت كل يوم سبع مرات قبل أن يصلك الموت ﴿لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا﴾.

إذاً فرجائي الوحيد إقبالك على شأنك، والانزواء في غرفتك. إلاّ من قول خير أو فعل خير، حينها تجد قلبك عاد إليك. فسلم وقتك من الضياع، وعمرك من الإهدار، ولسانك من الغيبة، وقلبك من القلق، وأذنك من الخنا ونفسك من سوء الظن، ومن جرب عرف، ومن أركب نفسه مطايا الأوهام. واسترسل مع العوام فقل عليه السلام.

العوض من الله

لا يسلبك الله شيئاً إلاّ عوضك خيراً منه إذا صبرت واحتسبت ،من أخذت حبيبتيه فصبر عوّضته منهما الجنة، يعني عينيه ،من سلبت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسب عوضته من الجنة، من فقد ابنه وصبر بُنيَ له بيت الحمد في الخلد. وقس على هذا المنوال فإن هذا مجرد مثال.

فلا تأسف على مصيبة، فإن الذي قدّرها عنده جنة وثواب وعوض وأجر عظيم.

إن أولياء الله المصابين المبتلين ينوّه بهم في الفردوس: ﴿سلامٌ عليكم بما صبرتُم فنعم عُقبى الدار﴾.

وحقٌ علينا أن ننظر في عوض المصيبة وثوابها وخلفها الخير ﴿أولئك عليهم صلواتٌ من ربهم ورحمةٌ وأولئك هم المهتدون﴾ هنيئاً للمصابين، بشرى للمنكوبين.

إن عمر الدنيا قصير وكنزها حقير، والآخرة خير وأبقى فمن أُصيب هنا كوفئ هناك، ومن تعب هنا ارتاح هناك. أما المتعلقون بالدُّنيا، العاشقون لها، الراكنون إليها، فأشد ما على قلوبهم فوت حظوظهم منها، وتنغيص راحتهم فيها؛ لأنهم يريدونها وحدها فلذلك تعظم عليهم المصائب، وتكبر عندهم النكبات لأنهم ينظرون تحت أقدامهم، فلا يرون إلاّ الدُّنيا الفانية الزهيدة الرخيصة.

أيها المصابون ما فات شيء وأنتم الرابحون، فقد بعث لكم برسالة بين أسطرها لطف وعطف وثواب وحسن اختيار. إن على المصاب الذي ضرب عليه سرادق المصيبة أن ينظر ليرى أن النتيجة ﴿فضرب بينهم بسور له بابٌ باطنه فيه الرحمةُ وظاهره من قبله العذاب﴾. وما عند الله خير وأبقى وأهنأ وأمرأ وأجل وأعلى.

الإيمان هو الحياة

الأشقياء بكل معاني الشقاء هم المفلسون من كنوز الإيمان، ومن رصيد اليقين، فهم أبداً في تعاسة وغضب ومهانة وذلة ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا﴾.

لا يُسعد النفس ويزكيها ويطهرها ويفرحها ويذهب غمها وهمها وقلقها إلاّ الإيمان بالله رب العالمين. لا طعم للحياة أصلاً إلاّ بالإيمان.

إن الطريقة المثلى للملاحدة إن لم يؤمنوا أن ينتحروا ليريحوا أنفسهم من هذه الآصار والأغلال والظلمات والدواهي. يا لها من حياة تعيسة بلا إيمان. يا لها من لعنة أبدية حاقت بالخارجين على منهج الله في الأرض ﴿ ونُقلِّبُ أفئدتهُم وأبصارهُم كما لم يُؤمنوا به أوّل مرّة ونذرهُم في طُغيانهم يعمهُون ﴾ وقد آن الأوان للعالم أن يقتنع كل القناعة وأن يؤمن كل الإيمان بأن لا إله إلا الله بعد تجربة طويلة شاقة عبر قرون غابرة توصل بعدها العقل إلى أن الصنم خرافة والكفر لعنة، والإلحاد كذبة، وأن الرسل صادقون، وأن الله حق له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

وبقدر إيمانك قوة وضعفاً، حرارة وبرودة، تكون سعادتك وراحتك وطمأنينتك.

﴿ من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينّهُ حياة طيّبة ولنجزينّهُم أجرهُم بأحسن ما كانوا يعملُون ﴾ وهذه الحياة الطيبة هي استقرار نفوسهم لحسن موعود ربهم، وثبات قلوبهم بحب باريهم، وطهارة ضمائرهم من أوضار الانحراف، وبرود أعصابهم أمام الحوادث، وسكينة قلوبهم عند وقع القضاء، ورضاهم في مواطن القدر. لأنهم رضوا بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً.

اجنِ العسل ولا تكسر الخلية

الرفق ما كان في شيء إلاّ زانه، وما نُزع من شيء إلاّ شانه. اللين في الخطاب، البسمة الرائقة على المحيا، الكلمة الطيبة عند اللقاء، هذه حلل منسوجة يرتديها السعداء، وهي صفات المؤمن كالنحلة تأكل طيباً وتصنع طيباً، وإذا وقعت على زهرة لا تكسرها لأن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، إن من الناس من تشرئب لقدومهم الأعناق، وتشخص إلى طلعاتهم الأبصار، وتحييهم الأفئدة وتشيّعهم الأرواح، لأنهم محبوبون في كلامهم في أخذهم وعطائهم، في بيعهم وشرائهم، في لقائهم ووداعهم.

إن اكتساب الأصدقاء فن مدروس يجيده النبلاء الأبرار، فهم محفوفون دائماً وأبداً بهالة من الناس إن حضروا فالبشر والأنس، وإن غابوا فالسؤال والدعاء.

إن هؤلاء السعداء لهم دستور أخلاق عنوانه: ﴿ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ فهم يمتصّون الأحقاد بعاطفتهم الجيّاشة، وحلمهم الدافق، وصفحهم البريء، يتناسون الإساءة ويحفظون الإحسان، تمر بهم الكلمات النابية فلا تلج آذانهم بل تذهب بعيداً هناك إلى غير رجعة. هم في راحة، والناس منهم في أمن، والمسلمون منهم في سلام -المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم.. إن الله أمرني أن أصل من قطعني وأن أعفو عمّن

ظلمتني وان اعطني من حرمتني، ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس﴾ بشّر هؤلاء بثواب عاجل من الطمأنينة والسكينة والهدوء.

وبشرهم بثواب آخروي كبير في جوار رب غفور في جنات ونهر ﴿في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾.

﴿ألا بذكر الله تطمئنّ القلوب﴾

الصدق حبيب الله، والصراحة صابون القلوب، والتجربة برهان، والراند لا يكذب أهله. ولم يوجد عمل أشرح للصدر وأعظم للأجر كالذكر ﴿فاذكروني أذكركم﴾ وذكره سبحانه جنته في أرضه، من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة، وهو إنقاذ للنفس من أوصابها وأتعابها واضطرابها، بل هو طريق ميسّر مختصر إلى كل فوز وفلاح. طالع دواوين الوحي لترى فوائد الذكر، وجرب مع الأيام بلسمه لتنال الشفاء.

بذكره سبحانه تنقشع سحب الخوف والفزع والهم والحزن. بذكره تزاح جبال الكرب والغم والأسى.

ولا عجب أن يرتاح الذاكرون، فهذا هو الأصل الأصيل، لكن العجب العجاب كيف يعيش الغافلون عن ذكره ﴿أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون﴾.

يا من شكى الأرق، وبكى من الألم، وتفجّع من الحوادث، ورمته الخطوب، هيا اهتف باسمه المقدس، ﴿هل تعلمُ لهُ سميًا﴾.

بقدر إكثارك من ذكره ينبسط خاطرك، يهدأ قلبك، تسعد نفسك، يرتاح ضميرك. لأن في ذكره جل في علاه معاني التوكل عليه، والثقة به والاعتماد عليه، والرجوع إليه، وحسن الظن فيه، وانتظار الفرج منه. فهو قريب إذا دُعي، سميع إذا نُودي، مجيب إذا سُئل، فاضرع واخضع واخشع، وردد اسمه الطيب المبارك على لسانك توحيداً وثناءً ومدحاً ودعاءً وسؤالاً واستغفاراً. وسوف تجد ـ بحوله وقوته ـ السعادة والأمن والسرور والنور والحبور ﴿فآتاهُمُ اللهُ ثواب الدُنيا وحُسنَ ثواب الآخرة﴾.

﴿أم يحسدُونَ النَّاس على ما آتاهُمُ اللهُ من فضله﴾

الحسد كالأكلة الملحة تنخر العظم نخراً. إن الحسد مرض مزمن يعيث في الجسم فساداً. وقد قيل: لا راحة لحسود فهو ظالم في ثوب مظلوم. وعدو في جلباب صديق. وقد قالوا: لله در الحسد ما أعدله، بدأ بصاحبه فقتله.

إنني أنهى نفسي ونفسك عن الحسد رحمة بي وبك، قبل أن نرحم الآخرين: لأننا بحسدنا لهم نطعم الهم لحومنا، ونسقي الغم دماءنا، ونوزع نوم جفوننا على الآخرين.

إن الحاسد يشعل قرناً ساخناً ثم يقتحم فيه. التنغيص والكدر والهم الحاضر أمراض يولّدها الحسد لتقضي على الراحة والحياة الطيبة الجميلة. بلية الحاسد أنه خاصم القضاء، واتهم الباري في العدل، وأساء الأدب مع الشرع، وخالف صاحب المنهج.

يا للحسد من مرض لا يُؤجر عليه صاحبه. ومن بلاء لا يثاب عليه المبتلى به. وسوف يبقى هذا الحاسد في حرقة دائمة حتى يموت أو تذهب نعم الناس عنهم. كلٌّ يُصانع إلاّ الحاسد فاصلح معه أن تتخلّى عن نعم الله وتتنازل عن مواهبك، وتلغي خصائصك، ومناقبك. فإن فعلت ذلك فلعله يرضى على مضض. نعوذ بالله من شر حاسد إذا حسد. فإنه يصبح كالثعبان الأسود السّام لا يقر قراره حتى يفرغ سمه في جسم بريء.

فأنهاك أنهاك عن الحسد واستعذ بالله من الحاسد فإنه لك بالمرصاد.

اقبل الحياة كما هي

حال الدنيا منغصة اللذات. كثيرة التبعات. جاهمة المحيا. كثيرة التلوّن. مزجت بالكدر، وخلطت بالنكد. وأنت منها في كبد.

ولن تجد والداً أو زوجة، أو صديقاً، أو نبيلاً. ولا مسكناً ولا وظيفة إلاّ وفيه ما يكدّر. وعنده ما يسوء أحياناً. فاطفئ حر شره ببرد خيره. لتنجو رأساً برأس. والجروح قصاص.

أراد الله لهذه الدنيا أن تكون جامعة للضدين، والنوعين، والفريقين، والرأيين خير وشر، صلاح وفساد، سرور وحزن، ثم يصفو الخير كله والصلاح والسرور في الجنة، ويجمع الشر كله والفساد والحزن في النار. وفي الحديث: «**الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالم ومتعلم**». فعش واقعك ولا تسرح مع الخيال وحلّق في عالم المثاليات. اقبل دنياك كما هي، وطوّع نفسك لمعايشتها ومواطنتها. فـ..وف لا يصفو لك فيها صاحب، ولا يكمل لك فيها أمر، لأن الصفو والكمال والتمام ليس من شأنها ولا من صفاتها.

لن تكمل لك زوجة، وفي الحديث: «**لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها آخر**».

فينبغي أن نسدد ونقارب، ونعفو ونصفح، ونأخذ ما تيسّر، ونذر ما تعسّر ونغض الطرف أحيانا، ونسدد الخطى، ونتغافل عن أمور.

تعزَّ بأهل البلاء

تلفت يمنة ويسرة، فهل ترى إلاَّ مبتلى؟ وهل تشاهد إلاَّ منكوباً، في كل دار نائحة، وعلى كل خد دمع، وفي كل واد بنو سعد.

كم من المصائب، وكم من الصابرين. فلست أنت وحدك المصاب، بل مصابك أنتَ بالنسبة لغيرك قليل. كم من مريض على سريره من آلام، يتقلب ذات اليمين وذات الشمال. يئن من الألم، ويصيح من السقم.

كم من محبوس مرت به سنوات ما رأى الشمس بعينه. وما عرف غير زنزانته.

كم من رجل وامرأة فقدا فلذات أكبادهما في ميعة الشباب وريعان العمر.

كم من مكروب ومدين ومصاب ومنكوب.

أن لك أن تتعزَ بهؤلاء. وأن تعلم علم اليقين أن هذه الحياة سجنٌ للمؤمن، ودار للأحزان والنكبات، تصبغ التصور حافلة بأهلها وتمسي خاوية على عروشها. بينما الشمل مجتمع، والأبدان في عافية، والأموال وافرة، والأولاد كثر. ثم ما هي إلاَّ أيام فإذا الفقر والموت والفراق والأمراض ﴿وتبيّن لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكُمُ الأمثال﴾ فعليك أن توطن نفسك كتوطين الجمل المحنك الذي يبرك على الصخرة. وعليك أن توازن مصابك بمن حولك، وبمن سبقك في مسيرة الدهر، ليظهر لك أنك معافى بالنسبة لهؤلاء. وأنه لم يأتك إلاَّ وخزات سهلة، فاحمد الله على لطفه. واشكره على ما أبقى، واحتسب ما أخذ. وتعزَّ بمن حولك.

ولك في الرسول ﷺ قدوة وقد وُضِعَ السلى على رأسه، وأُدميَت قدماه وشُجَّ وجهه. وحوصر في الشعب حتى أكل ورق الشجر، وطرد من مكة. وكسرت ثنيته. ورمي عرض زوجته الشريف، وقتل سبعون من أصحابه، وفقد ابنه، وأكثر بناته في حياته، وربط الحجر على بطنه من الجوع. واتُّهِمَ بأنه شاعر ساحر كاهن مجنون كاذب، صانه الله من ذلك. وهذا بلاء لابد

منه وتمحيص لا أعظم منه. وقد قُتل قبل زكريا، وذبح يحيى، وهجر موسى، ووضع الخليل في النار، وسار الأئمة على هذا الطريق فضرج عمر بدمه، واغتيل عثمان، وطعن علي، وجلدت ظهر الأئمة وسُجن الأخيار، ونكل بالأبرار ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا﴾.

الصلاة.. الصلاة

﴿يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة﴾.

إذا داهمك الخوف وطوّقك الحزن، وأخذ الهم بتلابيبك، فقم حالاً إلى الصلاة، تُثب لك روحك، وتطمئن نفسك، إن الصلاة كفيلة - بإذن الله - باجتياح مستعمرات الأحزان والغموم، ومطاردة فلول الاكتئاب.

كان ﷺ إذا حزبه أمرٌ قال: «أرحنا بالصلاة يا بلال» فكانت قرة عينه وسعادته وبهجته.

وقد طالعت سير قوم أفذاذ كانت إذا ضاقت بهم الخوانق، وكشرت في وجوههم الخطوب، فزعوا إلى صلاة خاشعة، فتعود لهم قواهم وإراداتهم وهممهم.

إن صلاة الخوف فرضت لتؤدى في ساعة الرعب، يوم تتطاير الجماجم، وتسيل النفوس على شفرات السيوف، فإذا أعظم تثبيت وأجل سكينة صلاة خاشعة.

إن على الجيل الذي عصفت به الأمراض النفسية أن يتعرّف على المسجد، وأن يمرّغ جبينه ليرضي ربّه أوّلاً. ولينقذ نفسه من هذا العذاب الواصب، وإلاّ فإن الدمع سوف يحرق جفنه، والحزن سوف يحطم أعصابه. وليس لديه طاقة تمدّه بالسكينة والأمن إلاّ الصلاة.

من أعظم النعم ـ لو كنا نعقل ـ هذه الصلوات الخمس كل يوم وليلة كفارة لذنوبنا، رفعه لدرجاتنا عند ربنا، ثم هي علاج عظيم لمآسينا، ودواء ناجع لأمراضنا، تسكب في صمآترنا مقادير زاكية من اليقين، وتملأ جوانحنا بالرّضا. أما أولئك الذين جانبوا المسجد، وتركوا الصلاة. فمن نكد إلى نكد، ومن حزن إلى حزن، ومن شقاء إلى شقاء. ﴿ فتعسا لهم وأضل أعمالهم ﴾.

حسبنا الله ونعم الوكيل

تفويض الأمر إلى الله، والتوكل عليه، والثقة بوعده، والرضا بصنيعه، وحسن الظن به، وانتظار الفرج منه: من أعظم ثمرات الإيمان. وأجلّ صفات المؤمنين، وحينما يطمئن العبد إلى حسن العاقبة، ويعتمد على ربّه في كلّ شأنه، يجد الرعاية، والولاية، والكفاية، والتأييد، والنصرة.

لما ألقي إبراهيم عليه السلام في النار قال: حسبنا الله ونعم الوكيل. فجعلها الله عليه برداً وسلاماً. ورسولنا ﷺ وأصحابه لما هدّدوا بجيوش

الكفار، وكتائب الوثنية قائلوا: ﴿حسبنا اللهُ ونعم الوكيلُ ﴿١٧٣﴾ فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوءٌ واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم﴾.

إن الإنسان وحده لا يستطيع أن يصارع الأحداث، ولا يقاوم الملمّات، ولا ينازل الخطوب، لأنه خلق ضعيفاً عاجزاً. إلا حينما يتوكل على ربّه ويثق بمولاه، ويفوّض الأمر إليه، وإلا فما حيلة هذا العبد الفقير الحقير إذا احتوشته المصائب، وأحاطت به النكبات ﴿وعلى الله فتوكّلوا إن كُنتم مؤمنين﴾.

فيا من أراد أن ينصح نفسه: توكل على القوي الغني ذي القوة المتين، لينقذك من الويلات، ويخرجك من الكربات، واجعل شعارك ودثارك **حسبنا الله ونعم الوكيل**، فإن قلّ مالك، وكثر دَيْنُك، وجفت مواردك، وشحّت مصادرك، فناد: **حسبنا الله ونعم الوكيل**.

وإذا خفت من عدو، أو رعبت من ظالم، أو فزعت من خطب فاهتف: **حسبنا الله ونعم الوكيل**.

﴿وكفى بربك هاديا ونصيرا﴾.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ﴾

مما يشرح الصدر، ويزيح سحب الهم والغم، السفر في الديار، وقطع القفار، والتقلب في الأرض الواسعة، والنظر في كتاب الكون المفتوح لتشاهد أقلام القدرة وهي تكتب على صحفات الوجود آيات الجمال، لترى حدائق ذات بهجة، ورياضاً أنيقة وجنات ألفافاً، اخرج من بيتك وتأمل ما حولك وما بين يديك وما خلفك، اصعد الجبال، اهبط الأودية، تسلّق الأشجار، عب من الماء النمير، ضع أنفك على أغصان الياسمين، حينها تجد روحك حرة طليقة، كالطائر الغرّيد تسبح في فضاء السعادة، اخرج من بيتك، ألق الغطاء الأسود عن عينيك، ثم سر في فجاج الله الواسعة ذاكراً مسبحاً.

إن الانزواء في الغرفة الضيّقة مع الفراغ القاتل طريق ناجع للانتحار، وليست غرفتك هي العالم، وليست أنت كل الناس، فلم الاستسلام أمام كتائب الأحزان، ألا فاهتف ببصرك وسمعك وقلبك: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾، تعال لتقرأ القرآن هنا بين الجداول والخمائل، بين الطيور وهي تتلو خطب الحب، وبين الماء وهو يروي قصة وصوله من التلّ.

إن الترحال في مسارب الأرض متعة يوصي بها الأطباء لمن ثقلت عليه نفسه، وأظلمت عليه غرفته الضيقة، فهيا بنا نسافر لتسعد ونفرح ونفكر وتتدبّر ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ﴾.

فصبرٌ جميل

التحلّي بالصبر من شيم الأفذاذ الذين يتلقون المكاره برحابة صدر وبقوة إرادة، ومناعة أبيّة، وإن لم أصبر أنا وأنت فماذا نصنع؟!

هل عندك حل لنا غير الصبر؟ هل تعلم لنا زاداً غيره؟

كان أحد العظماء مسرحاً تركض فيه المصائب، وميداناً تتسابق فيه النكبات. كلما خرج من كربة زارته كربة أخرى، وهو متترس بالصبر، متدرّع بالثقة بالله.

هكذا يفعل النبلاء، يُصارعون الملمّات ويطرحون النكبات أرضاً.

دخلوا على أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وهو مريض، قالوا: ألا ندعو لك طبيباً؟ قال: الطبيب قد رآني. قالوا: فماذا قال؟ قال: يقول: إني فعال لما أريد.

واصبر وما صبرك إلاّ بالله، اصبر صبر واثق بالفرج، عالم بحسن المصير، طالب للأجر، راغب في تكفير السيئات، اصبر مهما ادلهمّت الخطوب، وأظلمت أمامك الدروب، فإن النصر مع الصبر، وإن الفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسراً.

قرأت سير عظماء مرّوا في هذه الدنيا، وذهلت لعظيم صبرهم وقوة احتمالهم، كانت المصائب تقع على رؤوسهم كأنها قطرات ماء باردة، وهم في ثبات الجبال، وفي رسوخ الحق، فما هو إلاّ وقت قصير فتشرق وجوههم على طلائع فجر الفرج، وفرحة الفتح، وعصر النصر، وأحدهم ما اكتفى بالصبر وحده، بل نازل الكوارث، وصاح في وجه المصائب متحدياً.

لا تحمل الكرة الأرضية على رأسك

نفر من الناس تدور في نفوسهم حرب عالميّة. وهم على فرش النوم. فإذا وضعت الحرب أوزارها غنموا قرحة المعدة. وضغط الدم والسكّري. يحترقون مع الأحداث. يغضبون من غلاء الأسعار. يثورون لتأخر الأمطار. يَضجُون لانخفاض سعر العملة. فهم في انزعاج دائم. وقلق واصب ﴿يحسَبُونَ كُلَّ صَيْحةٍ عليْهِمْ﴾.

ونصيحتي لك أن **لا تحمل الكرة الأرضية على رأسك**. دع الأحداث على الأرض ولا تضعها في أمعائك. إن البعض عنده قلب كالإسفنجة يتشرب الشائعات والأراجيف. ينزعج للتوافه. يهتز للواردات. يضطرب لكل شيء. وهذا القلب كفيل أن يحطم صاحبه. وأن يهدم كيان حامله.

أهل المبدأ الحق تزيدهم العبر والعظات إيماناً إلى إيمانهم. وأهل الخور تزيدهم الزلازل خوفاً إلى خوفهم. وليس أنفع أمام الزوابع والدواهي من قلب شجاع. فإن المقدام الباسل واسع البطان. ثابت الجأش. راسخ اليقين. بارد الأعصاب. منشرح الصدر. أما الجبان فهو يذبح نفسه كل يوم مرات بسيف التوقّعات والأراجيف والأوهام والأحلام. فإن كنت تريد الحياة المستقرة فواجه الأمور بشجاعة وجلد. ولا يستخفنّك الذين لا يوقنون. ولا تك في ضيق مما يمكرون. كن أصلب من الأحداث. وأعتى من رياح الأزمات. وأقوى من الأعاصير. وارحمتاه لأصحاب القلوب الضعيفة. كم تهزّهم الأيام هزّاً ﴿ولتجدنّهُمْ أحْرَصَ الناسِ على حَياةٍ﴾. وأما الأباة فهم من الله في مدد. وعلى الوعد في ثقة ﴿فأنزل السّكينةَ عليْهِمْ﴾.

لا تحطمك التوافه

كم من مهموم سبب همه أمرٌ حقير تافه لا يذكر!!.

انظر إلى المنافقين، ما أسقط هممهم، وما أبرد عزائمهم، هذه أقوالهم: ﴿ لا تنفروا في الحر ﴾ ، ﴿ائذن لي ولا تفتني ﴾ ، ﴿ بيوتنا عورة ﴾ ، ﴿ نخشى أن تصيبنا دائرة ﴾ ، ﴿ ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا ﴾ .

يا لخيبة هذه المعاطس يا تعاسة هذه النفوس.

همهم البطون والصحون والدور والقصور، لم يرفعوا أبصارهم إلى سماء المُثُل، لم ينظروا أبداً إلى نجوم الفضائل. همُّ أحدهم ومبلغ علمه: دابته وثوبه ونعله ومأدبته، وانظر لقطاع هائل من الناس تراهم صباح مساء سبب همومهم خلاف مع الزوجة، أو الابن، أو القريب، أو سماع كلمة نابية، أو موقف تافه. هذه مصائب هؤلاء البشر، ليس عندهم من المقاصد العليا ما يشغلهم، ليس عندهم من الاهتمامات الجليلة ما يملأ وقتهم، وقد قالوا: إذا خرج الماء من الإناء ملأه الهواء، إذاً ففكر في الأمر الذي تهتم له وتغتم، هل يستحق هذا الجهد وهذا العناء، لأنك أعطيته من عقلك ولحمك ودمك وراحتك ووقتك، وهذا غبن في الصفقة، وخسارة هائلة ثمنها بخس، وعلماء النفس يقولون: اجعل لكل شيء حدّاً معقولاً، وأصدق من هذا قوله تعالى: ﴿ قد جعل الله لكل شيء قدراً ﴾ فأعط القضية حجمها ووزنها وقدرها وإياك والظلم والغلو.

هؤلاء الصحابة الأبرار عندما أحبت الشمس رؤية الوفاء والإخلاء فإذا هم رضوان الله عليهم يرسمون أنفسهم وعملهم حتى وقت البيع وكان جزاؤهم الغفران والمغفرة.

نطرح التجارة والأرباح نقابل بها نجد أن أكثر همومنا أكبر من ذلك وعندئذ نرجع مسرورين.

ارضَ بما قسم الله لك
تكن أغنى الناس

مر فيما سبق بعض معاني هذا الحديث الكتفي أبسطه هنا ليفهم أكثر وهو أنّ عليك أن تقنع بما قسم الله من جسم ومال وولد وسكن وموطنة وهذا منطق القرآن وفحوى ما تبنّاه وتكن من المتأخرين أن غالب علماء السلف وأكثر الجيل الأول كانوا فقراء لم يكن لديهم أعطيات ولا مساكن بنيت، ولا مراكب ولا حشم، ومع ذلك أثروا الحياة وأسعدوا أنفسهم والإنسانية لأنهم وجهوا ما آتاهم الله من خير في سبيله الصحيح فبورك لهم في أعمارهم وأوقاتهم ومواهبهم، ويقابل هذا الصنف الكبار الذين أعطوا من الأموال والأولاد والنعم، فكانت ... على أنفسهم وإنسانيتهم، لأنهم انحرفوا عن الفطرة السوية والمنهج الحق وهذا برهان ساطع على أن الأشياء ليست كل شيء. انظر إلى من حمل شهادات عالية لا تقل فكراً من

[illegible] عضلته وبهجته وأزرى بسائر الآخرين. تصدقهم تعلم محسنون، فلا تبخل عليه بمزيد من الدعم والإصلاح والتطوير.

إن كنت تريد السعادة فدرس سورة التين وما بعدها الذي يقول الله فيه: "وأنت موجود معه الأسرى، وهو وكلك، ومسئول فيه عنك، وعما لك، بل بين يعتبر بعوامل بارهاك وبناءه وبين بأي أيدي من ذلك فإن تتولوا تبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم" وبدون ما أنت عليه.

هناك قائمة واقعة مليئة بالأسماء الذين يضربون حظوظهم الدنيوية:

عطاء بن رباح عالم المدينة الذي عاش ثمانين سنة يعود الفضل لكل مناسك الشهر.

الأحنف بن قيس، حليم الله ورد قادرة، تعلم من أدب الأدب أحنف الساقين، صعيف البنية.

الأعمش محدث الكوفة، من الموالي، ضعيف البصر، شاعر ذاكرة، معزق الثياب، رث الهيئة والمنزل.

بل الأنبياء الكرام صلوات الله وسلامه عليهم، فإن سليمان على العلم، وكان داود حداداً، وزكريا نجاراً، وإدريس خياطاً، وهم سادة الناس وخير البشر.

أن فقيمتك موهبتك، وعملك الصالح، وخلقك، وخلقك، فلا تأس على ما فاتك من جمال أو مال أو عيال، وارض بقسمة الله: "نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا".

ذكّر نفسك بجنة عرضها السماوات والأرض

إن جعت في هذه الدار أو افتقرت أو حزنت أو مرضت أو بخست حقاً أو ذقت ظلماً فذكّر نفسك بالنعيم. إنك إن اعتقدت هذه العقيدة وعملت لهذا المصير، تحولت خسائرك إلى أرباح، وبلاياك إلى عطايا. إن أعقل الناس هم الذين يعملون للآخرة لأنها خير وأبقى، وإن أحمق هذه الخليقة هم الذين يرون أن هذه الدنيا هي قرارهم ودارهم ومنتهى أمانيهم، فتجدهم أجزع الناس عند المصائب، وأندمهم عند الحوادث، لأنهم لا يرون إلاّ حياتهم الزهيدة الحقيرة، لا ينظرون إلاّ إلى هذه الفانية، لا يتفكرون في غيرها ولا يعملون لسواها. فلا يريدون أن يعكّر لهم سرورهم ولا يكدّر عليهم فرحهم. ولو أنهم خلعوا حجاب الران عن قلوبهم، وغطاء الجهل عن عيونهم لحدثوا أنفسهم بدار الخلد ونعيمها ودورها وقصورها، ولسمعوا وأنصتوا لخطاب الوحي في وصفها. إنها والله الدار التي تستحق الاهتمام والكد والجهد.

هل تأملنا طويلاً وصف أهل الجنة بأنهم لا يمرضون ولا يحزنون ولا يموتون. ولا يفنى شبابهم، ولا تبلى ثيابهم، في غرف يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. يسير الراكب في شجرة من أشجارها مائة عام لا يقطعها، طول الخيمة فيها ستون ميلاً. أنهارها مُطّردة، قصورها منيفة، قطوفها دانية، عيونها جارية، سررها مرفوعة، أكوابها موضوعة، نمارقها مصفوفة،

زرابيّها مبثوثة، تم سرورها، عظم حبورها، فاح عرفها، عظم وصفها، منتهى الأماني فيها، فأين عقولنا لا تفكر؟! ما لنا لا نتدبَّر؟!

إذا كان المصير إلى هذه الدار؛ فلتخف المصائب على المصابين، ولتقر عيون المنكوبين، ولتفرح قلوب المعدمين.

فيا أيها المسحوقون بالفقر، المنهكون بالفاقة، المبتلون بالمصائب، اعملوا صالحاً؛ لتسكنوا جنة الله وتجاوروه تقدست أسماؤه ﴿سلامٌ عليكُم بما صبرتُم فنعمَ عُقبى الدار﴾.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾

العدل مطلب عقلي وشرعي، لا غلو ولا جفاء، لا إفراط ولا تفريط، ومن أراد السعادة فعليه أن يضبط عواطفه، واندفاعاته، وليكن عادلاً في رضاه وغضبه، وسروره وحزنه؛ لأن الشطط والمبالغة في التعامل مع الأحداث ظلمٌ للنفس، وما أحسن الوسطيّة، فإن الشرع نزل بالميزان، والحياة قامت على القسط، ومن أتعب الناس من طاوع هواه، واستسلم لعواطفه وميولاته، حينها تتضخّم عنده الحوادث، وتظلم لديه الزوايا، وتقوم في قلبه معارك ضارية من الأحقاد والدخائل والضغائن، لأنه يعيش في أوهام وخيالات، حتى إن بعضهم يتصوّر أن الجميع ضده، وأن الآخرين

يحبكون مؤامرة لإبادته، وتملي عليه وساوسه أن الدنيا له بالمرصاد. فلذلك يعيش في سحب سود من الخوف والهم والغم.

إن الإرجاف ممنوع شرعاً، رخيص طبعاً، ولا يمارسه إلاّ أناس مفلسون من القيم الحيّة والمبادئ الربانيّة ﴿يحسبون كُلَّ صيحةٍ عليهم هم العدو﴾.

اجلس قلبك على كرسيّه، فأكثر ما يخاف لا يكون، ولك قبل وقوع ما تخاف وقوعه أن تقدر أسوأ الاحتمالات، ثم توطن نفسك على تقبل هذا الأسوأ، حينها تنجو من التكهنات الجائرة التي تمزّق القلب قبل أن يقع الحدث فيبقى.

فيا أيها العاقل اللبيب: أعطِ كل شيء حجمه، ولا تضخم الأحداث والمواقف والقضايا، بل اقتصد واعدل ولا تجُر، ولا تذهب مع الوهم الزائف، والسراب الخادع، اسمع ميزان الحب والبغض في الحديث: «أحبب حبيبك هوناً ما، فعسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وابغض بغيضك هوناً ما، فعسى أن يكون حبيبك يوماً ما». ﴿عسى اللهُ أن يجعلَ بينكُم وبينَ الذينَ عاديتُم منهم مودّةً واللهُ قديرٌ واللهُ غفورٌ رحيمٌ﴾.

إن كثيراً من التخويفات والأراجيف لا حقيقة لها.

الحزن ليس مطلوباً شرعاً، ولا مقصوداً أصلاً

فالحزن منهيٌّ عنه في قول تعالى: ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا﴾. وقوله: ﴿ولا تحزن عليهم﴾. في غير موضع. وقوله: ﴿لا تحزن إن الله معنا﴾. والمنفي كقوله: ﴿فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون﴾. فالحزن خمود لجذوة الطلب. وهمود لروح الهمّة. وبرود في النفس. وهو حُمّى تشلُّ جسم الحياة.

وسرُّ ذلك: أن الحزن مُوقِّف غير مُسَيِّر. ولا مصلحة فيه للقلب. وأحبُّ شيء إلى الشيطان: أن يُحَزِّن العبد ليقطعه عن سيره. ويوقفه عن سلوكه. قال الله تعالى: ﴿إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا﴾. ونهى النبيُّ ﷺ الثلاثة: «أن يتناجى اثنان منهم دون الثالث. لأن ذلك يُحزنه». وحزن المؤمن غير مطلوب ولا مرغوب فيه. لأنه من الأذى الذي يصيب النفس. وقد طُلب من المسلم طردُه وعدم الاستسلام له. ودحضُه وردُّه ومقاومته ومقاليته بالوسائل المشروعة.

فالحزن ليس بمطلوب. ولا مقصود. ولا فيه فائدة. وقد استعاذ منه النبي ﷺ فقال: «اللهم إني أعوذ بك من الهمّ والحزن». فهو قرين الهمّ. والفرق بينهما: أن المكروه الذي يرد على القلب إن كان لما يُستقبل أورثه الهمّ. وإن كان لما مضى أورثه الحزن. وكلاهما مضعف للقلب عن السير. مُفتِّر للعزم.

والحزن تكديرٌ للحياة وتنغيص للعيش، وهو مصلٌ سامٌّ للروح. يورثها الفتور والنكد والحيرة. ويصيبها بوجوم قاتم متذلِّل أمام الجمال. فتهوي عند الحسن، وتنطفىء عند مباهج الحياة. فتحتسي كأس الشؤم والحسرة والألم.

ولكن نزول منزلته ضروري بحسب الواقع. ولهذا يقول أهل الجنة إذا دخلوها: ﴿الحمدُ لله الذي أذهب عنا الحزن﴾ فهذا يدلُّ على أنهم كان يصيبهم في الدنيا الحزن، كما يصيبهم سائر المصائب التي تجري عليهم بغير اختيارهم. فإذا حلَّ الحزن وليس للنفس فيه حيلة، وليس لها في استجلابه سبيل. فهي مأجورة على ما أصابها؛ لأنه نوْع من المصائب. فعلى العبد ان يدافعه إذا نزل بالأدعية والوسائل الحيِّة الكفيلة بطرده.

وأما قوله تعالى: ﴿ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجدُ ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيضُ من الدمع حزنا ألاَّ يجدوا ما ينفقون﴾. فلم يُمدحوا على نفس الحزن، وإنما مُدحوا على ما دلَّ عليه الحزن من قوة إيمانهم، حيث تخلَّفوا عن رسول الله ﷺ لعجزهم عن النفقة. ففيه تعريضٌ بالمنافقين الذين لم يحزنوا على تخلُّفهم، بل غبطوا نفوسهم به.

فإن الحزن المحمود إنْ حُمد بعد وقوعه ـ وهو ما كان سببه فوت طاعة، أو وقوع معصية ـ فإنَّ حزن العبد على تقصيره مع ربِّه وتفريطه في جنب مولاه: دليلٌ على حياته وقبوله الهداية، ونوره واهتدائه.

أما قوله ﷺ في الحديث الصحيح: «**ما يصيب المؤمن من همٍّ ولا نصب ولا حزن، إلا كفّر الله به من خطاياه**». فهذا يدلُّ على أنه مصيبة من الله يصيب بها العبد، يكفّر بها من سيئاته، ولا يدلُّ على أنه مقام ينبغي طلبه واستيطانه، فليس للعبد أن يطلب الحزن ويستدعيه ويظنّ أنه عبادة، وأن الشارع حثّ عليه، أو أمر به، أو رضيه، أو شرعه لعباده، ولو كان هذا صحيحاً لقطع ﷺ حياته بالأحزان، وصرفها بالهموم، كيف وصدره منشرح ووجهه باسم، وقلبه راضٍ، وهو متواصل السرور؟!

وأما حديث هند بن أبي هالة، في صفة النبي ﷺ: «**أنه كان متواصل الأحزان**». فحديث لا يثبت، وفي إسناده مَن لا يُعرف، وهو خلاف واقعه وحاله ﷺ.

وكيف يكون متواصل الأحزان، وقد صانه الله عن الحزن على الدنيا وأسبابها، ونهاه عن الحزن على الكفار، وغفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر؟! فمن أين يأتيه الحزن؟! وكيف يصل إلى قلبه؟! ومن أي الطرق ينساب إلى فؤاده، وهو معمور بالذكر، ريّان بالاستقامة، فيّاض بالهداية الربانية، مطمئنٌّ بوعد الله، راضٍ بأحكامه وأفعاله؟! بل كان دائم البِشْر، ضحوك السِّنّ، كما في صفته «الضَّحوك القَتّال». صلوات الله وسلامه عليه. ومَن غاص في أخباره ودقّق في أعماق حياته واستجلى أيامه، عرف أنه جاء لإزهاق الباطل ودحْضِ القلق والهم والغم والحزن، وتحرير النفوس من استعمار الشُّبَه والشكوك والشرك والحيرة والاضطراب، وإنقاذها من مهاوي المهالك، فلله كمْ له على البَشَر من مِنّة.

وأما الخبر المروي: «إن الله يحبُّ كلَّ قلب حزين»، فلا يُعرف إسناده، ولا مَن رواه ولا نعلم صحته. وكيف يكون هذا صحيحاً، وقد جاءت السُّنة بخلافه، والشرع بنقضه؟! وعلى تقدير صحته: فالحزن مصيبة من المصائب التي يبتلي الله بها عبده، فإذا ابتُلي به العبد فصبر عليه، أحبَّ صبره على بلائه. والذين مدحوا الحزن وأشادوا به ونسبوا إلى الشرع الأمرَ به وتحبيذه: أخطؤوا في ذلك؛ بل ما ورد إلاَّ النهي عنه، والأمر بضدِّه، من الفرح برحمة الله تعالى وبفضله، وبما أنزل على رسول الله ﷺ، والسرور بهداية الله والانشراح بهذا الخير المبارك الذي نزل من السماء على قلوب الأولياء.

وأما الأثر الآخر: «**إذا أحبَّ الله عبداً نصب في قلبه نائحة، وإذا أبغض عبداً جعل في قلبه مزماراً**». فأثر إسرائيلي، قيل: إنه في التوراة. وله معنى صحيح، فإن المؤمن حزين على ذنوبه، والفاجر لاهٍ لاعب، مترنِّم فَرِح. وإذا حصل كسْر في قلوب الصالحين فإنما هو نِعَمٌ فاتتهم من الخيرات، وقصَّروا فيه من بلوغ الدرجات، وارتكبوه من السيئات، خلاف حزن العُصاة، فإنه على فوت الدنيا وشهواتها وملاذِّها ومكاسبها وأغراضها، فهمُّهم وغمُّهم وحزنهم لها، ومن أجلها وفي سبيلها.

وأما قوله تعالى عن نبيِّه «إسرائيل»: ﴿وابيضَّتْ عيناهُ من الحُزْنِ فهُوَ كظيمٌ﴾: فهو إخبار عن حاله بمصابه بفقْد ولده وحبيبه، وأنه ابتلاه بذلك كما ابتلاه بالتفريق بينه وبينه. ومجرد الإخبار عن الشيء لا يدلُّ على استحسانه ولا على الأمر به ولا الحثِّ عليه، بل أُمرنا أن نستعيذ بالله من الحزن، فإنه سحابة ثقيلة وليل جاثم طويل، وعائق في طريق السائر إلى معالي الأمور.

وأجمع أرباب السلوك على أن حزن الدنيا غير محمود، إلا ما عثمان الجبري، فإنه قال: الحزن بكل وجه فضيلة، وزيادة للمؤمن، ما لم يكن بسبب معصية. قال: لأنه إن لم يُوجب تخصيصاً، فإنه يُوجب تمحيصاً.

فيُقال: لا ريب أنه محنة وبلاء من الله، بمنزلة المرض والهم والغم. وأمّا أنه من منازل الطريق، فلا.

فعليك بجلب السرور واستدعاء الانشراح، وسؤال الله الحياة الطيبة والعيشة الرضيَّة، وصفاء الخاطر، ورحابة البال، فإنها نعم عاجلة، حتى قال بعضهم: إن في الدنيا جنة، من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة.

والله المسؤول وحده أن يشرح صدورنا بنور اليقين، ويهدي قلوبنا لصراطه المستقيم، وأن ينقذنا من حياة الضنك والضيق.

وقفة

هيا نهتف نحن وإياك بهذا الدعاء الحارّ الصادق، فإنه يُكشف الكُرَب والهمّ والحزن: «**لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله ربُّ السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم، يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت برحمتك أستغيث**».

«**اللهمّ رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت**».

«أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه».

«لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين».

«اللهم إني عبدك، ابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمك، عدلٌ فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سمَّيت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علَّمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، ان تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وذهاب همي، وجلاء حزني».

«اللهم إني أعوذ بك من الهمِّ والحزن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدَّين وغلبة الرجال».

«حسبنا الله ونعم الوكيل».

ابتسم

الضحك المعتدل يلتئم للهموم ومرهم للأحزان. وله قوة عجيبة في فرح الروح، وجذل القلب، حتى قال أبو الدرداء ـ رضي الله عنه ـ: إني لأضحك حتى يكون إجماماً لقلبي. وكان أكرمُ الناس ﷺ يضحك أحياناً حتى تبدو نواجذه، وهذا ضحك العقلاء البصراء بداء النفس ودوائها.

والضحك ذروة الانشراح وقمة الراحة ونهاية الانبساط، ولكنه ضحك بلا إسراف: «لا تكثر الضحك، فإن كثرة الضحك تُميتُ القلب». ولكنه

التوسُّط: «وتبسُّمك في وجه أخيك صدقة». ﴿فتبسَّم ضاحكاً من قولها﴾. وليس ضحك الاستهزاء والسخرية: ﴿فلمَّا جاءهُم بآياتنا إذا هُم منها يضحكُون﴾. ومن نعيم أهل الجنة الضحك: ﴿فاليوم الذين آمنُوا من الكُفار يضحكُون﴾.

وكانت العرب تمدح ضحوك السِّن، وتجعله دليلاً على سَعة النفس وجودة الكفّ، وسخاوة الطبع، وكرم السجايا، ونداوة الخاطر:

ضحوكُ السِّنّ يطربُ للعطايا ويفرحُ إن تعرَّضَ بالسؤالِ

وقال زهير في «هَرِم»:

تراه إذا ما جئتَهُ متهلِّلاً كأنكَ تعطيه الذي أنت سائلُهْ

والحقيقة أن الإسلام بُني على الوسطية والاعتدال في العقائد والعبادات والأخلاق والسلوك، فلا عبوس مخيف قاتم، ولا قهقهة مستمرة عابثة، لكنه جدٌّ وقور، وخفّة روح واثقة.

يقول أبو تمام:

نفسي فداءُ أبي عليٍّ إنهُ صبحُ المؤمِّل كوكبُ المتأمِّلِ

فكهٌ يجسِّمُ الجدَّ أحياناً وقدْ ينضُو ويهزِلُ عيشُ من لم يهزِلِ

إن انقباض الوجه والعبوس علامة على تذمُّر النفس، وغليان الخاطر، وتعكُّر المزاج: ﴿ثُمَّ عبس وبسر﴾.

وجوهُهم منْ سوادِ الكبْرِ عابسةٌ كأنمـا أوردوا غصْباً إلـى النـارِ

ليسوا كقومٍ إذا لاقيتَهم عَرَضاً مثلَ النجومِ التي يسري بها الساري

• «ولو ان تلقى أخاك بوجهٍ طلْق».

يقول أحمد أمين في «فيْض الخاطر»: «ليس المبتسمون للحياة أسعد حالاً لأنفسهم فقط. بل هم كذلك أقدر على العمل، وأكثر احتمالاً للمسؤولية، وأصلح لمواجهة الشدائد ومعالجة الصعاب، والإتيان بعظائم الأمور التي تنفعهم وتنفع الناس.

لو خُيِّرتَ بين مال كثير أو منصب خطير، وبين نفس راضية باسمة، لاخترتَ الثانية. فما المال مع العبوس؟! وما المنصب مع انقباض النفس؟! وما كل ما في الحياة إذا كان صاحبه ضيِّقاً حرِجاً كأنه عائد من جنازة حبيب؟! وما جمال الزوجة إذا عبست وقلَبت بيتها جحيماً؟! لخَيرٌ منها - ألفَ مرة - زوجة لم تبلغ مبلغها في الجمال وجعلت بيتها جنَّة.

ولا قيمة للبسمة الظاهرة إلا إذا كانت منبعثة مما يعتري طبيعة الإنسان من شذوذ. فالزهر باسم والغابات باسمة. والبحار والأنهار والسماء والنجوم والطيور كلها باسمة. وكان الإنسان بطبعه باسماً لولا ما يعرض له من طمع وشرٍّ وأنانية تجعله عابساً. فكان بذلك نشازاً في نغمات الطبيعة المنسجمة. ومن أجل هذا لا يرى الجمالَ مَن عبست نفسه، ولا يرى الحقيقة من تدنَّس قلبه. فكل إنسان يرى الدنيا من خلال عمله وفكْره وبواعثه. فإذا كان العمل طيباً والفكر نظيفاً والبواعث طاهرة، كان منظاره الذي يرى به الدنيا نقيًّا.

فرأى الدنيا جميلة كما خُلقت، وإلاّ تغبّش منظاره، واسودّ زجاجُه، فرأى كل شيء أسود مغبشاً.

هناك نفوس تستطيع أن تصنع من كل شيء شقاء، ونفوس تستطيع أن تصنع من كل شيء سعادة. هناك المرآة في البيت لا تقع عينها إلا على الخطأ، فاليوم أسود، لأنَّ طبقاً كُسِر، ولأن نوعاً من الطعام زاد الطاهي في ملْحِه، أو لأنها عثرت على قطعة من الورق في الحجرة، فتهيج وتسبُّ، ويتعدّى السباب إلى كلّ من في البيت، وإذا هو شعلة من نار. وهناك رجل ينغّص على نفسه وعلى مَن حوله. من كلمة يسمعها أو يؤوّلها تأويلاً سيّئاً، أو من عمل تافه حدث له، أو حدث منه، أو من ربْح خسره، أو من ربح كان ينتظره فلم يحدث، أو نحو ذلك. فإذا الدنيا كلها سوداء في نظره. ثم هو يسوّدها على مَن حوله. هؤلاء عندهم قدرة على المبالغة في الشر. فيجعلون من الحبّة قُبّة، ومن البذرة شجرة، وليس عندهم قدرة على الخير. فلا يفرحون بما أُوتوا ولو كثيراً، ولا ينعمون بما نالوا ولو عظيماً.

الحياة فنٌّ، وفنٌّ يُتعلّم، ولخيرٌ للإنسان أن يَجِدَّ في وضع الأزهار والرياحين والحُبِّ في حياته، من أن يجدَّ في تكديس المال في جيبه أو في مصرفه. ما الحياة إذا وُجِّهتْ كل الجهود فيها لجمع المال، ولم يُوجَّه أي جهد لترقية جانب الرحمة والحبِّ فيها والجمال؟!

أكثر الناس لا يفتحون أعينهم لمباهج الحياة، وإنما يفتحونها للدرهم والدينار، يمرُّون على الحديقة الغنّاء، والأزهار الجميلة، والماء المتدفّق،

والطيور المغرِّدة. فلا يأبهون لها. وإنما يأبهون لدينار يدخل ودينار يخرج. قد كان الدينار وسيلة للعيشة السعيدة. فقلبوا الوضع وباعوا العيشة السعيدة من أجل الدينار. وقد رُكِّبتْ فينا العيون لتنظر الجمال. فعوَّدناها ألا تنظر إلاَّ إلى الدينار.

ليس يعبِّس النفس والوجه كاليأس. فإنْ أردتَ الابتسام فحارب اليأس. إن الفرصة سانحة لك وللناس. والنجاح مفتوحٌ بابُه لك وللناس. فعوِّدْ عقلك تفتُّح الأمل. وتوقُّعَ الخير في المستقبل.

إذا اعتقدتَ أنك مخلوق للصغير من الأمور لم تبلغ في الحياة إلا الصغير. وإذا اعتقدتَ أنك مخلوقٌ لعظائم الأمور شعرتَ بهمَّة تكسر الحدود والحواجز. وتنفذ منها إلى الساحة الفسيحة والغرض الأسمى. ومصداق ذلك حادث في الحياة المادية. فمن دخل مسابقة مائة متر شعر بالتعب إذا هو قطعها. ومن دخل مسابقة أربعمائة متر لم يشعر بالتعب من المائة والمائتين. فالنفس تعطيك من الهمة بقدر ما تحدِّد من الغرض. حدِّدْ غرضك. وليكنْ سامياً صعب المنال. ولكن لا عليك في ذلك ما دمتَ كل يوم تخطو إليه خطواً جديداً. إنما يصدُّ النفس ويعبِّسها ويجعلها في سجن مظلم: اليأسُ وفقدان الأمل. والعيشة السيئة برؤية الشرور. والبحث عن معايب الناس. والتشدُّق بالحديث عن سيئات العالم لا غير.

وليس يُوفَّق الإنسانُ في شيء كما يُوفَّق إلى مُرَبٍّ ينمّي ملكاته الطبيعية. ويعادل بينها ويوسِّع أفقه. ويعوِّده السماحة وسعة الصدر. ويعلِّمه أن خير غرض يسعى إليه أن يكون مصدرَ خير للناس بقدر ما يستطيع. وأن تكون

نفسه شمساً مشعَّة للضوء والحب والخير، وأن يكون قلبه مملوءاً عطفاً وبرّاً وإنسانية، وحبّاً لإيصال الخير لكل من اتصل به.

النفس الباسمة ترى الصعاب فيلذُّها التغلُّب عليها، تنظرها فتبسّم، وتعالجها فتبسم، وتتغلب عليها فتبسم. والنفس العابسة لا ترى صعاباً فتخلقها، وإذا رأتها أكبرتها واستصغرت همّتها وتعلّلت بلو وإذا وإن، وما الدهر الذي يلعنه إلا مزاجه وتربيته. إنه يودُّ النجاح في الحياة ولا يريد أن يدفع ثمنه. إنه يرى في كل طريق أسداً رابضاً، إنه ينتظر حتى تمطر السماء ذهباً أو تشقّ الأرض عن كنز.

إن الصعاب في الحياة أمور نسبية، فكل شيء صعب جدّاً عند النفس الصغيرة جدّاً، ولا صعوبة عظيمة عند النفس العظيمة، وبينما النفس العظيمة تزداد عظمة بمغالبة الصعاب إذا بالنفوس الهزيلة تزداد سئماً بالفرار منها، وإنما الصعاب كالكلب العقور، إذا رآك خفتَ منه وجريتَ، نَبحَك وعدا ورآك، وإذا رءاك تهزأ به ولا تُعيره اهتماماً وتبرقُ له عينك، أفسح الطريق لك، وانكمش في جلده منك.

ثم لا شيء أقتلَ للنفس من شعورها بضعفها وصغر شأنها وقلّة قيمتها، وأنها لا يمكن أن يصدر عنها عمل عظيم، ولا يُنتظر منها خير كبير. هذا الشعور بالضّعة يُفقِد الإنسان الثقة بنفسه والإيمان بقوتها، فإذا أقدم على عمل ارتاب في مقدرته وفي إمكان نجاحه، وعالجه بفتور ففشل فيه. الثقة بالنفس فضيلة كبرى عليها عماد النجاح في الحياة، وشتّان بينها وبين الغرور الذي يُعدُّ رذيلة، والفرق بينهما أن الغرور اعتماد النفس على الخيال

وعلى الكبر تزكن، والثقة بالنفس اعتمادها على مقدراتها، على تحمل المسؤولية، على القدرة على الكتابة والتعبير عن التجربة..

يقول إيليا أبو ماضي:

قال: السماء كئيبة، وتجهما ... قلت: ابتسم يكفي التجهم في السما!

قال: الصبا ولى! فقلت له: ابتسم ... لن يرجع الأسف الصبا المتصرما!

قال: التي كانت سمائي في الهوى ... صارت لنفسي في العرام جهنما!

خانت عهودي بعدما ملكتها ... قلبي، فكيف أطيق أن أتبسما!

قلت: ابتسم واضرب فلو فارقتها ... قضيت عمرك كله متألما!

قال: التجارة في صراع هائل ... مثل المسافر كاد يقتله الظما

أو غادة مسلولة محتاجة ... للدم، وتنفث كلما لهثت دما!

قلت: ابتسم، ما أنت جالب دائها ... وشفائها، فإذا ابتسمت فربما...

أيكون غيرك مجرماً، وتبيت في ... وجل كأنك أنت صرت المجرما؟

قال: العدى حولي علت صيحاتهم ... أأسر والأعداء حولي في الحمى؟

قلت: ابتسم، لم يطلبوك بذمهم ... لو لم تكن منهم أجل وأعظما!

قال: المواسم قد بدت أعلامها ... وتعرضت لي في الملابس والدمى

وعلي للأحباب فرض لازم ... لكن كفي ليس تملك درهما

قلت: ابتسم، يكفيك أنك لم تزل ... حيا، ولست من الأحبة معدما!

قال: الليالي جرعتني علقماً ... قلت: ابتسم، ولئن جرعت العلقما

فلعل غيرك إن رآك مرنماً ... طرح الكآبة جانباً وترنما

أتراك تعلم ما يسرم درهماً ... أم أنت بالحدثان منك أعلما؟

يا صاح لا تخطر على شفتيك أنْ ... تتبسّما، والوجه أنْ يتحطما

فاضحك فإنّ الشهب تضحك والدُجى ... حتى متلاطم، ولد؛ نحسُ الأنجما!

قال: البشاشة ليس تسعدُ كائناً ... يأتي إلى الدنيا ويذهبُ مرغما

قلت: ابتسم مادام بينك والردى ... شبرٌ، فإنك بعدُ لن تتبسّما

ما أحوجنا إلى البسمة وطلاقة الوجه، وانشراح الصدر وأريحيّة الخلق، ولطف الروح ولين الجانب. «إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا، حتى لا يبغي أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد».

وقفـــة

لا تحزن: لأنك جرّبتَ الحزنَ بالأمس فما نفعك شيئاً، رسب ابنُك فحزنتَ، فهل نجح؟! مات والدك فحزنتَ فهل عاد حيًّا؟! خسرتَ تجارتك فحزنتَ، فهل عادت الخسائر أرباحاً؟!

لا تحزن: لأنك حزنتَ من المصيبة فصارت مصائب، وحزنتَ من الفقر فازددتَ نكداً، وحزنتَ من كلام أعدائك فأعنتَهم عليك، وحزنتَ من توقّع مكروه فما وقع.

لا تحزن: فإنه لن ينفعك مع الحزن دارٌ واسعة، ولا زوجة حسناء، ولا مال وفير، ولا منصب سام، ولا أولاد نُجباء.

لا تحزن: لأن الحزن يُريك الماء الزلال علْقماً، والوردة حنظلة، والحديقة صحراء قاحلة، والحياة سجناً لا يطاق.

لا تحزن: وأنت عندك عينان وأذنان وشفتان، ويدان ورجلان ولسان، وجنان وأمن وأمان، وعافية في الأبدان: ﴿فبأيّ آلاء ربكما تُكذّبان﴾.

لا تحزن: ولك دين تعتقده، وبيتٌ تسكنه، وخبزٌ تأكله، وماء تشربه، وثوبٌ تلبسه، وزوجة تأوي إليها، فلماذا تحزن؟!

نعمة الألم

الألم ليس مذموماً دائماً، ولا مكروهاً أبداً، فقد يكون خيراً للعبد أن يتألّم.

إن الدعاء الحارّ يأتي مع الألم، والتسبيح الصادق يصاحب الألم، وتألّم الطالب زمن التحصيل وحمّله لأعباء الطلب يُثمر عالماً جهبذاً، لأنه احترق في البداية فأشرق في النهاية. وتألّم الشاعر ومعاناته لما يقول تُنتج أدباً مؤثراً خلاّباً، لأنه انقدح مع الألم من القلب والعصَب والدم فهزّ المشاعر وحرّك الأفئدة. ومعاناة الكاتب تُخرج نِتاجاً حيًّا جذّاباً يمور بالعِبر والصور والذكريات.

إن الطالب الذي عاش حياة الدَّعَة والراحة ولم تلذعه الأزمات، ولم تكوه المُلِمّات، إن هذا الطالب يبقى كسولاً مترهّلاً فاتراً.

وإن الشاعر الذي ما عرف الألم ولا ذاق المرّ ولا تجرّع الغُصَص، تبقى قصائده رُكاماً من رخيص الحديث، وكُتلاً من زبد القول، لأن قصائده خرجت من لسانه ولم تخرج من وجدانه، وتلفّظ بها فهمه ولم يعشها قلبُه وجوانحه.

وأسمى من هذه الأمثلة وأرفع: حياة المؤمنين الأوّلين الذين عاشوا فجر الرسالة ومولد الملّة، وبداية البعث، فإنهم أعظم إيماناً، وأبرُّ قلوباً، وأصدقُ لهجة، وأعمق علماً، لأنهم عاشوا الألم والمعاناة: ألمَ الجوع والفقر والتشريد، والأذى والطرد والإبعاد، وفراق المألوفات، وهجر المرغوبات، وألمَ الجراح، والقتل والتعذيب. فكانوا بحقٍّ الصفوة الصافية، والثلّة المجتباة، آيات في الطهر، وأعلاماً في النبل، ورموزاً في التضحية. ﴿ ذلك بأنهم لا يُصيبهم ظمأٌ ولا نصبٌ ولا مخمصةٌ في سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدوٍّ نيلا إلا كُتب لهم به عملٌ صالحٌ إنّ الله لا يُضيعُ أجرَ المُحسنين ﴾.

وفي عالم الدنيا أناس قدّموا أروع نتاجهم، لأنهم تألّموا. فالمتنبي وعكّته الحمّى فأنشد رائعته:

وزائرتي كأنّ بها حياءً ... فليس تزور إلاّ في الظلام

والنابغة خوّفه النعمان بن المنذر بالقتل، فقدّم للناس:

فإنك شمسٌ والملوكُ كواكبُ إذا طلعتْ لم يبدُ منهنّ كوكبُ

وكثيرٌ أولئك الذين آثَرُوا الحياة، لأنهم تألّموا.

إذنْ فلا تجزعْ من الألم، ولا تخفْ من المعاناة، فربما كانت قوة لك ومتاعاً إلى حين، فإنك إن تعش مشبوب الفؤاد، محروق الجَوَى، ملذوع النفس: أرقُّ وأصفى من أن تعيش بارد المشاعر، فاتر الهمة، خامد النفس، ﴿ ولكن كره اللهُ انبعاثَهم فثبّطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين ﴾.

ذكرتُ بهذا شاعراً عاش المعاناة والأسى وألم الفراق، وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة في قصيدة بديعة الحُسْن، ذائعة الشُّهرة، بعيدة عن التكلُّف والتزويق: إنه مالك بن الرَّيب، يَرثي نفسه:

ألم تـرني بعتُ الضـلالةَ بالهـدى وأصبحتُ في جيش ابن عفّان غازيا

فلله دَرّي يـوم أتـركُ طائعـاً بنيَّ بأعـلى الرقمتيْن ومـاليا

فيا صاحبيَّ رحلي دنا الموتُ فانزلا برابيـةٍ إنّـي مقيـمٌ لياليا

أقيما عليَّ اليـوم أو بعـضَ ليلـةٍ ولا تَعجلاني قـد تبيّـن مابيـا

وخُطّا بأطـراف الأسنة مضجعي ورُدّا عليّ عينـيَّ فضـلَ ردائيا

ولا تحسـداني بارك اللـه فيكمـا من الأرض ذات العَرْض ان تُوسعا ليا

إلى آخر ذاك الصوت المتهدّج، والعويل الثاكل، والصرخة المفجوعة التي ثارت حمماً من قلب هذا الشاعر المفجوع بنفسه المصاب في حياته.

إن الواعظ المحترق تصل كلماته إلى شغاف القلوب، وتغوص في أعماق الرُّوح، لأنه يعيش الألم والمعاناة. ﴿ فعلم ما في قُلوبهم فأنزل السَّكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً ﴾.

لا تعذل المشتاق في أشواقه حتى يكون حشاك في أحشائه

لقد رأيتُ دواوين لشعراء ولكنها باردة لا حياة فيها، ولا روح، لأنهم قالوها بلا عناء، ونظموها في رخاء، فجاءت قطعاً من الثلج وكتلاً من الطين.

ورأيتُ مصنَّفات في الوعظ لا تهزُّ في السامع شعرة، ولا تحرِّك في المنصت ذرَّة، لأنهم يقولونها بلا حُرْقة ولا لوعة، ولا ألم ولا معاناة. ﴿ يقُولون بأفواههم مَا ليس في قُلوبهم ﴾.

فإذا أردتَ أن تؤثِّر بكلامك أو بشعْرك، فاحترقْ به أنت قبل، وتأثَّرْ به، وذقْه وتفاعل معه، وسوف ترى أنك تؤثِّر في الناس. ﴿ فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزَّت وربتْ وأنبتت من كُلِّ زوج بهيج ﴾.

نعمة المعرفة

﴿ وعلَّمك ما لم تكُن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما ﴾.

الجهل موتٌ للضمير، وذبح للحياة، ومحْقٌ للعمر. ﴿ إني أعظك أن تكون من الجاهلين ﴾.

والعلم نورٌ للبصيرة، وحياة للروح، ووقود للطبع. ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾.

إن السرور والانشراح يأتي مع العلم، لأن العلم عثورٌ على الغامض، وحصولٌ على الضالّة، واكتشافٌ للمستور، والنفس مُولَعة بمعرفة الجديد والاطلاع على المستطرف.

أما الجهل فهو مَلَل وحزن، لأنه حياة لا جديد فيها، ولا طريف، ولا مستعذَب، أمس كاليوم، واليوم كالغد.

فإن كنتَ تريد السعادة فاطلب العلم، وابحث عن المعرفة، وحصِّل الفوائد، لتذهب عنك الغموم والهموم والأحزان. ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾. ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾. «من يرد الله به خيراً يفقِّهه في الدين». ولا يفخر أحد بماله أو بجاهه، وهو جاهل صِفْرٌ من المعرفة، فإن حياته ليست تامَّةً وعمره ليس كاملاً: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾.

قال الزمخشري المفسِّر:

سهري لتنقيح العلوم ألذُّ لي ... من وصْل غانية وطيب عناق

وتمايُلي طرباً لحلِّ عويصة ... أشهى وأحلى من مُدامة ساقي

وصرير أقلامي على أوراقها ... أحلى من الدوكاء والعشَّاق

وألذُّ من نقْر الفتاة لدفِّها ... نقري لألقي الرمل عن أوراقي

يا مـنْ يحـاول بالأمانـي رُتْبتي ... كـم بين مُسْتَغِلٍ وآخـرَ راقـي

أابيتُ سـهران الدُّجـى وتبيتـهُ ... نومـاً وتبغـي بعـد ذاكَ لحاقـي

ما أشرف المعرفة، وما أفرح النفس بها. وما أثلج الصدر ببردها. وما أرحب الخاطر بنزولها. ﴿أفمن كان على بيّنة من ربّه كمن زُيّن له سوءُ عمله واتّبعوا أهواءهم﴾.

فنُّ السرور

من أعظم النعم سرور القلب، واستقراره وهدوءه. فإن في سروره ثبات الذهن وجودة الإنتاج وابتهاج النفس، وقالوا: إن السرور فنٌّ يُدرس. فمن عرف كيف يَجلبُه ويحصل عليه، ويحظى به استفاد من مباهج الحياة ومسار العيش، والنعم التي من بين يديه ومن خلفه. والأصل الأصيل في طلب السرور قوة الاحتمال، فلا يهتزُّ من الزوابع ولا يتحرّك للحوادث، ولا ينزعج للتوافه. وبحسب قوة القلب وصفائه تُشرق النفس.

إن خَوَر الطبيعة، وضعف المقاومة، وجزَع النفس: رواحل للهموم والغموم والأحزان. فمن عوّد نفسه التصبُّر والتجلُّد هانت عليه المزعجات، وخفَّت عليه الأزمات.

إذا اعتـادَ الفتـى خـوض المنايـا ... فأهـون ما تمـرُّ بـه الوحـولُ

ومن أعداء السرور ضيق الأفق، وضحالة النظرة، والاهتمام

[illegible] بأنهم [illegible] هؤلاء القاعدين من رؤوس الكسالى في العالم، فلا يفكرون في [illegible] ولا يعبثون [illegible] ولا يضحكون الآخرين. إن علينا أن نتشاغل عن أنفسنا بأشياء، ونبتعد عن ذواتنا لننسى جراحنا وهمومنا وأحزاننا، فنكسب أمرين: إسعاد أنفسنا، وإسعاد الآخرين.

من الأصول في فن السرور: أن تلجم تفكيرك وتحصره، فلا يتفلت ولا يهرب ولا يطيش، فإنك إن تركت تفكيرك وشأنه جمح وطفح، وأعاد عليك ملف الأحزان، وقرأ عليك كتاب المآسي منذ ولدتك أمك. إن التفكير إذا شرد أعاد لك الماضي الجريح وجاء بالمستقبل المخيف، فزلزل أركانك، وهز كيانك، وأحرق مشاعرك. فاخطمه بخطام التوجه الجاد المركز على العمل المثمر المفيد، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾.

ومن الأصول أيضاً في دراسة السرور: أن تعطي الحياة قيمتها الدونية، وتنزلها منزلتها، فهي لهو، ولا تستحق منك إلا الإعراض والصدود، لأنها أم الهجر، ومُرضعة الفجائع، وجالبة الكوارث، فمن هذه صفتها كيف يُهتمّ بها، ويُحزن على ما فات منها، صفوها كدر، وبرقها خُلّب، ومواعيدها سراب بقيعة، مولودها مفقود، وسيدها محسود، ومنعّمها مهدد، وعاشقها مقتول بسيف غدرها.

أبني أبينا نحن أهل منازل ... أبداً غراب البين فيها ينعق

نبكي على الدنيا وما من معشر ... جمعتهم الدنيا فلم يتفرقوا

أين الجبابرة الأكاسرة الأُلى ... كنزوا الكنوز فلا بقين ولا بقوا

من كل بيت تسمع الصفارا ... حتى تكون هدوءها الدمار

حتى يرى ما شوهوا كم لم يزل ... أن الكلام البيض سلاح مطلق

من الحديث: إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم

وفي فن الأدب: وإنما التسرع من الخرق والتأني من الحزم والاقتصاد في الأمور يبلغ بصاحبه ما لا يبلغه التبذير والتقصير يورد صاحبه ما لا يحمد.

إن الحياة الدنيا لا تستحق منا الهم والحزن والتذكر والتوتر.

حكم الطبيعة في البرية جارية ... ما هذه الدنيا بدار قرار

بينا تراني الإنسان فيها مخبراً ... إذ صرت خبراً من الأخبار

طبعت على كدر وأنت تريدها ... صفواً من الأقذار والأكدار

ومكلف الأيام ضد طباعها ... متطلب في الماء جذوة نار

وإذا رجوت المستحيل فإنما ... تبني الرجاء على شفير هار

واصبر على مض الحوادث باتقاء ... وتجلد إن نابتك بارتياع

فاقصد لمرتبة الرجال بجدها ... إن المعالي مهرها الإقدام

وتركضوا خيل الشباب وبدروا ... أن تسترد فأين منها الفار

لكل زمان مضى آية ... وهذا الزمان له آية

والحق وقد أتى لا ريب فيه أن لا تستطيع أن تنزع من حياتك كل آثار الحزن لأن الحياة خلقت هكذا، وقد خلق الإنسان في كبد، إن خلقنا

الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه ﴾. ﴿ ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ﴾. ولكنّ المقصود أن تخفّف من حزنك وهمّك وغمّك. أما قطع الحزن بالكليّة فهذا في جنات النعيم، ولذلك يقول المنعمون في الجنة: ﴿ الحمدُ لله الذي أذهب عنا الحزن ﴾. وهذا دليل على أنه لم يذهب عنه إلا هناك. كما أن كلّ الغلّ لا يذهب إلا في الجنة. ﴿ ونزعنا ما في صدورهم من غلّ ﴾. فمن عرف حالة الدنيا وصفتها، عذرها على صدودها وجفائها وغدرها. وعلم أن هذا طبعها وخلقها ووصفها.

حلفتُ لنا أن لا تخـون عهـودنا فكانهـا حلفـتْ لنـا أنْ لا تفـي

فإذا كان الحال ما وصفنا، والأمر ما ذكرنا، فحريّ بالأريب اللبيب أن لا يُعينها على نفسه، بالاستسلام للكدر والهمّ والغمّ والحزن. بل يدافع هذه المنغصات بكل ما أُوتي من قوة. ﴿ وأعدّوا لهم ما استطعتم من قُوة ومن رباط الخيل تُرهبُون به عدوّ الله وعدوّكم ﴾. ﴿ فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا ﴾.

وقفة

لا تحزن: إن كنت فقيرا فغيرُك محبوس في دَين، وإن كنتَ لا تملك وسيلة نقل. فسواك مبتور القدمين، وإن كنت تشكو من الام فالآخرون يرقدون على الأسرّة البيضاء ومنذ سنوات، وإن فقدتَ ولداً فسواك فقد عدداً من الأولاد في حادث واحد.

لا تحزن: لأنك مسلم امنت بالله وبرسله وملائكته واليوم الآخر وبالقضاء خيره وشره، وأولئك كفروا بالربِّ وكذّبوا الرسل واختلفوا في الكتاب، وجحدوا اليوم الآخر، والحدوا في القضاء والقدر.

لا تحزن: إن أذنبت فتُبْ، وإن أسأتَ فاستغفر، وإن اخطأت فأصلحْ، فالرحمة واسعة، والباب مفتوح، والغفران جمٌّ، والتوبة مقبولة.

لا تحزن: لأنك تُقلق أعصابك، وتهزُّ كيانك وتُتعبُ قلبك، وتُقضّ مضجعك، وتسهر ليلك.

قال الشاعر:

وَلَرُبَّ نازلةٍ يضيقُ بها الفتى ذَرْعاً وعندَ اللهِ منها المخرَجْ
ضاقتْ فلمّا استحكمتْ حلقاتُها فرجتْ وكان يظنُّها لا تفرجْ

ضبْطُ العواطف

تتأجّج العواطف وتعصف المشاعر عند سببين: عند الفرحة الغامرة، والمصيبة الدّاهمة، وفي الحديث: «إني نهيتُ عن صوتين أحمقين فاجرين: صوت عند نعمة، وصوت عند مصيبة». ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾. ولذلك قال ﷺ: «إنما الصبر عند الصدمة الأولى». فمَن ملك مشاعره عند الحدَث الجاثم وعند الفرح الغامر، استحقّ مرتبة الثبات ومنزلة الرسوخ، ونال سعادة الراحة، ولذة الانتصار على النفس، والله

جلّ في عُلاه وصف الإنسان بأنه فرح فخور. وإذا مسّه الشر جزوعاً. وإذا مسه الخير منوعاً. إلاّ المصلّين. فهُم على وسطية في الفرح والجزع، يشكرون في الرخاء، ويصبرون في البلاء.

إن العواطف الهائجة تتعب صاحبها أيّما تعب، وتضنيه وتؤلمه وتؤرّقه. فإذا غضب احتدّ وأزبد. وأرعد وتوعّد. وثارت مكامن نفسه. والتهبت حشاشته. فيتجاوز العدل. وإن فرح طرب وطاش. ونسي نفسه في غمرة السرور وتعدّى قدره. وإذا هجر أحداً ذمّه. ونسي محاسنه. وطمس فضائله. وإذا أحبّ آخر خلع عليه أوسمة التبجيل. وأوصله إلى ذروة الكمال. وفي الأثر: «أحبب حبيبك هوناً ما. فعسى أن يكون بغيضك يوماً ما. وابغض بغيضك هوناً ما. فعسى أن يكون حبيبك يوماً ما». وفي الحديث: «وأسألك العدل في الغضب والرضا».

فمَن ملك عاطفته وحكّم عقله. ووزن الأشياء وجعل لكلّ شيء قدراً. أبصر الحق. وعرف الرشد. ووقع على الحقيقة. ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾.

إن الإسلام جاء بميزان القيم والأخلاق والسلوك. مثلما جاء بالمنهج السّوي. والشرع الرضي. والملّة المقدسة. ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً﴾. فالعدل مطلب مُلحّ في المُثل. مثلما هو مطلوب في الأحكام. فإن الدين بُني على الصدق والعدل. الصدق في الأخبار. والعدل في الأحكام والأقوال والأفعال والأخلاق. ﴿وتمّت كلمة ربك صدقاً وعدلاً﴾.

سعادةُ الصحابة بمحمد ﷺ

لقد جاء رسولنا ﷺ إلى الناس بالدعوة الربانية، ولم يكن له دعاية من دنيا، فلم يُلقَ إليه كَنز، وما كانت له جنّة يأكل منها، ولم يسكن قصراً. فأقبل المحبُّون يبايعون على شظفٍ من العيش، وذروة من المشقّة، يوم كانوا قليلاً مستضعفين في الأرض يخافون أن يتخطفهم الناس من حولهم، ومع ذلك أحبه أتباعه كلَّ الحب.

حُوصروا في الشِّعب، وضُيِّق عليهم في الرزق، وابتُلوا في السمعة، وحُورِبوا من القرابة، وأُوذوا من الناس، ومع هذا أحبُّوه كل الحب.

سُحب بعضهم على الرمضاء، وحُبس آخرون في العراء، ومنهم من تفنّن الكفارُ في تعذيبه، وتأنّقوا في النكال به، ومع هذا أحبوه كل الحب.

سُلبوا أوطانهم ودورهم وأهليهم وأموالهم، طُردوا من مراتع صباهم، وملاعب شبابهم ومغاني أهلهم، ومع هذا أحبوه كل الحب.

ابتُلي المؤمنون بسبب دعوته، وزلزلوا زلزالاً شديداً، وبلغت منهم القلوب الحناجر وظنُّوا بالله الظنونا، ومع هذا أحبوه كل الحب.

عُرِّضت صفوة شبابهم للسيوف المُصلتة، فكانت على رؤوسهم كأغصان الشجرة الوارفة.

وكأن ظلّ السيف ظلُّ حديقةٍ ... خضراء تُنبتُ حولنا الأزهارا

وقدم رجالهم للمعركة فكانوا يأتون الموت كأنهم في نزهة، او في ليلة عيد. لأنهم أحبوه كل الحب.

يُرسَلُ أحدهم برسالة ويعلم أنه لن يعود بعدها إلى الدنيا. فيؤدي رسالته، ويُبعثُ الواحد منهم في مهمّة ويعلم أنها النهاية فيذهب راضياً. لأنهم أحبوه كل الحب.

ولكن لماذا أحبُّوه وسعدوا برسالته، واطمأنوا لمنهجه، واستبشروا بقدومه، ونسوا كلَّ الم وكلَّ مشقة وجُهد ومعاناة من أجل اتباعه؟!

إنهم رأوا فيه كل معاني الخير والفرح، وكل علامات البرِّ والحق. لقد كان آية للسائلين في معالم الأمور. لقد أبرد غليل قلوبهم بحنانه، وأثلج صدورهم بحديثه، ورفع ارواحهم برسالته.

لقد سكب في قلوبهم الرضا، فما حسبوا ثلاثام في سبيل دعوته حسابا، وأفاض على نفوسهم من اليقين ما أنساهم كل جرح وكدر وتنغيص.

صقل ضمائرهم بهداه، وأنار بصائرهم بسناه، ألقى عن كواهلهم اصار الجاهلية، وحطَّ عن ظهورهم أوزار الوثنية، وخلع من رقابهم ربقات الشرك والضلال، وأطلقا من أرواحهم نار الحقد والعداوة، وصبَّ على المشاعر ماء اليقين، فهدأت نفوسهم، وسكنت أبدانهم، واطمأنت قلوبهم، وبردت أعصابهم.

وجدوا لذّة العيش معه، والأنس في قربه، والرضا في رحابه، والأمن في اتباعه، والنجاة في امتثال أمره، والغنى في الاقتداء به.

﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ ، ﴿ وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ﴾ ، ﴿ ويخرجهم من الظلمات إلى النور ﴾ ، ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾ ، ﴿ ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ﴾ ، ﴿ استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ﴾ ، ﴿ وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ﴾ .

لقد كانوا سعداء حقًا مع إمامهم وقدوتهم. وحق لهم ان يسعدوا ويبتهجوا.

يا ليلة الجزع هلا عدت ثانية ... سقى زمانك هطال من الديم

اللهم صلِّ وسلِّم على محرر العقول من أغلال الانحراف، ومنقذ النفوس من ويلات الغواية، وارضَ عن الأصحاب والامجاد، جزاء ما بذلوا وقدّموا.

اطرد الملل من حياتك

إن من يعيش عمره على وتيرة واحدة جديرٌ ان يصيبه الملل. لان النفس مملولة. فان الانسان بطبعه يملّ الحالة الواحدة. ولذلك غاير سبحانه وتعالى بين الازمنة والامكنة، والمطعومات والمشروبات، والمخلوقات. ليل ونهار. وسهل وجبل. وابيض واسود. وحار وبارد. وظل وحرور. وحلو وحامض. وقد ذكر الله هذا التنوع والاختلاف في كتابه: ﴿ يخرج من بطونها شراب

مختلفٌ ألوانُه ﴾ ، ﴿ صنوانٌ وغيرُ صنوان ﴾ ، ﴿ متشابهًا وغيرَ متشابه ﴾ ، ﴿ ومن الجبال جددٌ بيضٌ وحمرٌ مختلفٌ ألوانُها ﴾ ، ﴿ وتلك الأيامُ نداولُها بين الناس ﴾ .

وقد ملَّ بنو إسرائيل أجود الطعام، لأنهم أدامُوا أكلَه: ﴿ لن نصبر على طعامٍ واحدٍ ﴾ . وكان المأمون يقرأ مرة جالسًا، ومرة قائمًا، ومرة وهو يمشي، ثم قال: النفس علوقة، ﴿ الذين يذكرون اللهَ قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم ﴾.

ومن يتأمل العبادات، يجد التنوُّع والجدّة، فالأعمال قلبيةٌ وقولية وعملية ومالية. صلاة وزكاة وصوم وحج وجهاد. والصلاة قيام وركوع وسجود وجلوس. فمن أراد الارتياح والنشاط ومواصلة العطاء فعليه بالتنويع في عمله، واختلافه وحياته اليوميّة. فعند القراءة مثلاً ينوِّع الفنون، ما بين قرآن وتفسير وسيرة وحديث وفقه وتاريخ وأدب وثقافة عامّة. وهكذا. يوزِّع وقته ما بين عبادة وتناول مباح، وزيارة واستقبال ضيوف، ورياضة ونزهة. فسوف يجد نفسه متوثِّبة مشرقة، لأنها تحبُّ التنويع وتستملح الجديد.

له في الندى والبأس يومان عاشهما ... وما منهما إلا أغرُّ محجَّلُ

فيومٌ يغيثُ الناسَ من مُزن كفّة ... ويومٌ يصبُّ الموت والجيشُ جحفلُ

دع القلق

لا تحزن، فإن ربك يقول:

﴿ ألم نشرح لك صدرك ﴾ : وهذا عامٌ لكل من حمل الحق، وانبعث النور، وسلك الهدى.

﴿ أفمن شرح اللهُ صدرهُ للإسلام فهو على نور من ربه فويلٌ للقاسية قلوبهم من ذكر الله ﴾ : إذاً فهناك حقٌ يشرح الصدور، وباطل يقسيها.

﴿ فمن يرد اللهُ أن يهديهُ يشرح صدرهُ للإسلام ﴾ : فهذا الدين غاية لا يصل إليها إلا المسدَّد.

﴿ لا تحزن إن الله معنا ﴾ : يقولها كل من يتيقَّن رعاية الله، وولايته ولطفه ونصره.

﴿ الذين قال لهم الناسُ إنَّ الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا اللهُ ونعمَ الوكيلُ ﴾ : كفايته تكفيك، وولايته تحميك.

﴿ يا أيها النبيُّ حسبك اللهُ ومن اتبعك من المؤمنين ﴾ : وكل من سلك هذه الجادَّة، حصل على هذا النور.

﴿ وتوكل على الحي الذي لا يموتُ ﴾ : وما سواه فميِّت غير حي، زائل غير باقٍ، ذليل وليس بعزيز.

﴿ واصبر وما صبرك إلاَّ بالله ولا تحزن عليهم ولا تكُ في ضيق مما يمكرون ﴿١٢٧﴾ إن اللهَ مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ : فهذه معيته الخاصة لأوليائه بالحفظ والرعاية والتأييد والتولية، بحسب تقواهم وجهادهم.

• ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين • : علوًا في العبودية والمكانة.

• لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون •.

• كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز •

• إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد •

وهذا عهد لن يخلف، ووعد لن يتأخر.

• وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد -غافر- فوقاه الله سيئات ما مكروا •

• وعلى الله فليتوكل المؤمنون •.

لا تحزن وقدر أنك لا تعيش الا يوما واحدا فحسب. فلماذا تحزن في هذا اليوم، وتغضب وتثور؟!

في الأثر: إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح.

والمعنى: ان تعيش في حدود يومك فحسب. فلا تذكر الماضي، ولا تقلق من المستقبل، قال الشاعر:

ما مضى فات والمؤمل غيب ولك الساعة التي انت فيها

إن الاشتغال بالماضي، وتذكر الماضي، واجترار المصائب التي حدثت ومضت، والكوارث التي انتهت، إنما هو ضرب من الحمق والجنون.

يقول المَثَلُ الصيني: لا تعبرْ جسْراً حتى تأتيَه.

ومعنى ذلك: لا تستعجل الحوادث وهمومها وغمومها حتى تعيشها وتدركها.

يقول أحد السلف: يا ابن آدم، إنما أنت ثلاثة أيام: أمسُك وقد ولّى، وغدُك ولم يأتِ، ويومُك فاتقِ الله فيه.

كيف يعيش من يحمل هموم الماضي واليوم والمستقبل؟! كيف يرتاح من يتذكر ما صار وما جرى؟! فيعيده على ذاكرته، ويتألم له، وأله لا ينفعه!

ومعنى: «**إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح**»: أي: أن تكون قصير الأمل، تنتظر الأجل، وتحسن العمل، فلا تطمح بيومك لغير هذا اليوم الذي تعيش فيه، فتركّز جهودك عليه، وتُرتّب أعمالك، وتصبّ اهتمامك فيه، محسناً خُلقك مهتمّاً بصحتك، مصلحاً أخلاقك مع الآخرين.

وقفة

لا تحزن: لأن القضاء مفروغٌ منه، والمقدور واقع، والأقلام جفّت، والصحف طُويت، وكلُّ أمر مستقر، فحزنك لا يقدّم في الواقع شيئاً ولا يؤخّر، ولا يزيد ولا يُنقص.

لا تحزن: لأنك بحزنك تريد إيقاف الزمن، وحبسَ الشمس، وإعادة عقارب الساعة، والمشيَ إلى الخلف، وردَّ الدهر إلى منبعه.

لا تحزن: لان الحزن كالريح الهوجاء تُفسد الهواء، وتُبعثر الماء، وتغيّر السماء، وتكسر الورود اليانعة في الحديقة الغنّاء.

لا تحزن: لأن المحزون كنهر الأحمق، ينحدر من البحر ويصبُّ في البحر. وكالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً، وكالنافخ في قربة مثقوبة. والكاتب بإصبعه على الماء.

لا تحزن: فإن عمرك الحقيقي سعادتك وراحة بالك، فلا تُنفقْ أيامك في الحزن، وتبذّر لياليك في الهمّ، وتوزّع ساعاتك على الغموم. ولا تسرفْ في إضاعة حياتك. فإن الله لا يحبُّ المسرفين.

لا تحزن: فإن ربَّك غافر الذنب وقابل التوب

ألا يشرح صدرك، ويزيل همّك وغمّك، ويجلبُ سعادتك قولُ ربك جلَّ في علاه: «قُل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إنَّ الله يغفرُ الذنوب جميعا إنهُ هو الغفورُ الرحيم»؟ فخاطبهم بـ «يا عبادي» تأليفا لقلوبهم، وتأنيساً لأرواحهم، وخصَّ الذين أسرفوا، لأنهم المكثرون من الذنوب والخطايا فكيف بغيرهم؟! ونهاهم عن القنوط واليأس من المغفرة، وأخبر أنه يغفر الذنوب كلَّها لمن تاب، كبيرَها وصغيرَها، دقيقَها وجليلَها. ثم وصف نفسه بالضمائر المؤكدة، و «ال» التعريف التي تقتضي كمال الصفة، فقال: «إنهُ هو الغفورُ الرحيمُ».

ألا تسعد وتفرح بقوله جل في علاه: ﴿ والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ﴾؟!

وقوله جلَّ في علاه: ﴿ ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ﴾؟!

وقوله: ﴿ إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما ﴾؟!

وقوله عزَّ من قائل: ﴿ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما ﴾؟!

وقوله تعالى: ﴿ وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ﴾؟!

ولما قتل موسى عليه السلام نفساً قال: ﴿ رب اغفر لي فغفر له ﴾.

وقال عن داود بعدما تاب وأناب: ﴿ فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب ﴾.

سبحانه ما أرحمه وأكرمه!! حتى إنه عرض رحمته ومغفرته لمن قال بالتثليث، فقال عنهم: ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إلهٌ واحدٌ وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم - أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ﴾.

ويقول ﷺ فيما صحّ عنه: «يقول الله تبارك وتعالى: يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني إلا غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي. يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتني غفرتُ لك ولا أبالي. يا ابن آدم، لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا، لأتيتك بقرابها مغفرة».

وفي الصحيح عنه ﷺ أنه قال: «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيءُ النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيءُ الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها».

وفي الحديث القدسي: «يا عبادي، إنكم تُذنبون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفرْ لكم».

وفي الحديث الصحيح: «والذي نفسي بيده، لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم آخرين يذنبون، فيستغفرون الله، فيغفر لهم».

وفي حديث صحيح: «والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لخفتُ عليكم ما هو أشدُّ من الذنب، وهو العُجْب».

وفي الحديث الصحيح: «كلكم خطّاء، وخير الخطّائين التوابون».

وصحّ عنه ﷺ أنه قال: «لله أفرحُ بتوبة عبده من أحدكم كان على راحلته، عليها طعامه وشرابه، فضلتْ منه في الصحراء، فبحث عنها حتى أيس، فنام ثم استيقظ فإذا هي عند رأسه، فقال: اللهم أنت عبدي، وأنا ربُّك. أخطأ من شدة الفرح».

وصحَّ عنه ﷺ انه قال: «إن عبداً أذنب ذنباً فقال: اللهم اغفر لي ذنبي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. ثم أذنب ذنبا، فقال: اللهم اغفر لي ذنبي فانه لا يغفر الذنوب إلا أنت. ثم أذنب ذنباً فقال: اللهم اغفر لي ذنبي فانه لا يغفر الذنوب إلا أنت. فقال الله عز وجل: علم عبدي أن له ربًا يأخذ بالذنب. ويعفو عن الذنب. فليفعل عبدي ما شاء».

والمعنى: ما دام أنه يتوب ويستغفر ويندم، فاني اغفر له.

لا تحزن، فكلُّ شيء بقضاء وقدر

كلُّ شيء بقضاء وقدر، وهذا معتقد أهل الإسلام، اتباع رسول الهدى ﷺ: انه لا يقع شيءٌ في الكون الا بعلم الله وبإذنه وبتقديره.

• ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إنَّ ذلك على الله يسيرٌ •.

• إنا كلَّ شيء خلقناه بقدر •.

• ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين •.

وفي الحديث: «عجبا لأمر المؤمن!! إن أمره كله له خير، إن أصابته سراءُ شكر فكان خيرا له. وإن أصابته ضراءُ صبر فكان خيراً له. وليس ذلك إلا للمؤمن».

وصح عنه ﷺ أنه قال: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف».

وفي الحديث الصحيح أيضاً: «واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك».

وصح عنه ﷺ أنه قال: «جف القلم يا أبا هريرة بما أنت لاقٍ».

وصح عنه ﷺ أنه قال: «احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، ولا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل».

وفي حديث صحيح عنه ﷺ: «لا يقضي الله قضاءً للعبد إلا كان خيراً له».

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن المعصية: هل هي خير للعبد؟ قال: نعم بشروطها من الندم والتوبة، والاستغفار والانكسار.

وقوله سبحانه: ﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شرٌ لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾.

هي المقاديرُ فلمتي أو فذرْ ... تجري المقاديرُ على غررْ الإبرْ

لا تحزن وانتظر الفرج

في الحديث عند الترمذي: «أفضل العبادة: انتظار الفرج». «أليس الصبح بقريب».

صبح المهمومين والمغمومين لاح، فانظر إلى الصباح. وارتقب الفتح من انفتاح.

تقول العرب: «إذا اشتد الحبل انقطع».

والمعنى: إذا تأزمت الأمور، فانتظر فرجاً ومخرجاً.

وقال سبحانه وتعالى: «ومن يتق الله يجعل له مخرجاً». وقال جل شأنه: «ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً». «ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً».

وقالت العرب:

الغمرات ثم ينجلينه ... ثم يذهبن ولا يجئنه

وقال آخر:

كم فرج بعد إياس قد أتى ... وكم سرور قد أتى بعد الأسى

من يحسن الظن بذي العرش جنى ... حلو الجنى الرائق من شوك السفا

وفي الحديث الصحيح: «أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء».

﴿ حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ﴾.

وقوله سبحانه: ﴿ فإن مع العسر يسرا - إن مع العسر يسرا ﴾

قال بعض المفسرين - وبعضهم يجعله حديثا -: «لن يغلب عسر يسرين».

وقال سبحانه: ﴿ لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا ﴾.

وقال جل اسمه: ﴿ ألا إن نصر الله قريب ﴾. ﴿ إن رحمت الله قريب من المحسنين ﴾.

وفي الحديث الصحيح: «واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب».

وقال الشاعر:

إذا تضايق أمرٌ فانتظرْ فرجاً ... فاقربُ الأمر ادناهُ إلى الفرج

وقال آخر:

واني حبستُ النفس بعد ابن عنبس ... وقد لجّ من ماء العيون لُجوجُ

ليفرح صبٌ أو ليستاء حاسدٌ ... وللشر بعد النازلات فُروجُ

وقال اخر:

سهرتْ أعينٌ ونامتْ عيونٌ ... في شؤون تكون أو لا تكونْ

فدعِ الهمَّ ما استطعت فحملُ ... ـلانك الهمومِ جنونْ

إن رباً كفاك ما كان بالأمـ ... ـس سيكفيك في غدٍ ما يكونْ

وقال آخر:

دع المقادير تجري في أعنّتها ولا تنامنّ إلا خالي البال

ما بين غمضة عين وانتباهتها يغيّر الله من حال إلى حال

وقفة

لا تحزن: فإنّ أموالك التي في خزانتك وقصورك السامقة، وبساتينك الخضراء، مع الحزن والأسى واليأس: زيادة في أسفك وهمّك وغمّك.

لا تحزن: فإن عقاقير الأطباء، ودواء الصيادلة، ووصفة الطبيب لا تسعدك. وقد أسكنتَ الحزنَ قلبكَ، وفرشتَ له عينك، وبسطتَ له جوانحك، وألحفته جلدك.

لا تحزن: وأنت تملك الدعاء، وتُجيد الانطراح على عتبات الربوبية، وتُحسن المسكنة على أبواب ملك الملوك. ومعك الثلث الأخير من الليل، ولديك ساعة تمريغ الجبين في السجود.

لا تحزن: فإن الله خلق لك الأرض وما فيها. وأنبت لك حدائق ذاتَ بهجة. وبساتين فيها من كل زوج بهيج. ونخلاً باسقات له طلع نضيد، ونجوماً لامعات. وخمائل وجداول. ولكنك تحزن!!

لا تحزن: فأنت تشرب الماء الزلال، وتستنشق الهواء الطلق، وتمشي على قدميك معافى. وتنام ليلك آمناً.

لا تحزنْ وأكثرْ من الاستغفار فإن ربَّك غفَّار

« فقلتُ استغفروا ربكم إنه كان غفارا ﴿١٠﴾ يرسل السماء عليكم مدرارا ﴿١١﴾ ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا ».

فأكثر من الاستغفار. تترى الفرج وراحة البال. والرزق الحلال. والذرية الصالحة. والغيث الغزير.

« وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى ويؤت كلَّ ذي فضل فضله ».

وفي الحديث: «من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كلِّ همٍّ فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً».

وعليك بسيِّد الاستغفار. الحديث الذي في البخاري: «اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت. خلقتني وأنا عبدك. وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت. أعوذ بك من شرِّ ما صنعت. أبوءُ لك بنعمتك عليَّ. وأبوء بذنبي فاغفر لي. فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت».

لا تحزنْ، وعليك بذكر الله دائماً

قال سبحانه: «ألا بذكر الله تطمئن القلوب». وقال: «فاذكروني أذكركم». وقال: «والذاكرين الله كثيرا والذاكرات». وقال: «يا أيها

الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا -﴿٤١﴾- وسبحوه بكرة وأصيلا ﴾. وقال سبحانه: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ﴾. وقال: ﴿ واذكر ربك إذا نسيت ﴾. وقال: ﴿ وسبح بحمد ربك حين تقوم -﴿٤٩﴾- ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم ﴾. وقال سبحانه: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ﴾.

وفي الحديث الصحيح: «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه، مثل الحي والميت».

وقوله ﷺ: «سبق المفردون». قالوا: ما المفردون يا رسول الله؟ قال: «الذاكرون الله كثيراً والذاكرات».

وفي حديث صحيح: «ألا أخبركم بأفضل أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وخير لكم من انفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «ذكر الله».

وفي حديث صحيح: أن رجلاً أتى إلى الرسول ﷺ فقال: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ، وأنا كبرت، فأخبرني بشيء أتشبث به، قال: «لا يزال لسانك رطباً بذكر الله».

لا تحزنْ، ولا تيأسْ من روْح الله

﴿ إنهُ لا ييأسُ من روح الله إلا القومُ الكافرُون ﴾.

﴿ حتى إذا استيأس الرُّسُلُ وظنوا أنهم قد كُذبُوا جاءهم نصرنا ﴾.

﴿ ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين ﴾.

وقال عن المسلمين: ﴿ وتظنون بالله الظُّنونا ﴿١٠﴾ هنالك ابتلي المؤمنون وزُلزلوا زلزالا شديدا ﴾.

لا تحزن من أذية الآخرين لك، واعفُ عمنْ أساء إليك

ثمنُ القصاص الماهظ، وهو الذي يدفعه المنتقمُ من الناس، الحاقد عليهم؛ يدفعُه من قلبه، ومن لحمه ودمه، من أعصابه ومن راحته، وسعادته وسروره، إذا أراد أن يتشفّى، أو غضب عليهم أو حقد، إنه الخاسر بلا شك.

وقد آخيرنا الله سبحانه وتعالى بدواء ذلك وعلاجه، فقال: ﴿ والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ﴾.

وقال: ﴿ خُذ العفو وأمر بالعُرف وأعرض عن الجاهلين ﴾.

وقال: ﴿ ادفع بالتي هي أحسنُ فإذا الذي بينك وبينهُ عداوةٌ كأنهُ وليٌّ حميمٌ ﴾.

لا تحزن على ما فاتك فإن عندك نعماً كثيرة

فكّرْ في نعم الله الجليلة، وفي أعطياته الجزيلة، واشكُره على هذه النعم، واعلمْ أنك مغمور بأعطياته.

قال سبحانه وتعالى: ﴿ وإن تعدُّوا نعمة الله لا تحصُوها ﴾.

وقال: ﴿ وأسبغ عليكم نعمهُ ظاهرة وباطنة ﴾.

وقال سبحانه: ﴿ وما بكم من نعمة فمن الله ﴾.

وقال سبحانه وهو يقرر العبد بنعمه عليه: ﴿ ألم نجعل له عينين ﴿٨﴾ ولسانا وشفتين ﴿٩﴾ وهديناه النجدين ﴾.

نعمٌ تترى: نعمة الحياة، ونعمة العافية، ونعمة السمع، ونعمة البصر، واليدين والرجلين، والماء والهواء، والغذاء، ومن أجلّها نعمة الهداية الربانية: (الإسلام). يقول أحد الناس: أتريد بليون دولار في عينيك؟ أتريد بليون دولار في أذنيك؟ أتريد بليون دولار في رجليك؟ أتريد بليون دولار في يديك؟ أتريد بليون دولار في قلبك؟ كم من الأموال الطائلة عندك وما أديت شكرها!!

لا تحزنْ على شيء لا يستحقُّ الحزن

إن مما يثبت السعادة وينمّيها ويعمقها: أن لا تهتم بتوافه الأمور، فصاحب الهمة العالية همُّه الآخرة.

قال أحد السلف وهو يوصي أحد إخوانه: اجعل الهمّ همّاً واحداً هم لقاء الله عز وجل، همّ الآخرة. همّ الوقوف بين يديه. ﴿ يومئذ تُعرضون لا تخفى منكم خافية ﴾. فليس هناك هموم إلا وهي أقلّ من هذا الهمّ. أيّ همّ هم هذه الحياة؟ مناصبها ووظائفها. ذهبها وفضتها وأولادها. وأموالها وجاهها وشهرتها وقصورها ودورها. لا شيء!!

والله جلّ وعلا قد وصف أعداء المنافقين فقال: ﴿ أهمتهم أنفسهم يظنّون بالله غير الحق ﴾. فهمّهم: أنفسهم وبطونهم وشهواتهم. وليس لهم هم غاية أبداً!

ولما بايع الناس تحت الشجرة انفلت أحد المنافقين يبحث عن جمل له أحمر، وقال: لتحصولي على جملي هذا أحبّ إليّ من بيعتكم. فورد: «كلّكم مغفور له إلا صاحبَ الجمل الأحمر».

إن أحد المنافقين أهمتهُ نفسُه، وقال لأصحابه: لا تنفروا في الحرّ. فقال سبحانه: ﴿ قل نار جهنم أشدّ حرّاً ﴾.

وقال آخر: ﴿ ائذن لي ولا تفتني ﴾. وهمّه نفسُه. فقال سبحانه: ﴿ ألا في الفتنة سقطوا ﴾.

وآخرون أهمتهم أموالهم وأهلوهم: ﴿ شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا ﴾. إنها الهموم التافهة الرخيصة، التي يحملها التافهون الرخيصون. أما الصحابة الأجلاء فإنهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً.

لا تحزن واطرد الهمّ

راحة المؤمن غفلة، والفراغ قاتل، والعطالة بطالة. وأكثر الناس هموماً وغموماً وكدراً العاطلون الفارغون. والأراجيفُ والهواجسُ رأس مال المفاليس من العمل الجادّ المثمر.

فتحرّك واعملْ، وزاولْ وطالعْ، واتلُ وسبّحْ، واكتب وزُرْ، واستفدْ من وقتك، ولا تجعلْ دقيقة للفراغ. إنك يوم تفرغ يدخل عليك الهمُّ والغمُّ، والهاجس والوساوس، وتصبح ميداناً لألاعيب الشيطان.

لا تحزن ممّن جحد إحسانك، وكفر معروفك، فأنت تريد الثوابَ من الله

اجعل عملك خالصاً لوجه الله، ولا تنتظر شكراً من أحد، ولا تهتم ولا تغتم إذا أحسنتَ لأحد من الناس، ووجدته لئيماً. لا يقدّر هذه اليدَ البيضاء، ولا الحسنة التي أسديتَها إليه، فاطلبْ أجرك من الله.

يقول سبحانه عن أوليائه: ﴿ يبتغون فضلاً من الله ورضواناً ﴾. وقال سبحانه عن أنبيائه: ﴿ وما أسألكم عليه من أجر ﴾. ﴿ قل ما سألتكم من أجر فهو لكم ﴾. ﴿ وما لأحد عنده من نعمة تجزى ﴾. ﴿ إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ﴾.

قال الشاعر:

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه ... لا يذهب العرف بين الله والناس

فعامل الواحد الأحد وحده فهو الذي يُثيب ويعطي ويمنع، ويعاقب ويحاسب، ويرضى ويغضب، سبحانه وتعالى.

قُتل شهيداً بقندهار. فقال عمر للصحابة: من القتلى؟ فذكروا له الأسماء، فقالوا: وأُناس لا تعرفهم، فدمعت عينا عمر، وقال: ولكنّ الله يعلمهم.

وأطعم أحد الصالحين رجلاً أعمى فالوذجاً (من أفخر الأكلات)، فقال أهله: هذا الأعمى لا يدري ماذا يأكل! فقال: لكنّ الله يدري!

ما دام أنّ الله مُطّلِعٌ عليك ويعلم ما قدّمته من خير، وما عملته من بر، وما أسديته من فضل، فما عليك من الناس.

لا تحزن من لوم اللائمين وعذل العُذّال

« لن يضروكم إلا أذى »، « ولا تك في ضيق مما يمكرون »، « ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا »، « فبرأه الله مما قالوا ».

لا يضرُّ البحر أمسى زاخرا ... أنْ رمى فيه غلامٌ بحجر

وفي حديث حسن أن الرسول ﷺ قال: «لا تبلغوني عن أصحابي سوءاً، فإني أحبُّ أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر».

لا تحزن من قلة ذات اليد، فإن القلة معها السلامة

كلما ترفّه الجسم تعقدت الروح، والقلّة فيها السلامة. والزهد في الدنيا راحة عاجلة يقدّمها الله لمن شاء من عباده: ﴿إنا نحنُ نرثُ الأرض ومن عليها﴾.

قال أحدهم:

ماءٌ وخبزٌ وظلٌ ... ذاك النعيمُ الأجلُ

كفرتُ نعمةَ ربي ... إنْ قلتُ إني مُقلُ

ماهي الدنيا إلا ماء بارد، وخبز دافئ، وظل وارف!!

وقال آخر:

أمطري لؤلؤاً سماء سرنديـ ... ـب وفيضي أبار تكرور تبرا

أنا إنْ عشتُ لستُ أعدمُ قوتاً ... وإذا متُ لستُ أعدمُ قبرا

همتي همةُ الملوك ونفسي ... نفسُ حرٍ ترى المذلةَ كفرا

وإذا ما قنعتُ بالقوت عمري ... فلماذا أزورُ زيداً وعمرا

إنها عزّة الواثقين بمبادئهم، الصادقين في دعوتهم، الجادّين في رسالتهم.

لا تحزنْ مما يُتوقع

وُجد في التوراة مكتوباً: أكثر ما يُخاف لا يكون!

ومعناه: أن كثيراً مما يتخوّفه الناس لا يقع. فإن الأوهام في الأذهان أكثر من الحوادث في الأعيان.

وقال آخر:

وقلتُ لقلبي إنّ نزا بك فزوةٌ ... من الهمّ افرح أكثرُ الروع باطلُه

أي: إذا جاءك حدّث، و سمعتَ بمصيبة. فتمهّل وتأنّ ولا تحزن. فإن كثيراً من الأخبار والتوقّعات لا صحّة لها. إذا كان هناك صارف للقدر فيُبحث عنه. وإذا لم يكن فأين يكون؟!

﴿ وأفوّض أمري إلى الله إن الله بصيرٌ بالعباد ﴿٤٤﴾ فوقاه الله سيئات ما مكروا ﴾.

لا تحزنْ من نقْد أهل الباطل والحسّاد

فإنك مأجور - من نقدهم وحسدهم - على صبرك. ثم إنّ نقدهم يساوي قيمتك. ثم إن الناس لا ترفس كلبا ميتاً. والناقهين لا حُسّاد لهم.

قال أحدهم:

إن العرانين تلقاها محسّدةً ... ولا ترى للئام الناس حسّادا

وقال الآخر:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه ... فالناس أعداء له وخصوم

كضرائر الحسناء قلن لوجهها ... حسداً ومقتاً إنه لذميم

وقال زهير:

محسودون على ما كان من نعم ... لا ينزع الله منهم ما له حسدوا

وقال آخر:

هم يحسدوني على موتي فوا أسفا ... حتى على الموت لا أخلو من الحسد

وقال الشاعر:

وشكوت من ظلم الوشاة ولن تجد ... ذا سؤدد إلا أصيب بحسد

لا زلت ياسبط الكرام محسدا ... والناقة المسكين غير محسد

ويقول آخر:

وإذا الفتى بلغ السماء بمجده ... كانت كأعداد النجوم عداد

ورموه عن قوس بكل عظيمة ... لا يبلغون بها جنود مداد

سأل موسى ربه أن يكف الناس عنه. فقال الله عز وجل: «يا موسى. ما اتخذت ذلك لنفسي. إني أخلقهم وأرزقهم. وانهم يسبونني ويشتمونني!!

وصحّ عنه ﷺ أنه قال: «يقول الله عز وجل: يسبني ابن آدم، ويشتمني ابن آدم، وما ينبغي له ذلك، أما سبّه إياي، فإنه يسبّ الدهر، وأنا الدهر، أقلب الليل والنهار كيف أشاء، وأما شتمه إياي، فيقول: إنّ لي صاحبة وولدا، وليس لي صاحبة ولا ولد».

إنك لن تستطيع أن تعتقل ألسنة البشر عن فريّ عِرْضك، ولكنك تستطيع أن تفعل الخير، وتجتنب كلامهم ونقدهم.

قال حاتم:

وكلمة حاسدٍ من غير جرمٍ سمعتُ فقلتُ مُرّي فانفذيني

وعابوها عليّ ولم تعبني ولم ينددْ لها أبدا جبيني

وقال آخر:

ولقد أمرُّ على السفيه يسبني فمضيتُ ثمّة قلتُ لا يعنيني

وقال ثالث:

إذا نطق السفيهُ فلا تجبْهُ فخيرٌ من إجابته السكوتُ

إن التافهين والمبخوسين يجدون تحديا سافرا من النبلاء واللامعين والجهابذة.

إذا محاسني اللائي أدلّ بها كانت ذنوبي فقُلْ لي كيف أعتذرُ؟!

أهل الثراء في الغالب يعيشون اضطراباً، إذا ارتفعت أسهمهم انخفض ضغط الدم عندهم. ﴿ ويلٌ لكلّ همزة لُمزة ﴿١﴾ الذي جمع مالا وعدّده ﴿٢﴾ يحسبُ أنّ ماله أخلدهُ ﴿٣﴾ كلاّ لينبذن في الحطمة ﴾.

يقول أحد أدباء الغرب: افعل ما هو صحيح، ثم أدرْ ظهرك لكل نقد سخيف!

ومن الفوائد والتجارب: لا ترد على كلمة جارحة فيك، أو مقولة أو قصيدة. فإن الاحتمالَ دفنُ المعايب، والحلمَ عزٌّ، والصمت يقهر الأعداء، والعفوَ مثوبةٌ وشرف، ونصف الذين يقرؤون الشتم فيك نَسوه. والنصف الآخر ما قرؤوه، وغيرهم لا يدرون ما السبب وما القضية! فلا تُرسِّخ ذلك أنت وتعمقه بالردّ على ما قيل.

يقول أحد الحكماء: الناس مشغولون عني وعنك بنقص خبزهم. وإنّ ظمأ أحدهم يُنسيهم موتي وموتك.

قال الشاعر:

اكتم عن الجلساء بثك إنما جُلساؤك الحسّادُ والشُّمّاتُ

بيتٌ فيه سكينة مع خبز الشعير، خيرٌ من بيت مليء بأعداد شهية من الإدامة، ولكنه روضة للمشاغبة والضجيج.

وقفـــة

لا تحزن: فإن المرض يزول، والمصاب يحول، والذنب يُغفر، والدَّين يُقضى، والمحبوس يُفكّ، والغائب يَقدم، والعاصي يتوب، والفقير يغتني،

لا تحزن: أما ترى السحاب الأسود كيف ينقشع، والليل البهيم كيف ينجلي، والريح الصرصر كيف تسكن، والعاصفة كيف تهدأ؟! إذاً فشدائدك إلى رخاء، وعيشك إلى هَناء، ومستقبلك إلى نَعْماء.

لا تحزن: لهيبُ الشمس يطفئه وارف الظل، وظمأ الهاجرة يُبرده الماء النمير، وعَضَّة الجوع يُسكنها الخبز الدافئ، ومعاناة السهر يعقبه نوم لذيذ، وآلام المرض يُزيلها لذيذ العافية. فما عليك إلا الصبر قليلاً والانتظار لحظة.

لا تحزن: فقد حار الأطباء، وعجز الحكماء، ووقف العلماء، وتساءل الشعراء، وبارت الحيل أمام نفاذ القدرة، ووقوع القضاء، وحتمية المقدور. قال عليُّ بن جبلة:

عسى فرجٌ يكون عسى ... نعلل نفسنا بعسى

فلا تقنط وإن لاقيـ ... ـت هماً يقبض النفسا

فأقرب ما يكون المر ... ءُ من فرج إذا يئسا

لا تحزن واختر لنفسك ما اختاره الله لك

قم إن أقامك، واقعد إن أقعدك، واصبر إذا أفقرك، واشكر إذا أغناك. فهذه من لوازم: «رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً».

قال أحدهم:

لا تدبّـــــر لـــك أمـــــــراً فأولـــو التدبيـــر هلكـــى

وارض عنـــا إن حكمْنـــــا نحـــسنْ أولـــى بـــك منكـا

لا تحزنْ ولا تراقب تصرُّفات الناس

فإنهم لا يملكون ضرّاً ولا نفعاً. ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً. ولا ثواباً ولا عقاباً.

قال أحدهم:

مـنْ راقـــب النـاس مـات هـمّاً وفـــاز باللـــذة الجســـورْ

وقال بشّار:

من راقب الناس لم يظفرْ بحاجته وفاز بالطّيبات الفاتك اللّهجْ

قال ابن الرومي:

لعلّ الليالي بعْد شحْطٍ من النوى ستجمعُنا في ظلّ تلك المآلـف

نعمْ إنّ للأيام بعـد انصـــرامها عواطـف من أفضالها المتضاعف

قال إبراهيم بن أدهم: نحن في عيْش لو علم به الملوك لجالدونا عليه بالسيوف.

وقال ابن تيمية: إنه ليمرُّ بالقلب حال، أقول: ان كان أهل الجنة في مثل حالنا إنهم في عيش طيب.

قال أيضاً: إنه ليمرُّ بالقلب حالات يرقص طرباً من الفرح بذكره سبحانه وتعالى والأنس به.

وقال ابن تيمية أيضا: عندما أُدخلَ السجن، وقد أغلق السجّان الباب، قال: « فضُرب بينهم بسور له بابٌ باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ».

وقال وهو في سجنه: ماذا يفعل أعدائي بي؟! أنا جنتي وبستاني في صدري، أنّى سرتُ فهي معي. إنّ قتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة، وسجني خلوة.

يقولون: أيُّ شيء وجد من فقد الله؟! وأيُّ شيء فقد من وجد الله؟! لا يستويان أبداً. من وجد الله وجد كلَّ شيء، ومن فقد الله فقد كل شيء.

لا تحزنْ، واعرف ثمن الشيء الذي تحزن من أجله

يقول ﷺ: **لأن أقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا اله إلا الله، والله اكبر، احبُّ الي مما طلعت عليه الشمس.**

قال أحد السلف عن الأثرياء وقصورهم ودورهم وأموالهم: نأكل ويأكلون، ونشرب ويشربون، وننظر وينظرون، ولا نُحاسب ويُحاسبون.

وأوّلُ ليلةٍ في القبرِ تنسي قصورَ خورنقٍ وكنوزَ كسرى

﴿ ولقد جئتمونا فُرادى كما خلقناكم أوّلَ مرة ﴾.

المؤمنون يقولون: ﴿ صدق اللهُ ورسولهُ ﴾. والمنافقون يقولون: ﴿ ما وعدنا اللهُ ورسولهُ إلاّ غروراً ﴾.

حياتك من صنع أفكارك. فالأفكار التي تستثمرها وتفكر فيها وتعيشها هي التي تؤثر في حياتك، سواء كانت في سعادة أو شقاوة.

يقول أحدهم: إذا كنت حافياً. فانظر لمن بُترَتْ ساقاه، تحمدْ ربك على نعمة الرجلين.

قال الشاعر:

لا يملأ الهولُ قلبي قبل وقعته ولا أضيقُ به ذرعاً إذا وقعا

لا تحزن ما دمت تُحسن إلى الناس

فإنّ الاحسان إلى الناس طريق واسعة من طرق السعادة. وفي حديث صحيح: إن الله يقول لعبده وهو يحاسبه يوم القيامة: يا ابن آدم، جعتُ ولم تطعمني. قال: كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟! قال: أما علمت أن عبدي فلان ابن فلان جاع فما أطعمته، أما إنك لو أطعمته وجدت ذلك عندي. يا ابن آدم، ظمئتُ فلم تسقني. قال: كيف أسقيك وأنت رب العالمين!

قال: أما علمت أن عبدي فلان ابن فلان ظمئ فما أسقيته. أما إنك لو أسقيته وجدت ذلك عندي. يا ابن آدم، مرضتُ فلم تعدني. قال: كيف أعودك وأنت رب العالمين؟! قال: أما علمت أن عبدي فلان ابن فلان مرض فما عدته. أما إنك لو عدته وجدتني عنده؟!..

هنا لفتة وهي: وجدتني عنده، ولم يقل كالسابقتين: وجدته عندي: لأن الله عند المنكسرة قلوبهم، كالمريض. وفي الحديث: في كل كبد رطبة أجر.. واعلم أن الله أدخل امرأة بغياً من بني إسرائيل الجنة، لأنها سقت كلباً على ظمأ. فكيف بمن أطعم وسقى، ورفع الضائقة وكشف الكربة؟!

وقد صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «من كان له فضلُ زادٍ فليعُد به على من لا زاد له، ومن كان له فضل ظهرٍ فليعد به على من لا ظهر له».. أي ليس له مركوب.

قال حاتم:

وما آنَ بالساعي بفضل لجامها ... لتشرب ماء الحوض قبل الركائب

إذا كنتَ ربّاً للفلوص فلا تدعْ ... رفيقك يمشي خلفها غير راكب

أنخْهـا فأركبْـهُ فإنْ حملتكما ... فذاك وإنْ كان العقابُ فعاقب

وقد قال حاتم في أبيات له جميلة، وهو يوصي خادمه أن يلتمس ضيفاً يقول:

أوقدْ فإن الليل ليلٌ قرٌ ... إذا أتى ضيفٌ فأنت حرٌ

ويقول لامرأته:

إذا ما صنعتِ الزادَ فالتمسي لهُ ... أكُولاً فإني لستُ آكلُهُ وحدي

وقال أيضاً:

أماويَّ إنَّ المالَ غادٍ ورائحٌ ... ويبقى من المال الأحاديثُ والذكرُ

اماويَّ ما يُغني الثراءُ عنِ الفتى ... إذا حشرجتْ يوماً وضاق بها الصدرُ

ويقول:

فما زادنا فخراً على ذي قرابةٍ ... غنانا ولا أزرى بأحسابنا الفقرُ

وقال عروة بن حزام:

أتهزأ مني أن سمنتَ وأن ترى ... بوجهي شحوبَ الحقِّ والحقُّ جاهدُ

أوزِّعُ جسمي في جسوم كثيرةٍ ... وأحسو قراحَ الماءِ والماءُ باردُ

وكان ابن المبارك له جار يهودي، فكان يبدأ فيُطعم اليهودي قبل أبنائه، ويكسوه قبل أبنائه. فقالوا لليهودي: بعنا دارك. قال: داري بألفي دينار، ألفٌ قيمتُها، وألفٌ جوارُ ابن المبارك!. فسمع ابن المبارك بذلك. فقال: اللهم اهدِه إلى الإسلام. فأسلم بإذن الله!

ومرَّ ابن المبارك حاجّاً بقافلة، فرأى امرأة أخذتْ غراباً ميتاً من مزبلة، فأرسل في أثرها غلامه فسألها، فقالت: ما لنا منذ ثلاثة أيام إلا ما يُلقَى

بها، فدمعت عيناه، وأمر بتوزيع القافلة في القرية، وعاد وترك حَجَّته تلك السنة، فرأى في منامه قائلاً يقول: حجٌ مبرور، وسعي مشكور، وذنب مغفور.

ويقول الله عز وجل: ﴿ويُؤثِرُون على أنفُسهم ولو كان بهم خصاصةٌ﴾.

وقال أحدهم:

إني وإن كنتُ امرءاً متباعداً ... عن صاحبي في أرضه وسمائه

لمفيده نصري وكاشفُ كربه ... ومجيبُ دعوته وصوت ندائه

وإذا ارتدى ثوباً جميلاً لم أقلْ ... يا ليتَ أنَّ عليَّ فضلَ كسائه

يا لله ما أجمل الخُلُق! وما أجلَّ المواهب! وما أحسن السجايا!

لا يندم على فعْل الجميل أحدٌ ولو أسرف، وإنما الندم على فعل الخطأ وإن قلَّ.

وقال أحدهم في هذا المعنى:

الخيرُ أبقى وإنْ طالَ الزمانُ به ... والشرُّ أخبثُ ما أوْعَيْتَ من زاد

لا تحزن إذا صكَّتْ أذنَكَ كلمةٌ نابية

فإن الحسدَ قديم

احرصْ على جمع الفضائل واجتهدْ ... واهجرْ ملامةَ منْ تشفَّى أو حسدْ

واعلمْ بأن العمرَ موسمُ طاعةٍ ... قُبلتْ وبعدَ الموتِ ينقطعُ الحسدْ

يقول أحد علماء العصر: إن على أهل الحساسية المرهفة من النقد أن يسكبوا في أعصابهم مقادير من البرود أمام النقد الظالم الجائر.

وقالوا: «لله درُّ الحسد ما أعدله، بدأ بصاحبه فقتله».

وقال المتنبي:

ذكرُ الفتى عمرُه الثاني وحاجتُه ... ما فاتَه وفضولُ العيشِ أشغالُ

وقال علي رضي الله عنه: الأجَل جنة حصينة.

وقال أحد الحكماء: الجبان يموت مرَّات، والشجاع يموت مرة واحدة.

وإذا أراد الله بعباده خيراً في وقت الأزمات ألقى عليهم النعاس أمَنَةً منه، كما وقع النعاس على طلحة رضي الله عنه في أُحُد، حتى سقط سيفه مرات من يده، أمْناً وراحة بال.

وهناك نعاس لأهل البدعة، فقد نعس شبيب بن يزيد وهو على بغلته، وكان من أشجع الناس، وامرأته غزالة هي الشجاعة التي طردت الحجَّاج،

فقال الشاعر:

أسدٌ عليَّ وفي الحروب نعامةٌ فتخاءُ تنفرُ من صفير الصافر

هلاَّ برزتَ إلى غزالةَ في الوغى أم كان قلبُك في جناحيَّ طائر

وقال الله عز وجل: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾.

وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَاباً مُؤَجَّلاً وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾.

وقال الشاعر:

اقولُ لها وقدْ طارتْ شعاعاً من الأبطالِ ويْحَكِ لنْ تُراعي

فإنكِ لو سألتِ بقاءَ يومٍ عنِ الأجلِ الذي لكِ لم تُطاعِ

فصبراً في مجالِ الموتِ صبراً فما نيلُ الخلودِ بمستطاعِ

وما ثوبُ الحياةِ بثوبِ عزٍّ فيُخلَعُ عن أخِ الخَنَعِ اليراعِ

إي والله، فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون.

قال علي رضي الله عنه:

أيُّ يومَيَّ منَ الموتِ أفرُّ يومَ لا قُدِّرَ أمْ يومَ قُدِرْ

يومَ لا قُدِّرَ لا أرهبُهُ ومنَ المقدورِ لا ينجو الحَذِرْ

وقال أبو بكر رضي الله عنه: اطلبوا الموت تُوهب لكم الحياة.

وقفـــــة

لا تحزن: فـإن الله يدافع عنك، والملائكة تستغفر لك، والمؤمنون يشركونك في دعائهم كلَّ صلاة، والنبي ﷺ يشفع، والقرآن يعِدُك وعداً حسناً، وفوق هذا رحمةُ أرحم الراحمين.

لا تحزن: فإن الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، والسيئة بمثلها إلا أن يعفو ربك ويتجاوز، فكم لله من كرَمٍ ما سُمع مثله! ومن جودٍ لا يقاربه جُود!

لا تحزن: فأنت من روّاد التوحيد وحَملة الملّة وأهل القبلة، وعندك أصلُ حبِّ الله وحبِّ رسوله ﷺ، وتندم إذا أذنبتَ، وتفرح إذا أحسنتَ، فعندك خير وأنت لا تدري.

لا تحزن: فأنت على خيرٍ في ضرائك وسرائك، وغناك وفقرك، وشدَّتك ورخائك، «عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كلَّه له خيراً! وليس ذلك إلا للمؤمن، إن أصابته سرّاء فشكر كان خيراً له، وإن أصابته ضرّاء فصبر كان خيراً له».

لا تحزنْ فإن الصبرَ على المكاره وتحمُّلَ الشدائد طريقُ الفوز والنجاح والسعادة

﴿ واصبرْ وما صبرُك إلاّ بالله ﴾. ﴿ فصبرٌ جميلٌ والله المستعانُ على ما تصفون ﴾. ﴿ فاصبرْ صبراً جميلاً ﴾ ﴿ سلامٌ عليكم بما صبرتم ﴾. ﴿ واصبر على ما أصابك ﴾. ﴿ اصبروا وصابروا ورابطوا ﴾.

قال عمر رضي الله عنه: «بالصبر أدركنا حسَن العيش».

لأهل السنة عند المصائب ثلاثة فنون: الصبر، والدُّعاء، وانتظار الفرج.

وقال الشاعر:

سقيناهمو كأساً سقوْنا بمثلها ولكننا كنّا على الموت أصبرا

وفي حديث صحيح: «لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله: إنهم يزعمون أن له ولداً وصاحبة، وإنه يعافيهم ويرزقهم». وقال ﷺ: «رحم الله موسى، ابتُلي بأكثر من هذا فصبر».

وقال ﷺ: «من يتصبّر يُصبّره الله».

دببتَ للمجد والساعونَ قد بلغُوا جهدَ النفوسِ وألقَوا دونَه الأُزُرا

وكابدوا المجدَ حتى ملَّ أكثرُهمْ وعانقَ المجدَ منْ أوفى ومَنْ صبرا

لا تحسبِ المجدَ تمراً أنت آكلُهُ لنْ تبلغَ المجدَ حتى تلعقَ الصبرا

إن المعالي لا تُنال بالأحلام، ولا بالرؤيا في المنام، وإنما بالحزم والعزم.

لا تحزنْ من فعل الخلق معك

وانظرْ إلى فعلِهم مع الخالق

عند أحمد في كتاب الزهد، أن الله يقول: «عجباً لك يا ابن آدم! خلقتُك وتعبد غيري، ورزقتك وتشكر سواي، أتحببْ إليك بالنعم وأنا غنيٌّ عنك، وتتبغّضْ إليّ بالمعاصي وأنت فقير إليّ، خيري إليك نازل، وشرُّك إليّ صاعد»!!

وقد ذكروا في سيرة عيسى عليه السلام أنه داوى ثلاثين مريضاً، وأبرأ عميان كثيرين، ثم انقلبوا ضدَّه أعداءً.

لا تحزنْ من تعسُّر الرزق

فإن الرزَّاق هو الواحد الأحد، فعنده رزق العباد، وقد تكفَّل بذلك، ﴿وفي السَّماء رزقُكُمْ وما تُوعدُونَ﴾.

فإذا كان الله هو الرزاق فلمَ يتملَّق البشر، ولِمَ تُهان النفس في سبيل الرزق لأجل البشر؟! قال سبحانه: ﴿وما من دابَّة في الأرض إلاَّ على الله رزقُها﴾. وقال جلَّ اسمه: ﴿ما يفتح اللهُ للنَّاس من رَحمة فلا مُمسكَ لها وما يُمسكْ فلا مُرسلَ لهُ من بعده﴾.

لا تحزنْ، فإن هناك أسباباً تُسهِّل المصائب على المُصَاب، منها

١ ـ انتظار الأجر والمثوبة من عند الله عز وجل: ﴿إنَّما يُوفَّى الصَّابرُون أجْرَهُمْ بغَيْر حساب﴾.

٢ ـ رؤية المصابين:

ولولا كثرةُ الباكينَ حولي ... على إخوانهمُ لقَتَلْتُ نفسي

فالتفتْ يمنة والتفتْ يسرة، هل ترى إلا مصاباً أو ممتحناً؟ وكما قيل: في كلِّ وادٍ بنو سعد.

٣ ـ وأنها أسهل من غيرها.

٤ ـ وأنها ليست في دين العبد، وإنما في دنياه.

٥ ـ وأن العبودية في التسليم عند المكاره أعظم منها أحياناً في المحابّ.

٦ ـ وأنه لا حيلة:

فاترك الحيلة في تحويلها ... إنما الحيلة في ترك الحيل

٧ ـ وأن الخيرة لله ربِّ العالمين: ﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم﴾.

لا تتقمصْ شخصيةَ غيرك

﴿ولكلٍّ وجهةٌ هو مُوَلّيها فاستبقوا الخيرات﴾ . ﴿وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات﴾ . ﴿قد علم كلُّ أناسٍ مشربهم﴾ .

الناس مواهب وقدرات وطاقات وصنعات، ومن عظمة رسولنا صلى الله عليه وسلّم أنه وظّف أصحابه حسب قُدراتهم واستعداداتهم، فعليٌّ للقضاء، ومعاذ للعلم، وأُبيٌّ للقرآن، وزيدٌ للفرائض، وخالد للجهاد، وحسّان للشعر، وقيس بن ثابت للخطابة.

فوضعُ الندى في موضع السيف بالعلا ... مضرٌ كوضع السيف في موضع الندى

الذوبان في الغير انتحار. تقمُّص صفات الآخرين قتل مُجهِز.

ومن آيات الله عز وجل: اختلاف صفات الناس ومواهبهم، واختلاف ألسنتهم وألوانهم. فأبو بكر برحمته ورفقه نفع الأمة والملّة، وعمر بشدّته وصلابته نصر الإسلام وأهله. فالرضا بما عندك من عطاء موهبةٌ، فاستثمرْها ونمّها وقدّمها وانفعْ بها. ﴿لا يُكلِّفُ اللهُ نفساً إلاّ وُسعها﴾.

إن التقليد الأعمى والانصهار المسرف في شخصيات الآخرين عَدُوّ للموهبة، وقتل للإرادة وإلغاء متعمّد للتميُّز والتفرُّد المقصود من الخليقة.

العزْلة ومردودُها الإيجابيُّ على العبد

والمقصد بها العزلة عن الشرّ وفضول المباح، وهي مما يشرح الخاطر ويُذهب الحزن.

قال ابن تيمية: لا بدّ للعبد من عزلة لعبادته وذكره وتلاوته، ومحاسبته لنفسه، ودعائه واستغفاره، وبُعده عن الشر، ونحو ذلك.

ولقد عقد ابن الجوزي ثلاثة فصول في «صيْد الخاطر» ملخّصها أنه قال: ما سمعتُ ولا رأيتُ كالعزلة. راحة وعزّاً وشرفاً، وبُعداً عن السوء، وعن الشرّ، وصوْناً للجاه والوقت، وحِفظاً للعمر، وبعداً عن الحُسّاد والثقلاء والشامتين، وتفكُّراً في الآخرة، واستعداداً للقاء الله عز وجل، واغتناماً في الطاعة، وجولان الفكر فيما ينفع، وإخراج كنوز الحِكَم، والاستنباط من النصوص.

ونحو ذلك من كلامه الذي ذكره في العزلة. هذا معناه بتصرُّف.

وقلتُ في فصل سابق: للعزلة عزٌّ لا يعلمه إلا الله. ففي العزلة استثمار العقل، وقطْفُ جَنَى الفكر، وراحة القلب، وسلامة العِرْض، وموفور الأجر، والنهي عن المنكر، واغتنام الأنفاس في الطاعة، وتذكُّر الرحيم، وهجر الملهيات والمشغلات، والفرار من الفتن، والبعد عن مداراة العدوّ، وشماتة الحاقد، ونظرات الحاسد، ومماطلة الثقيل، والاعتذار إلى المعاتِب، ومطالبة الحقوق، ومداجاة المتكبّر، والصبر على الأحمق.

وفي العزلة سَتْرٌ للعورات: عورات اللسان، وعثرات الحركات، وفلتات الذهن، ورعونة النفس.

فالعزلة حجاب لوجه المحاسن، وصدفٌ لدُرّ الفضل، وأكمامٌ لطَلْع المناقب، وما أحسن العزلة مع الكتاب، وفرةً للعمر، وفسحةً للأجل، ومحبوحةً في الخلوة، وسفراً في طاعة، وسياحةً في تأمُّل.

وفي العزلة تجد التأمُّل والترقُّب والتفكُّر والتدبُّر.

وفي العزلة تحرص على المعاني، وتحوز على اللطائف، وتتأمل في المقاصد، وتبني صرح الرأي، وتشيد هيكل العقل.

والروح في العزلة في جذل، والقلب في فرح أكبر، والخاطر في اصطياد الفوائد.

ولا تُرائي في العزلة: لأنه لا يراك إلا الله، ولا تُسمع بكلامك بَشَراً، فلا يسمعك إلا السميعُ البصيرُ.

كلُّ اللامعين والنافعين، والعباقرة والجهابذة وأساطين الزمن، ورواد التاريخ، وشُدَاة الفضائل، وعيون الدهر، وكواكب المحافل، كلهم سَقَوْا غَرْسَ نُبْلِهم من ماء العزلة حتى استوى على سُوقه، فنبتت شجرة عظمتهم، فآتت أُكُلَها كلَّ حينٍ بإذن ربِّها.

قال عليُّ بن عبد العزيز الجرجاني:

يقولونَ لي فيك انقباضٌ وإنما ... رأوا رجلاً عن موقف الذُّلِّ أحجما

إذا قيل هذا مورِدٌ قلتُ قد أرى ... ولكنَّ نفسَ الحرِّ تحتملُ الظَّما

ولم أقضِ حقَّ العلم إن كنتُ كلَّما ... بدا طمعٌ صيَّرتُهُ لي سُلَّما

أُرَقِّي به غرساً وأجنيه ذلَّةً ... إذن فاتِّباعُ الجهل قد كان أحزما

ولو أنَّ أهلَ العلم صانوه صانهم ... ولو عظَّموه في النفوس لعُظِّما

ولكنْ أهانُوهُ فهانوا ودنَّسوا ... مُحيَّاهُ بالأطماعِ حتى تجهَّما

وقال أحمد بن خليل الحنبلي:

من أرادَ العزَّ والـ ... ـحرَّ حرَّمَ همَّهُ طويلِ

ليكُنْ فرداً من النا ... س ويرضَ بالقليلِ

كيف يصفو لامرئٍ ما ... عاشَ من عيشٍ وبيلِ

بين غمزٍ من خَتولٍ ... ومداجاةِ ثقيلِ

ومداراةِ حسودٍ ... ومعاناةِ بخيلِ

اد من معرفة النا ... س على كلِّ سبيلِ

وقال القاضي علي بن عبدالعزيز الجرجاني:

ما تطعَّمتُ لذةَ العيشِ حتَّى ... صرتُ للبيتِ والكتابِ جليسا

ليسَ شيءٌ أعـزُّ مـن العلـ ـم فمهما ابتغي سواهُ أنيسا

إنما الذلُّ في مخالطة النا س فدعهُم وعشْ عزيزاً رئيساً

وقال آخر:

أنِسْتُ بوحدتي ولزمتُ بيتي فدامَ لِيَ الهنا ونما السرورُ

وقاطعتُ الأنامَ فما أبالي أسارَ الجيشُ أم ركِبَ الأميرُ

وقال الحميدي المحدِّث:

لقاءُ الناس ليسَ يُفيدُ شيئاً سوى الإكثارِ منْ قيلٍ وقالِ

فأقْلِلْ منْ لقاءِ الناسِ إلاّ لكسبِ العلمِ أو إصلاحِ حالِ

وقال ابن فارس:

وقالوا كيفَ حالُك قلتُ خيراً تُقضَّى حاجةٌ وتفوتُ حاجُ

إذا ازدحمتْ همومُ الصدرِ قلْنا عسى يوماً يكونُ لهُ انفراجُ

نديمي هرّتي وأنيسُ نفسي دفاترُ لي ومعشوقي السراجُ

قالوا: كلُّ من أحبَّ العزلة فهي عزٌّ له. ولك أن تراجع كتاب «العزلة» للخطابي.

لا تحزنْ منَ الشدائد

فإنَّ الشدائد تقوِّي القلب، وتمحو الذنب، وتقصم العُجْب، وتنسف الكِبْر، وهي ذوبان للغفلة، وإشعال للتذكُّر، وجَلْبٌ عطف المخلوقين، ودعاءٌ من الصالحين، وخضوع للجبروت، واستسلام للواحد القهار، وزجْرٌ حاضر، ونذير مقدم، وإحياء للذكر، وتضرُّع بالصبر، واحتساب للغصص، وتهيئة للقدوم على المولى، وإزعاج عن الركون إلى الدنيا والرضا بها والاطمئنان إليها، وما خفي من اللطف أعظم، وما سُتِرَ من الذنب أكبر، وما عُفي من الخطأ أجلُّ.

وقفـــــة

لا تحزن: لأن الحزن يضعفك في العبادة، ويعطِّلك عن الجهاد، ويُورثك الإحباط، ويدعوك إلى سوء الظن، ويُوقعك في التشاؤم.

لا تحزن: فإنَّ الحزن والقلق أساس الأمراض النفسية، ومصدر الآلام العصبية، ومادة الانهيار والوسواس والاضطراب.

لا تحزن: وِمعك القرآن، والذكر، والدعاء، والصلاة، والصدقة، وفعْل المعروف، والعمل النافع المثمر.

لا تحزن: ولا تستسلم للحزن عن طريق الفراغ والعطالة، صلْ.. سبِّحْ.. اقرأ.. اكتبْ.. اعملْ.. استقبلْ.. زُرْ.. تأملْ.

﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾. ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾.

لا تحزنْ واقرأ هذه القواعد في السعادة

١. اعلم أنك إذا لم تعش في حدود يومك تشتَّتَ ذهنُك، واضطربت عليك أمورك، وكثرت همومك وغمومك، وهذا معنى: «إذا أصبحتَ فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيتَ فلا تنتظر الصباح».

٢. انسَ الماضي بما فيه، فالاهتمام بما مضى وانتهى حمقٌ وجنون.

٣. لا تشتغلْ بالمستقبل، فهو في عالم الغيب، ودعِ التفكر فيه حتى يأتي.

٤. لا تهتزَّ من النقد، واثبتْ، واعلم أن النقد يساوي قيمتك.

٥. الإيمان بالله، والعمل الصالح هو الحياة الطيبة السعيدة.

٦. مَن أراد الاطمئنان والهدوء والراحة، فعليه بذكر الله تعالى.

٧. على العبد أن يعلم أن كل شيء بقضاء وقدَر.

٨. لا تنتظر شكراً من أحد.

٩. وطِّنْ نفسَك على تلقِّي أسوأ الفروض.

١٠. لعلّ فيما حصل خيراً لك.

١١. كلُّ قضاء للمسلم خير له.

١٢. فكّرْ في النعم واشكرْ.

١٣. أنت بما عندك فوق كثير من الناس.

١٤. من ساعة إلى ساعة فرج.

١٥. بالبلاء يُستخرج الدعاء.

١٦. المصائب مراهم للبصائر وقوّة للقلب.

١٧. إن مع العسر يسراً.

١٨. لا تقضِ عليك التوافه.

١٩. إن ربّك واسع المغفرة.

٢٠. لا تغضبْ، لا تغضبْ، لا تغضبْ.

٢١. الحياة خبز وماء وظلٌّ، فلا تكترث بغير ذلك.

٢٢. ﴿وفي السّماء رزقُكم وما توعدون﴾.

٢٣. أكثر ما يُخاف لا يكون.

٢٤. لك في المصابين أسوة.

٢٥. إن الله إذا أحبّ قوماً ابتلاهم.

٢٦. كَرْزٌ أدعية الكرب.

٢٧. عليك بالعمل الجادّ المثمر. واهجرِ الفراغ.

٢٨. اتركِ الأراجيف. ولا تصدق الشائعات.

٢٩. حقدك وحرصك على الانتقام يضرُّ بصحتك، أكثر مما يضر الخصم.

٣٠. كل ما يصيبك فهو كفّارة للذنوب.

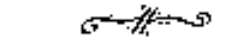

ولِمَ الحزن وعندك ستَّة أخلاط؟

ذكر صاحب «الفرج بعد الشدة»: أن أحد الحكماء ابتُلي بمصيبة، فدخل عليه إخوانه يعزُّونه في المصاب، فقال: إني عملتُ دواءً من ستة أخلاط. قالوا: ما هي؟ قال: الخلط الأول: الثقة بالله. والثاني: علمي بأن كل مقدور كائن. والثالث: الصبر خير ما استعمله المتحنِّكون. والرابع: إن لم أصبر أنا فأيُّ شيء أعمل؟! ولم أكن أُعين على نفسي بالجزع. والخامس: قد يمكن أن أكون في شرٍّ مما أنا فيه. والسادس: من ساعة إلى ساعة فرج.

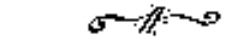

لا تحزنْ إذا أُوذيتَ أو شُتمتَ أو أُهنتَ أو ظُلمتَ

قال شيخ الإسلام: المؤمن لا يطالِب، ولا يعاتِب، ولا يضارِب.

لا تحزنْ وادَّخرْ لك حسن الثناء بإسداء المعروف إلى الناس

أحسنَ أحدُ الكرماء إلى شاعر من الشعراء. أغاثه بعد نكبة لحقته. فقال الشاعر يمدحه:

غلامٌ رماهُ اللهُ بالحسن يافعاً ... على وجهه من كلّ مكرمةٍ سورْ
ولمّا رأى المجد استعيرت ثيابه ... تردّى رداءً واسع الثوب واتّزرْ
كأنّ الثريا علّقتْ بجبينه ... وفي جيده الشعرى وفي وجهه القمرْ

لا تحزن إذا واجهتْكَ الصعابُ وداهمتْكَ المشاكل واعترضتْكَ العوائق، واصبرْ وتحمّلْ

إن كان عندك يا زمانُ بقيّةٌ ... مما تهين به الكرام فهاتها

إن الصبر أرفق من الجزع، وإن التحمل أشرف من الخوَر. وإن الذي لا يصبر اختياراً سوف يصبر اضطراراً.

وقال المتنبي:

رماني الدهرُ بالأرزاءِ حتى ... فؤادي في غشاءٍ من نبالِ
فصرتُ إذا أصابتْني سهامٌ ... تكسّرت النصالُ على النصالِ
فعشتُ ولا أبالي بالرزايا ... لأني ما انتفعتُ بأنْ أبالي

وقال أبو المظفر الأبيوردي:

تنكَّرَ لي دهري ولم يدرِ انني ... أعزُّ وأحداثُ الزمانِ تهونُ

فباتَ يُريني الدهرُ كيفَ اعتداؤهُ ... وبِتُّ أُريهِ الصبرَ كيفَ يكونُ

لا تحزنْ فمعك إخوة ولك محبُّون يبادلونك حباً ومودَّة وتضامُناً

وسوف أُتحفك بأبيات تترنم بها إن شئتَ، وقد تُضفي على قلبك راحة، قال بعضهم في تأليف القلوب ومقاربة الأرواح:

نزلنا على قيسيَّةٍ يمنيَّةٍ ... لها نسبٌ في الصالحينَ هجانِ

فقالتْ وأرختْ جانبَ السِّتْرِ بيننا ... لأيَّةِ أرضٍ أمْ من الرجلانِ

فقلتُ لها: أمَّا رفيقي فقومَةٌ ... تميمٌ وأمَّا أسرتي فيماني

رفيقانِ شتَّى ألَّفَ الدهرُ بيننا ... وقدْ يلتقي الشتَّى فيأتلفانِ

إن الإخوان مسلاة للأحزان، قال أحدهم: لولا الوسواس ما خالطتُ الناس. ﴿الأخلاءُ يومئذٍ بعضُهم لبعضٍ عدوٌّ إلا المُتقين﴾.

وقال بعضهم في مسافر غريب:

ومُشتتُ العزماتِ لا يأوي إلى ... سكنٍ ولا أهلٍ ولا جيرانِ

ألِفَ النَّوى حتى كأنَّ رحيلَهُ ... للبَيْنِ رحلتُهُ إلى الأوطانِ

لا تحزن إذا حجبك أحد
أو اكفهرَّ في وجهك عَبُوس، أو منعَكَ بخيل

لسفيان الثوري أبيات يقول فيها:

سيكفيكَ عمَّا أغلق البابُ دونَهُ ... وضنَّ بِهِ الأقوامُ ملحٌ وجردَقُ

وتشربُ منْ ماءِ فراتٍ وتغتدي ... تعارضُ أصحابَ الشريدِ الملبَّقِ

تجشَّى إذا ما هُم تجشَّوْا كأنما ... ظللْتَ بأنواعِ الخبيصِ تفتَّقُ

إن الكوخ الخشبي، وخيمة الشَّعْر، وخبز الشعير، أعزُّ وأشرف، مع حفظ ماء الوجه وكرامة العِرْض وصوْن النفس، من قصر منيف وحديقة غنَّاء مع التعكير والكدْر.

المحنة كالمرض، لابدَّ له من زمن حتى يزول، ومن استعجل في زواله أوشك أن يتضاعف ويستفحل، فكذلك المصيبة والمحنة لابد لها من وقت، حتى تزول آثارها، وواجب المبتلَى: الصبر وانتظار الفرج ومداومة الدُّعاء.

وقفـــــة

﴿ ولا تيأسُـــوا مـــن رَوْح اللـه إنَّـهُ لا ييأسُ مـــن رَوْح اللـه إلاَّ القـــومُ الكافرُون ﴾، ﴿ ومن يقنطُ من رَحْمة ربِّه إلاَّ الضَّالُّون ﴾، ﴿ إنَّ رحمت الله قريبٌ

مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾. ﴿لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾. ﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾. ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾. ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾. ﴿لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾. ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾. ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ﴾. ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾.

قال الشاعر:

متى تصفو لك الدنيا بخيرٍ ... إذا لم ترضَ منها بالمزاج

ألم تر جوهرَ الدنيا المصفّى ... ومخرجهُ من البحر الأجاج

وربَّ مُخيفةٍ فجأتْ بهولٍ ... جرتْ بمسرّةٍ لكَ وابتهاج

وربَّ سلامةٍ بعدَ امتناعٍ ... وربَّ إقامةٍ بعدَ اعوجاج

وخيرُ جليسٍ في الأنامِ كتابُ

إنّ من أسباب السعادة: الانقطاعَ إلى مطالعة الكتاب، والاهتمام بالقراءة، وتنمية العقل بالفوائد.

والجاحظ يُوصيك بالكتاب والمطالعة، لتطرد الحزن عنك فيقول:

والكتاب هو الجليس الذي لا يطريك. والصديق الذي لا يفريك. والرفيق الذي لا يَملُّك. والمستميح الذي لا يستريبك. والجار الذي لا يستبطيك. والصاحب الذي لا يريد استخراج ما عندك بالمَلَق. ولا يعاملك بالمكْر. ولا يخدعك بالنفاق. ولا يحتال لك بالكذب.

والكتاب هو الذي إن نظرتَ فيه أطال إمتاعك. وشحذَ طباعك. وبسط لسانك. وجوَّد بنانَك. وفخَّم ألفاظك. وبحبح نفسك. وعمَّر صدرك. ومنحك تعظيم العوامّ. وصداقة الملوك. وعرفتَ به في شهرٍ ما لا تعرفه من أفواه الرجال في دهْرٍ. مع السلامة من الغُرْم. ومن كدّ الطلب. ومن الوقوف بباب المكتسب بالتعليم. ومن الجلوس بين يدي مَن أنت أفضل منه خُلُقاً. وأكرم منه عِرقاً. ومع السلامة من مجالسة البغضاء. ومقارنة الأغبياء.

والكتاب هو الذي يطيعك بالليل كطاعته بالنهار. ويطيعك في السفر كطاعته في الحضر. ولا يعتلُّ بنوم. ولا يعتريه كَلَلُ السهر. وهو المعلّم الذي إن افتقرتَ إليه لم يخفرْك. وإن قطعتَ عنه المادة لم يقطع عنك الفائدة. وإن عزلتَه لم يدعْ طاعتك. وإن هبَّت ريح أعاديك لم ينقلب عليك. ومتى كنتَ معه متعلّقاً بسبب أو معتصماً بأدنى حبل كان لك فيه غنىً من غيره. ولم تضرْك معه وحشة الوحدة إلى جليس السوء. ولو لم يكن من فضله عليك وإحسانه إليك إلاّ منْعُه لك من الجلوس على بابك. والنظر إلى المارة بك. مع ما في ذلك من التعرُّض للحقوق التي تلزم. ومن فضول النظر. ومن عادة الخوْض فيما لا يعنيك. ومن ملابسة صغار الناس. وحضور ألفاظهم

الساقطة، ومعانيهم الفاسدة، وأخلاقهم الرديئة، وجهالاتهم المذمومة ، لَكَان في ذلك السلامة ثم الغنيمة، وإحراز الأصل مع استفادة الفرع، ولو لم يكن في ذلك إلا أنه يشغلك عن سخف المُنَى، وعن اعتياد الراحة وعن اللَّعب، وكل ما أشبه اللعب، لَقد كان على صاحبه أسبغَ النعمة وأعظمَ المِنَّة.

وقد علمنا أن أفضل ما يقطع به الفُرّاغُ نهارهم، وأصحاب الفكاهات ساعاتِ ليلهم: الكتابُ، وهو الشيء الذي لا يُرى لهم فيه مع النيْل أثر في ازدياد تجربة ولا عقل ولامروءة، ولا في صوْن عرض، ولا في إصلاح دين، ولا في تثمير مال، ولا في رب ضيعة، ولا في ابتداء إنعام.

• اقوالٌ في فضل الكتاب:

وقال أبو عبيدة: قال المهلّب لبنيه في وصيته: يا بَنِيَّ، لا تقوموا في الأسواق إلا على زرّاد أو ورّاق.

وحدّثني صديق لي قال: قرأتُ على شيخ شامي كتاباً فيه من مآثر غطفان، فقال: ذهبتِ المكارم إلا من الكتب. وسمعتُ الحسن اللؤلؤي يقول: غبرتُ أربعين عاماً ما قِلْتُ ولا بِتُّ ولا اتكأتُ، إلاّ والكتاب موضوع على صدري.

وقال ابن الجهم: إذا غشيني النعاس في غير وقت نوم ، وبئس الشيء النوم الفاضل عن الحاجة ، تناولتُ كتاباً من كتب الحِكَم، فأجدُ اهتزازي

للفوائد. والأريحية التي تعتريني عند الظفر ببعض الحاجة. والذي يغشى قلبي من سرور الاستبانة. وعزّ التبين أشدُّ إيقاظاً من نهيق الحمير. وهدّة الهدْم.

وقال ابن الجهم: إذا استحسنتُ الكتاب واستجدته. ورجوتُ منه الفائدة. ورأيت ذلك فيه. فلو تراني وأنا ساعة بعد ساعة أنظر كم بقي من ورقه مخافة استنفاده. وانقطاع المادة من قلبه. وإن كان المصحف عظيم الحجم كثير الورق. كثير العدد فقد تم عيشي وكمل سروري.

وذكر العتبي كتاباً لبعض القدماء فقال: لولا طوله وكثرة ورقه لنسخته. فقال ابن الجهم: لكني ما رغّبني فيه إلا الذي زهّدك فيه. وما قرأتُ قطُّ كتاباً كبيراً فأخلاني من فائدة. وما أحصي كم قرأتُ من صغار الكتب فخرجتُ منها كما دخلتُ!.

وأجلُّ الكتب وأشرفها وأرفعها: ﴿كتابٌ أُنزل إليك فلا يكُن في صدرك حرجٌ منه لتُنذر به وذكرى للمؤمنين﴾.

•فوائد القراءة والمطالعة:

١. طرد الوسواس والهمّ والحزن.

٢. اجتناب الخوض في الباطل.

٣. الاشتغال عن البطّالين وأهل العطالة.

٤. فتْقُ اللسان وتدريبٌ على الكلام. والبعد عن اللحن. والتحلّي بالبلاغة والفصاحة.

٥. تنمية العقل، وتجويد الذهن، وتصفية الخاطر.

٦. غزارة العلم، وكثرة المحفوظ والمفهوم.

٧. الاستفادة من تجارب الناس وحكم الحكماء، واستنباط العلماء.

٨. إيجاد المَلَكة الهاضمة للعلوم، والمطالعة على الثقافات الواعية لدورها في الحياة.

٩. زيادة الإيمان خاصّة في قراءة كتب أهل الإسلام، فإن الكتاب من أعظم الوعّاظ، ومن أجلّ الزاجرين، ومن أكبر الناهين، ومن أحكم الآمرين.

١٠. راحة للذهن من التشتّت، وللقلب من الشرذُم، وللوقت من الضياع.

١١. الرسوخ في فهم الكلمة، وصياغة المادة، ومقصود العبارة، ومدلول الجملة، ومعرفة أسرار الحكمة.

فـروحُ الـــروح أرواحُ المعانـــي ولـيـس بـأنْ طـعمت ولا شربتا

لا تحزن وأنت تعلم أنك ادخرتَ بمعروفك السـنةَ تُثنـي عليـك

وأكُفّاً ترتفع بالدعاء لك، وأفواهاً تمدحك بالخير الذي قدّمته وأسديتَه وخلّفته، إن الثناء الحسن عمرٌ ثانٍ وولد مخلّد، وميراث عامر، وتركة مباركة طيبة.

قال الشاعر يمدح كريماً:

كأنك في الكتابِ وجدتَ لاءَ ... مُحرَّمةً عليك فلا تحلُّ

إذا حضر الشتاءُ فأنت شمسٌ ... وإن حلَّ المصيفُ فأنت ظلُّ

وما تدري إذا أنفقتَ مالاً ... أيكثرُ في عطائك أم يقلُّ

جُزيتَ عن البريةِ كلَّ خيرٍ ... فأنتَ الماجدُ البطلُ الأجلُّ

بوجهك نستضيءُ إذا سَرينا ... جبينٌ في الليالي مُشْعلُ

وذكرُك في المسامعِ خيرُ هادٍ ... يُكرِّرُ في الجموعِ فلا يُملُّ

فدتْكَ نفوسُنا عن كلِّ هولٍ ... ويفديك الحجيجُ إذا أهلُّوا

وقفة

مرض أبو بكر رضي الله عنه فعادوه، فقالوا: ألا ندعو لك الطبيب؟ فقال: قد رآني الطبيب. قالوا: فأيُّ شيء قال لك؟ قال: إني فعّالٌ لما أريد.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: وجدنا خير عيشنا بالصبر.

وقال أيضاً: أفضل عيش أدركناه بالصبر، ولو أن الصبر كان من الرجال كان كريماً.

وقال عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه: ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد. فإذا قُطع الرأسُ بار الجسم. ثم رفع صوته فقال: إنه لا إيمان لمن لا صبر له. وقال: الصبر مطيَّة لا تكبو.

وقال الحسن: الصبر كَنز من كنوز الخير. لا يعطيه الله إلا لعبد كريم عنده.

وقال عمر بن عبدالعزيز: ما أنعم الله على عبد نعمة. فانتزعها منه. فعاضه مكانها الصبر. إلاّ كان ما عوّضه خيراً مما انتزعه.

وقال ميمون بن مهران: ما نال أحد شيئاً من خير الخير فيما دونه إلاّ الصبر.

وقال سليمان بن القاسم: كلُّ عمل يُعرَف ثوابه إلا الصبر. قال تعالى: ﴿إنَّما يُوفَّى الصَّابِرُونَ أجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ قال: كالماء المنهمر.

لا تحزن لأنَّ هناك مشهداً آخرَ وحياةً أخرى، ويوماً ثانياً

يجمع الله فيه الأوّلين والآخرين. وهذا يجعلك تطمئنُّ لعدل الله. فمن سُلِبَ مالُه هنا وجده هناك. ومن ظُلم هنا أُنصف هناك. ومن جار هنا عوقب هناك!!

نُقل عن «كانت» الفيلسوف الألماني أنه قال: «إن مسرحيّة الحياة الدنيا لم تكتمل بعد. ولابدَّ من مشهد ثانٍ: لأننا نرى هنا ظالماً ومظلوماً ولم نجد الإنصاف. وغالباً ومغلوباً ولم نجد الانتقام. فلابدَّ إذن من عالم آخر يتمُّ فيه العدل».

قال الشيخ علي الطنطاوي معلّقاً: وهذا الكلام اعتراف ضمني باليوم الآخر والقيامة. من هذا الأجنبي.

إذا جسارُ الوزيـــرُ وكاتبـــاهُ ... وقاضي الأرضِ أجحفَ في القضاءِ

فويـــلٌ ثـــم ويـــلٌ ثـــم ويـــلٌ ... لقاضي الأرضِ من قاضي السماءِ

﴿ لا ظُلْمَ اليومَ إنَّ اللهَ سريعُ الحسابِ ﴾.

أقوالٌ عالمية ونُقولات من تجارب القوم

كتب «روبرت لويس ستيفنسون»: «فكل إنسان يستطيع القيام بعمله مهما كان شاقّاً في يوم واحد. وكل إنسان يستطيع العيش بسعادة حتى تغيب الشمس. وهذا ما تعنيه الحياة».

قال أحدهم: «ليس لك من حياتك إلا يوم واحد. أمس ذهب. وغد لم يأت».

كتب «ستيفن ليكوك»: «فالطفل يقول: حين أصبح صبيّاً. والصبيُّ يقول: حين أُصبح شاباً. وحين أُصبح شاباً أتزوج. ولكن ماذا بعد الزواج؟ وماذا بعد كل هذه المراحل؟ تتغير الفكرة نحو: حين أكون قادراً على

القاعُد، ينظر خلفه، وتلفحه رياح باردة، لقد فقد حياته التي ولّت دون أن يعيش دقيقة واحدة منها، ونحن نتعلّم بعد فوات الأوان أن الحياة تقع في كل دقيقة وكلّ ساعة من يومنا الحاضر».

وكذلك المسوّفُون بالتوبة.

قال أحد السلف: «أنذرتُكم (سوف)، فإنها كلمةٌ كم منعت من خير وأخّرت من صلاح».

﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾.

يقول الفيلسوف الفرنسي «مونتين»: «كانت حياتي مليئة بالحظّ السيئ الذي لم يرحم أبداً».

قلتُ: هؤلاء لم يعرفوا الحكمة من خلْقهم، على الرغم من ذكائهم ومعارفهم، لكن لم يهتدوا بهدي الله الذي بعث به رسوله ﷺ. ﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾. ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً ﴾.

يقول: «دانسي»: «فكّرْ إن هذا اليوم لن ينبثق ثانية».

قلتُ: وأجمل منه وأكمل حديث: «صلِّ صلاة مودّع».

ومن جعل في خلَده أن هذا اليوم الذي يعيش فيه آخر أيامه، جدّد توبَته، وأحسن عمله، واجتهد في طاعة ربه واتباع رسوله ﷺ.

كتب الممثل المسرحي الهندي الشهير «كاليداسا»:

تحيةُ للفجر

انظرْ إلى هذا النهار

لأنه هو الحياة، حياة الحياة

في فترته الوجيزة، تُوجد مختلف حقائق وجودك

نعمة النمو

العمل المجيد

وبهاء الانتصـــار

ولأن الأمس ليس سوى حلم

والغد ليس إلا رُؤى

لكنَّ اليوم الذي تعيشه بأكمله يجعل الأمس حلماً جميلاً،

وكل غد رؤية للأمل

فانظر جيّدًا إلى هذا النهار

هذه هي تحية الفجر

لا تحزنْ، واسألْ نفسك هذه الأسئلة

عن يومك وأمسك وغدك

أغلق الأبواب الحديديّة على الماضي والمستقبل، وعشْ دقائق يومك:

١. هل أقصد أن أؤجّل حياتي الحاضرة من أجل القلق بشأن المستقبل، أو الحنين إلى «حديقة سحرية وراء الأفق»؟

٢. هل أجعل حاضري مريراً بالتطلُّع إلى أشياء حدثت في الماضي، حدثت وانقضت مع مرور الزمن؟

٣. هل أستيقظ في الصباح، وقد صمَّمت على استغلال النهار، والإفادة القصوى من الساعات الأربع والعشرين المقبلة؟

٤. هل أستفيد من الحياة إذا ما عشتُ دقائق يومي؟

٥. متى سأبدأ في القيام بذلك؟ الأسبوع المقبل؟ .. في الغد؟.. أو اليوم؟

لا تحزن إذا ألمَّتْ بك حادثة واسأل نفسك

١. اسألْ نفسَك: ما أسوأ احتمال يمكن أن يحدث؟

٢. جهِّزْ نفسك لقبوله وتحمُّله.

٣. ثم باشِرْ بهدوء لتحسين ذلك الاحتمال. ﴿الَّذين قال لهُمُ النَّاسُ إنَّ النَّاس قد جمعُوا لكُمْ فاخْشَوْهُمْ فزادهُم إيمانا وقالُوا حسْبُنا اللَّهُ ونعْم الوكيلُ﴾.

وقفـــة

﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ﴿٢﴾ ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾. ﴿ سيجعل الله بعد عسر يسرا ﴾

«واعلم ان النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا».

«أنا عند ظن عبدي بي فليظنّ بي ما شاء».

﴿ فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ﴾.

﴿ وتوكل على الحي الذي لا يموت ﴾

﴿ فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده ﴾

﴿ ليس لها من دون الله كاشفة ﴾

قال الحسين بن مطير الأسدي:

إذا يسّر الله الأمور تيسرت ... ولانت قواها واستقاد عسيرها

فكم طامع في حاجة لا ينالها ... وكم ايسٍ منها أتاه بشيرها

وكم خائف صار المخيف ومقتر ... تموّل والأحداث يحلو مريرها

وقد تغدر الدنيا فيمسي غنيها ... فقيرا ويغنى بعد بؤس فقيرها

وكم قد رأينا من تكدّر عيشة ... وأخرى صفا بعد انكدار غديرها

لا تحزن، فإن الحزن يحطّم القوّة ويهدُّ الجسم

قال الدكتور «الكسيس كاريل»، الحائز على جائزة نوبل في الطب: «إن رجال الأعمال الذين لا يعرفون مجابهة القلق، يموتون باكراً».

قلتُ: كلُّ شيء بقضاء وقدَر. لكن قد يكون المعنى: أن من الأسباب المتلفة للجسم المحطِّمة للكيان، هو القلق. وهذا صحيح.

«والحزن أيضاً يثير القرحة!»:

يقول الدكتور «جوزيف ف. مونتاغيو» مؤلف كتاب «مشكلة العصبية»، يقول فيه: «أنت لا تُصاب بالقرحة بسبب ما تتناول من طعام، بل بسبب ما يأكلك»!!.

قال المتنبي:

والهمُّ يختـرمُ الجسـيمَ نحافـةً ويُشـيبُ ناصـيةَ الغـلام ويُهـرمُ

وطبقاً لمجلة «لايف» تأتي القرحة في الدرجة العاشرة من الأمراض الفتّاكة.

وإليك بعض آثار الحزن:

تُرجمت لي قطعة من كتاب الدكتور إدوار بودوسكي، وعنوانه: «دع القلق وانطلق نحو الأفضل». إليك بعضاً من عناوين فصول هذا الكتاب:

- ماذا يفعل القلق بالقلب.
- ضغط الدم المرتفع يغذّيه القلق.
- القلق يمكن أن يتسبب في أمراض الروماتيزم.
- خفّفْ من قلقك إكراماً لمعدتك.
- كيف يمكن أن يكون القلق سبباً للبرد.
- القلق والغدّة الدرقية.
- مصاب السكري والقلق.

وفي ترجمة لكتاب د. كارل مانينغر، أحد الاطباء المتخصصين في الطب النفسي، وعنوانه: «الإنسان ضدّ نفسه»، يقول: «لا يعطيك الدكتور مانينغر قواعد حول كيفية اجتناب القلق، بل تقريراً مذهلاً عن كيف تحطم أجسادنا وعقولنا بالقلق والكبت، والحقد والازدراء، والثورة والخوف..

إن من أعظم منافع قوله تعالى: ﴿والعافين عن النّاس﴾: راحة القلب، وهدوء الخاطر، وسَعة البال والسعادة.

وفي مدينة «بوردو» الفرنسية، يقول حاكمها الفيلسوف الفرنسي مونتين»: أرغب في معالجة مشاكلكم بيدي وليس بكبدي ورئتي».

ماذا يفعل الحزن، والهمّ والحقد؟

وضع الدكتور راسل سيسيل، من جامعة «كورنيل»، معهد الطب، أربعة أسباب شائعة تتسبب في التهاب المفاصل:

١ ـ انهيار الزواج.

٢ ـ الكوارث المادية والحزن.

٣ ـ الوحدة والقلق.

٤ ـ الاحتقار والحقد.

وقال الدكتور وليم مانك غوينغل، في خطاب لاتحاد أطباء الاسنان الأمريكيين: «إن المشاعر غير السارة مثل القلق والخوف.. يمكن أن تؤثر في توزيع الكالسيوم في الجسم، وبالتالي تؤدي إلى تلف الأسنان».

وتناول أمورك بهدوء:

يقول دايل كارنيجي: «إن الزوج الذين يعيشون في جنوب البلاد والصينيين نادراً ما يُصابون بأمراض القلب الناتجة عن القلق؛ لأنهم يتناولون الأمور بهدوء».

ويقول: «إن عدد الأمريكيين الذين يُقْبلون على الانتحار هو أكثر بكثير من الذين يموتون نتيجة للأمراض الخمسة الفتّاكة».

وهذه حقيقة مدهلة تكاد لا تصدّق!

حسنُ ظنك بربك:

قال وليم جايمس: «إن الله يغفر لنا خطايانا. لكن جهازنا العصبي لا يعمل ذلك أبداً».!

ذكر ابن الوزير في كتابه «العواصم والقواصم»: «إن الرجاء في رحمة الله ـ عز وجل ـ يفتح الأمل للعبد، ويقوّيه على الطاعة، ويجعله نشيطاً في النوافل سابقاً إلى الخيرات».

قلتُ: وهذا صحيح، فإن بعض النفوس لا يصلحها إلا تذكُّر رحمة الله وعفوه وتوبته وحلمه، فتدنو منه، وتجتهد وتثابر.

طاولْ به النّجم مال النجمُ أو سنحا ... وماطل الجفن ضنّ الجفنُ أو سمحا

فإنْ تشكّتْ فعلّلها المجرّة من ... ضوء الصباح وعدّها بالرواح ضُحى

إذا هام بك الخيالُ:

يقول توماس أدسون: «لا توجد وسيلة يلجأ إليها الإنسان هرباً من التفكير».

وهذا صحيح بالتجربة، فإن الإنسان قد يقرأ أو يكتب وهو يفكر، ولكن من أحسن ما يحدُّ التفكير ويضبطه العملُ الجادُّ المثمر النافع، فإن أهل الفراغ أهل خيال وجنوح وأراجيف.

لا تقلقْ من النصح البنّاء الهادف، بل رحّب به

يقول أندريه مورو: إن كل ما يتفق مع رغباتنا الشخصية يبدو حقيقياً، وكل ما هو غير ذلك يُثير غضبَنا..

قلتُ: وكذلك النصائح والنقد، فالغالب أننا نحب المدح ونُطرَب له، ولو كان باطلاً، ونكره النقد والذمّ ولو كان حقّاً، وهذا عيب كبير وخطأ خطير.

﴿ وإذا دُعوا إلى الله ورسوله ليحكُم بينهم إذا فريقٌ منهم مُعرضون ۞ وإن يكُن لهم الحقّ يأتوا إليه مُذعنين ﴾.

يقول وليم جايمس: «عندما يتمُّ التوصُّل إلى قرار يُنفَّذُ في نفس اليوم. فإنك ستتخلّص كليًا من الهموم التي ستسيطر عليك فيما أنت تفكر بنتائج المشكلة. وهو يعني أنك إذا اتخذت قراراً حكيماً يرتكز على الوقائع. فامضِ في تنفيذه ولا تتوقّف متردّداً أو قلقاً أو تتراجع في خطواتك، ولا تضيّع نفسك بالشكوك التي لا تلد إلاّ الشكوك، ولا تستمر في النظر إلى ما وراء ظهرك».

وأنشدوا في ذلك:

ومشتتُ العزماتِ يُنفقُ عمرهُ ... حيرانَ لا ظفراً ولا إخفاقَ

وقال آخر:

إذا كنت ذا رأي فكنْ ذا عزيمةٍ ... فإنّ فسادَ الرأي أنْ تترددّا

إن الشجاعة في اتخاذ القرار إنقاذ لك من القلق والاضطراب. ﴿ فإذا عزم الأمرُ فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم ﴾.

لا تتوقف متفكراً أو متردداً

بل اعمل وابذل واهجر الفراغ

يقول الدكتور ريتشاردز كابوت، أستاذ الطب في جامعة (هارفرد)، في كتابه بعنوان (بم يعيش الإنسان): «بصفتي طبيباً، أنصح بعلاج (العمل) للمرضى الذين يعانون من الارتعاش الناتج عن الشكوك والتردد والخوف.. فالشجاعة التي يمنحها العمل لنا هي مثل الاعتماد على النفس الذي جعله (آمرسون) دائم الروعة..

﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله ﴾.

يقول جورج برناردشو: «يكمن سر التعاسة في أن يتاح لك وقت لرفاهية التفكير، فيما إذا كنت سعيداً أو لا. فلا تهتم بالتفكير في ذلك، بل ابق منهمكاً في العمل، عندئذ يبدأ دمك في الدوران، وعقلك بالتفكير، وسرعان ما تُذهِبُ الحياة الجديدة القلق من عقلك! اعمل وابق منهمكاً في العمل، فإن هذا أرخص دواء موجود على وجه الأرض وأفضله».

﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾.

يقول دزرائيلي: «الحياة قصيرة جداً، لتكون تافهة».

وقال بعض حكماء العرب: «الحياة أقصر من أن نقصرها بالشحناء».

﴿ قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين ﴿١١٢﴾ قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين ﴿١١٣﴾ قال إن لبثتم إلا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون ﴾.

أكثر الشائعات لا صحة لها:

يقول الجنرال جورج كروك ـ وهو ربما أعظم محارب هندي في التاريخ الأمريكي ـ في صحيفة ٧٧ من مذكراته: «إن كلّ قلق وتعاسة الهنود تقريباً تصدر من مخيلتهم وليس من الواقع».

قال سبحانه وتعالى: ﴿يحسبون كلّ صيحة عليهم﴾. ﴿لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلاّ خبالا ولأوضعوا خلالكم﴾.

يقول الأستاذ هوكس ـ من جامعة «كولومبيا» ـ إنه اتخذ هذه الترنيمة واحداً من شعاراته: لكل علّة تحت الشمس يُوجد علاج، أو لا يوجد أبداً. فإن كان يوجد علاج حاولْ أن تجده، وإن لم يكن موجوداً لا تهتم به».

وفي حديث صحيح: «**ما أنزل الله من داء إلا أنزل له دواءً، علمه من علمه، وجهله من جهله**».

الرفقُ يجنّبك المزالق:

قال أستاذ ياباني لتلاميذه: «الانحناء مثل الصفصاف، وعدم المقاومة مثل البلّوط».

وفي الحديث: «**المؤمن كالخامة من الزرع، تفيئُها الريح يمنة ويسرة**».

والحكيم كالماء، لا يصطدم في الصخرة، لكنه يأتيها يمنة ويسرة ومن فوقها ومن تحتها.

وفي الحديث: «**المؤمن كالجمل الآنف، لو أُنيخ على صخرة لأناخ عليها**».

ما فات لن يعود:

﴿ لكيلا تأسوا على ما فاتكم ﴾.

وقف الدكتور بول براندوني، وألقى بزجاجة حليب إلى الأرض، وهتف قائلاً: «لا تبكِ على الحليب المُراق».

وقالت العامّة: الذي لم يُكتب لك عسيرٌ عليك.

قال آدم لموسى عليهما السلام: أتلومني على شيء كتبه الله عليَّ قبل أن يخلقني بأربعين عاماً؟ قال رسول الله ﷺ: «فحجّ آدمُ موسى، فحجّ آدمُ موسى، فحجّ آدم موسى».

وابحثْ عن السعادة في نفسك وداخلك، لا من حولك وخارجك:

قال الشاعر الإنجليزي ميلتون: «إن العقل في مكانه وبنفسه يستطيع أن يجعل الجنة جحيماً، والجحيم جنة»!

قال المتنبي:

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعمُ

فالحياة لا تستحقّ الحزن:

قال نابليون في «سانت هيلينا»: لم أعرف ستة أيام سعيدة في حياتي!!

قال هشام بن عبدالملك ـ الخليفة ـ: «عددتُ أيام سعادتي فوجدتها ثلاثة عشر يوماً».

وكان أبو عبدالملك يتأوّه ويقول: «يا ليتني لم أتولَّ الخلافة».

قال سعيد بن المسيب: الحمد لله الذي جعلهم يفرُّون إلينا ولا نفرُّ إليهم.

ودخل ابن السماك الواعظ على هارون الرشيد، فظمئ هارون وطلب شربة ماء، فقال ابن السماك: لو مُنعتَ هذه الشربة يا أمير المؤمنين، أتفتديها بنصف ملكك؟ قال: نعم. فلمّا شربها، قال: لو مُنعتَ إخراجها، أتدفع نصف ملكك لتخرُج؟ قال: نعم. قال ابن السماك: فلا خير في ملك لا يساوي شربة ماء.

إن الدنيا إذا خلتْ من الإيمان فلا قيمة لها ولا وزن ولا معنى.

يقول إقبال:

إذا الإيمـــان ضـــاع فلا أمـــان ولا دنيا لمـــنْ لـــم يُحيـــي دينـــا

ومن رضـــي الحيـــاة بغـــير دينٍ فقدْ جعـــل الفنـــاء لها قرينـا

قال أمرسون في نهاية مقالته عن (الاعتماد على النفس): «إن النصر السياسي، وارتفاع الأجور، وشفاءك من المرض، أو عودة الأيام السعيدة تنفتح أمامك. فلا تصدّق ذلك: لأن الأمر لن يكون كذلك. ولا شيء يجلب لك الطمأنينة إلا نفسك».

« يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية ».

حذّر الفيلسوف الروائي أبيكتويتوس: «بوجوب الاهتمام بإزالة الأفكار الخاطئة من تفكيرنا، أكثر من الاهتمام بإزالة الورم والمرض من أجسادنا».

والعجب أن التحذير من المرض الفكري والعقائدي في القرآن أعظم من المرض الجسماني. قال سبحانه: « في قلوبهم مرضٌ فزادهم الله مرضا ولهم عذابٌ أليمٌ بما كانوا يكذبون ... » فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ».

تبنّى الفيلسوف الفرنسي مونتين هذه الكلمات شعاراً في حياته: «لا يتأثر الإنسان بما يحدث مثلما يتأثر برأيه حول ما يحدث».

وفي الأثر: «اللهم رضّني بقضائك حتى أعلم أنّ ما أصابني لم يكن ليخطئني، وما أخطأني لم يكن ليصيبني».

وقفـــة

لا تحزنْ: لأن الحزن يُزعجك من الماضي، ويخوّفك من المستقبل، ويُذهب عليك يومك.

لا تحزنْ: لأن الحزن ينقبض له القلب، ويعبس له الوجه، وتنطفئ منه الروح، ويتلاشى معه الأمل.

لا تحزنْ: لأن الحزن يسرُّ العدو، ويغيظ الصديق، ويُشمت بك الحاسد، ويغيّر عليك الحقائق.

لا تحزنْ: لأن الحزن مخاصمة للقضاء، وتبرُّم بالمحتوم، وخروج على الأنس، ونقمة على النعمة.

لا تحزنْ: لأن الحزن لا يردُّ مفقوداً وذاهباً، ولا يبعث ميّتاً، ولا يردُّ قدراً، ولا يجلب نفعاً.

لا تحزنْ: فالحزن من الشيطان، والحزن يأس جاثم، وفقر حاضر، وقنوط دائم، وإحباط محقق، وفشل ذريع.

﴿ ألم نشرح لك صدرك ﴿١﴾ ووضعنا عنك وزرك ﴿٢﴾ الذي أنقض ظهرك ﴿٣﴾ ورفعنا لك ذكرك ﴿٤﴾ فإن مع العسر يسرا ﴿٥﴾ إن مع العسر يسرا ﴿٦﴾ فإذا فرغت فانصب ﴿٧﴾ وإلى ربك فارغب ﴿٨﴾ ﴾.

لا تحزن ما دمت مؤمناً بالله

إن هذا الإيمان هو سرُّ الرضا والهدوء والأمن، وإن الحيرة والشقاء مع الإلحاد والشكّ. ولقد رأيتُ أذكياء، بل عباقرة، خلتُ أفئدتهم من نور الرسالة، فطفحت ألسنتُهم عن الشريعة.

يقول أبو العلاء المعرّي عن الشريعة: تناقضٌ ما لنا إلا السكوت له!!

ويقول الرازي: نهاية إقدام العقول عقالُ.

ويقـول الجـويني. وهو لا يدري أين الله: حـيّـرني الهـمـداني. حـيـرني الهمداني.

ويقول ابن سينا: إن العقل الفعّال هو المؤثّر في الكون.

ويقول إيليا أبو ماضي:

جئتُ لا اعلم من أين ولكنّـي أتيتُ ولقدْ أبصرتُ قدّامي طريقاً فمشيتُ

إلى غير ذلك من الأقوال التي تتفاوت قرباً وبعداً عن الحق.

فعلمتُ أنه بحسب إيمان العبد يسعد، وبحسب حيرته وشكّه يشقى. وهـذه الأطـروحـات المتـأخـرة بناتٌ لتلك الكلمـات العـاتيـة منذ القِـدَم، والمنحـرف الأثيم فـرعون قـال: ﴿ما علمتُ لكُم مِنْ إلهٍ غيري﴾. وقـال: ﴿أنا ربُّكُمُ الأعلى﴾.

ويا لها من كفريّات دمّرت العالم.

يقـول جـايمس آلين، مـؤلف كـتاب «مـثلما يفكر الإنسان»: «سيكتشف الإنسان أنه كلما غيّر أفكاره إزاء الأشياء والأشخاص الآخرين، ستتغير الأشـيـاء والأشـخـاص الآخـرون بدورهم.. دعْ شـخـصـاً مـا يغيّـر أفكاره، وستدهش للسرعة التي ستتغير بها ظروف حياته المادية. فالشيء المقدّس الذي يشكّل أهدافنا هو نفسنا...».

وعن الأفكار الخـاطئة وتأثيرها، يقول سبحانه: ﴿بل ظننتم أن لن ينقلب الرّسولُ والمؤمنون إلى أهليهم أبدا وزيّن ذلك في قلوبكم وظننتم ظنّ السّوء وكنتم

قوما بورا ﴾ . ﴿ يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله ﴾.

ويقول جايمس آلين أيضاً: «وكل ما يحققه الإنسان هو نتيجة مباشرة لأفكاره الخاصة.. والإنسان يستطيع النهوض فقط والانتصار وتحقيق أهدافه من خلال أفكاره، وسيبقى ضعيفاً وتعيساً إذا ما رفض ذلك».

قال سبحانه عن العزيمة الصادقة والفكر الصائب: ﴿ ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم ﴾.

وقال تعالى: ﴿ ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ﴾.

وقال: ﴿ فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم ﴾.

لا تحزن للتوافه، فإنّ الدنيا بأسرها تافهة

رُمي أحدُ الصالحين الكبار بين براثن الأسد، فانجاد الله منه، فقالوا له: فيمَ كنتَ تفكّر؟ قال: أفكّر في لعاب الأسد، هل هو طاهر أم لا!!. وماذا قال العلماء فيه.

ولقد ذكرتُ الله ساعة خوفه ... للباسلين مع القنا الخطار

فنسيتُ كلّ لذائذ جيّاشة ... يوم الوغى للواحد القهّار

إن الله ـ جلَّ في علاه ـ مايز بين الصحابة بحسب مقاصدهم، فقال: «منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة».

ذكر ابن القيم أن قيمة الإنسان همته، وماذا يريد؟!.

وقال أحدُ الحكماء: أخبرني عن اهتمام الرجل أخبرك أيَّ رجل هو.

ألا بلِّغ الله الحمى من يريده ... وبلِّغ أكناف الحمى من يريدها

وقال آخر:

فأبوا بالنحاس وبالمطايا ... وأبنا بالملوك مصفدينا

انقلب قارب في البحر، فوقع عابد في الماء، فأخذ يوضئ أعضاءه عضوا عضواً، ويتمضمض ويستنشق، فأخرجه البحر ونجا. فسئل عن ذلك؟ فقال: أردتُ أن أتوضأ قبل الموت لأكون على طهارة.

لله درُّك ما نسيت رسالةً ... قدسيةً ويداك في الكُلاب

افديك ما رمشتْ عيونك رمشةً ... في ساعةٍ والموتُ في الأهداب

الإمام أحمد في سكرات الموت يشير إلى تخليل لحيته بالماء وهم يوضئونه!!

«فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة».

لا تحزن مع الاعتداء الصارخ عليك

فإنك إن عفوتَ وصفحتَ نلتَ عزَّ الدنيا وشرفَ الآخرة: ﴿فمن عفا وأصلح فأجرُهُ على الله﴾.

يقول شكسبير: لا توقد الفرن كثيراً لعدوك. لئلاَّ تحرق به نفسك..

فقل للعيون الرُّمَّد للشمس أعينٌ ... تراها بحقٍّ في مغيبٍ ومطلعِ

وسامحْ عيوناً أطفأ الله نورها ... بأبصارها لا تستفيقُ ولا تعي

وقال أحدهم لسالم بن عبدالله بن عمر العالم التابعي: إنك رجلٌ سوء! فقال: ما عرفني إلاَّ أنت.

قال أديب أمريكي: «يمكن أن تحطِّم العصيُّ والحجارةُ عظامي، لكن لن تستطيع الكلمات النيْل مني».

قال رجل لأبي بكر: والله لأسبنَّك سباً يدخل معك قبرك! فقال أبوبكر: بل يدخلُ معك قبرك أنت!!

وقال رجل لعمرو بن العاص: لأتمرغنَّ لحربك. قال عمرو: الآن وقعتَ في الشغل الشاغل.

يقول الجنرال أيزنهاور: «دعونا لا نضيع دقيقة من التفكير بالأشخاص الذين لا نحبهم».

قالت البعوضة للنخلة: تماسكي، فإني أريد أن أطير وأدعك. قالت النخلة: والله ما شعرتُ بك حين هبطتي علي، فكيف أشعر بك إذا طرتي؟!

قال حاتم:

واغفرْ عوراء الكريم ادخارهْ وأعرضْ عن شتْم اللئيم تكرُّما

قال تعالى: ﴿ وإذا مرُّوا باللغو مرُّوا كراما ﴾. وقال تعالى: ﴿ وإذا خاطبهُمُ الجاهلون قالُوا سلاما ﴾.

قال كونفوشيوس: «إن الرجل الغاضب يمتلئ دائماً سُمّاً».

وفي الحديث: «لا تغضبْ، لا تغضبْ، لا تغضبْ».

وفيه: «الغضب جمرة من النار».

إن الشيطان يصرع العبد عند ثلاث: الغضب، والشهوة، والغفلة.

العالم خُلِقَ هكذا

يقول ماركوس أوريليوس، وهو من أكثر الرجال حكمة ممن حكموا الإمبراطورية الرومانية، ذات يوم: «سأقابل اليوم أشخاصاً يتكلّمون كثيراً، أشخاصاً أنانيّين جاحدين يحبُّون أنفسهم. لكن لن أكون مندهشاً أو منزعجاً من ذلك، لأنني لا أتخيل العالم من دون أمثالهم!»

لا تعجب من الأشرار وكثرتهم
لكن اعجبْ من الأخيار ولو مع قلّتهم

يقول أرسطو: «إن الرجل المثالي يفرح بالأعمال التي يؤديها للآخرين. ويخجل إن أدى الآخرون الأعمال له. لأن تقديم العطف هو من التفوق. لكن تلقّي العطف هو دليل الفشل».

وفي الحديث: «اليد العليا خير من اليد السفلى».

والعليا هي المعطية. والسفلى هي الآخذة.

لا تحزن إذا كان معك كِسْرةُ خبز
وغَرفة ماء وثوب يستر ك

ضلّ أحد البحارة في المحيط الهادي وبقي واحداً وعشرين يوماً. ولما نجا سأله الناس عن أكبر درس تعلّمه. فقال: إن أكبر درس تعلمتُه من تلك التجربة هو: إذا كان لديك الماء الصافي، والطعام الكافي، يجب أن لا تتذمّر أبداً!

قال أحدهم: الحياة كلّها لقمةٌ وشربة. وما بقي فضْل.

وقال ابن الوردي:

مُلْكُ كسرى عنه تُغني كسرةٌ ... وعن البحر اجتزاءً بالوشل

يقول جوناثان سويفت: «إن أفضل الأطباء في العالم هم: الدكتور ريجيم، والدكتور هادئ، والدكتور مَرح. وإن تقليل الطعام مع الهدوء والسرور علاج ناجع لا يُسأل عنه».

قلتُ: لأن السمنة مرض مزمن. والبطنة تُذهب الفطنة، والهدوء متعة للقلب وعميد للروح. والمرح سرور عاجل وغذاء نافع.

لا تحزن من محنة فقد تكون منحة
ولا تحزن من بليّة فقد تكون عطية

قال الدكتور صموئيل جونسون: «إن عادة النظر إلى الجانب الصالح من كلّ حادثة، لَهو أثمن من الحصول على ألف جنيه في السنة».

«أولا يرون أنهم يفتنون في كلّ عام مَرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون».

وعلى الضدّ يقول المتنبي:

ليت الحوادث باعتني التي اخذتْ ... مني بحلمي الذي أعطتْ وتجريبي

وقال معاوية: لا حليمَ إلا ذو تجربة.

قال أبو تمام في الأفشين:

كمْ نعمةٍ للهِ كانتْ عندهُ ... فكأنها في غُربةٍ وإسار

قال أحد السلف لرجل من المترفين: إني أرى عليك نعمة. فقيّدها بالشكر.

قال تعالى: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد﴾.

﴿وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾.

لا تحزن لأنك لم تكن مثل فلان

ولم تُخلق على شكل فلان، فأنت خلق آخر وشيء ثان

يقول الدكتور جايمس غوردون غليلكي: «إن مشكلة الرغبة في أن تكون نفسك، هي قديمة قِدَم التاريخ، وهي عامة كالحياة البشرية. كما أن مشكلة عدم الرغبة هي في أن تكون نفسك هي مصدر الكثير من التوتر والعقد النفسية».

وقال آخر: «أنت في الخليقة شيء آخر لا يشبهك أحد، ولا تشبه أحداً. لأن الخالق - جل في علاه - مايز بين المخلوقين». قال تعالى: ﴿إن سعيكم لشتى﴾.

كتب إنجيلو باتري ثلاثة عشر كتاباً، وألاف المقالات حول موضوع «تدريب الطفل»، وهو يقول: «ليس من أحد تعيس كالذي يصبو إلى أن يكون غير نفسه، وغير جسده وتفكيره».

قال سبحانه وتعالى: ﴿أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها﴾.

لكلٍّ صفات ومواهب وقدرات، فلا يذوب أحد في أحد.

أوردها سعدٌ وسعدٌ مشتملٌ ما هكذا يا سعدُ تُورَدُ الإبلُ

إنك خُلقت بمواهب محدّدة لتؤدي عملاً محدّداً. وكما قالوا: اقرأ نفسك، واعرف ماذا تقدّم.

قال أمرسون في مقالته حول «الاعتماد على النفس»: «سيأتي الوقت الذي يصل فيه علم الإنسان إلى الإيمان بأن الحسد هو الجهل، والتقليد هو الانتحار، وأن يعتبر نفسه كما هي مهما تكن الظروف، لأن ذلك هو نصيبه، وأنه رغم امتلاء الكون بالأشياء الصالحة، لن يحصل على حبّة ذُرة إلا بعد زراعة ورعاية الأرض المعطاة له، فالقوى الكامنة في داخله، هي جديدة في الطبيعة، ولا أحد يعرف مدى قدرته، حتى هو لا يعرف ذلك، حتى يجرّب».

﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾.

وقفـــة

هذه آيات تقوّي من رجائك، وتشدّ عضدك، وتحسّن ظنّك في ربك.

﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم﴾.

﴿ والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ﴾.

﴿ ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ﴾.

﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ﴾.

﴿ أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون ﴾.

﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ﴿ فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ﴾.

﴿ وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد ﴿ فوقاه الله سيئات ما مكروا ﴾.

رُبَّ ضارة نافعة

يقول وليم جايمس: عاهاتنا تساعدنا إلى حدّ غير متوقّع. ولو لم يعش دوستيوفسكي وتولستوي حياة أليمة لما استطاعا أن يكتبا رواياتهما الخالدة. فاليُتم، والعمى، والغربة، والفقر، قد تكون أسباباً للنبوغ والإنجاز، والتقدم والعطاء».

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمتْ ويبتلي الله بعض القوم بالنعم

إن الابناء والثراء قد يكونان سببا في الشقاء: «فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا».

ألف ابن الأثير كُتبه الرائعة، كـ«جامع الأصول» و«النهاية» بسبب أنه مُقعد.

وألف السرخسي كتابه الشهير «المبسوط» خمسة عشر مجلداً، لأنه محبوس في الجُبّ!

وكتب ابن القيم «زاد المعاد» وهو مسافر!

وشرح القرطبي «صحيح مسلم» وهو على ظهر السفينة!

وجُلّ فتاوى ابن تيمية كتبها وهو محبوس!

وجمع المحدثون مئات الآلاف من الأحاديث لأنهم فقراء غرباء.

وأخبرني أحد الصالحين أنه سُجن فحفظ في سجنه القرآن كله، وقرأ أربعين مجلداً!

وأملى أبو العلاء المعري دواوينه وكُتُبه وهو أعمى!

وعمي «طه حسين» فكتب مذكّراته ومصنّفاته!

وكم من لامع عُزل من منصبه، فقدّم للأمة العلم والرأي أضعاف ما قدّم مع المنصب.

كم مرةٍ حفّتْ بك المكارهُ خسار لك الله وأنتَ كسارهُ

يقول فرانسيس بايكون: «قليل من الفلسفة تجعل الإنسان يميل إلى الالحاد. لكنَّ التعمُّق في الفلسفة تقرِّب عقول الإنسان من الدين».

﴿ وما يعقلها إلاَّ العالمون ﴾. ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماءُ ﴾.

﴿ وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث ﴾.

﴿ قُلْ إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثمَّ تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ﴾.

يقول الدكتور ا. ا. بريل: «ان أيَّ مؤمن حقيقي لن يُصاب بمرض نفسي».

﴿ إنَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعلُ لهمُ الرحمنُ وُدّاً ﴾.

﴿ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمنٌ فلنحيينَّهُ حياة طيبة ﴾.

﴿ وإنَّ الله لهادِ الذين آمنوا إلى صراط مستقيم ﴾.

الإيمان أعظمُ دواء

يقول أبرز أطباء النفس الدكتور كارل جانغ في الصفحة (٢٦٤) من كتابه «الإنسان الحديث في بحثه عن الروح»: «خلال السنوات الثلاثين الماضية، جاء أشخاص من جميع أقطار العالم لاستشارتي، وقد عالجتُ مئات المرضى، ومعظمهم في منتصف مرحلة الحياة، أي فوق الخامسة

والثلاثين من العمر. ولم يكن بينهم مَن لا تعود مشكلته إلى إيجاد ملجأ ديني يتطلع من خلاله إلى الحياة. وباستطاعتي أن أقول: إن كلاً منهم مَرض لأنه فقد ما منحه الدين للمؤمنين. ولم يُشفَ مَن لم يستعدّ إيمانه الحقيقي».

﴿ ومن أعرض عن ذكري فإنّ له معيشة ضنكا ﴾.

﴿ سنلقي في قُلوب الذين كفروا الرُّعب بما أشركوا بالله ﴾.

﴿ ظُلماتٌ بعضُها فوق بعض إذا أخرج يدهُ لم يكدْ يراها ومن لم يجعل اللهُ له نوراً فما له من نور ﴾.

لا تحزن.. الله يجيب المضطر المشرك فكيف بالمسلم الموحّد؟!

كاد المهاتما غاندي ـ الزعيم الهندي بعد بوذا ـ أن ينهار لولا أنه استمدّ الإلهام من القوة التي تمنحها الصلاة. وكيف لي أن أعلم ذلك؟ لأن غاندي نفسه قال: لو لم أصلِّ لأصبحتُ مجنوناً منذ زمن طويل.

هذا وغاندي ليس مسلماً. وإنما هو على ضلالة. لكنه على مذهب: ﴿ فإذا ركبوا في الفُلك دعوا اللهَ مُخلصين له الدين ﴾ ﴿ أمَّن يُجيبُ المُضطرَّ إذا دعاهُ ﴾ ﴿ وظنّوا أنهُم أُحيط بهم دعوا اللهَ مُخلصين له الدين ﴾.

سيرتُ أقوال علماء الإسلام ومؤرخيهم وأدبائهم في الجملة. فلم أجد ذلك الكلام عن القلق والاضطراب والأمراض النفسية. والسبب أنهم عاشوا مع دينهم في أمنٍ وهدوء، وكانت حياتهم بعيدة عن التعقيد والتكلُّف: ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نُزِّل على مُحمَّد وهو الحقُّ من ربهم كفَّر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم ﴾.

اسمع قول أبي حازم، إذ يقول: إنما بيني وبين الملوك يوم واحد. أما أمس فلا يجدون لذَّته. وأنا وهم من غد على وجَل، وإنما هو اليوم. فما عسى أن يكون اليوم؟!.

وفي الحديث: «اللهم إني أسألك خير هذا اليوم: بركته ونصره ونوره وهدايته».

ويقول ثابت بن زهير الملقب «تأبط شرًّا»:

إذا المرءُ لم يحتلْ وقد جدَّ جدُّه ... أضاع وقاسى أمره وهو مدبرُ

ولكنَّ أخو الحزم الذي ليس نازلاً ... به الخطبُ إلا وهو للقصد مُبصرُ

فذاك قريعُ الدهر ما عاش حولَه ... إذا سُدَّ منه منخرٌ جاش منخرُ

﴿ يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم ﴾. وقوله تعالى: ﴿ وليتلطف ولا يشعرنَّ بكم أحدا ﴾.

وقال آخر:

فإنْ تكن الأيامُ فينا تبدَّلتْ ... ببؤسى ونعمى والحوادثُ تفعلُ

فما لينت منا قناة صليبة ولا ذللتنا للتي ليس تجمل

ولكن رحلناها نفوساً كريمة تحمل ما لا يستطاع فتحمل

وقينا بحسن الصبر منا نفوسنا وصحت لنا الأعراض والناس هزل

﴿ وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ﴿١٤٧﴾ فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة ﴾.

لا تحزن فالحياة أقصر مما تتصور

ذكر دايل كارنيجي قصة رجل أصابته قرحة في أمعائه. بلغ من خطورتها أن الأطباء حددوا له أوان وفاته. وأوعزوا إليه أن يجهز كفنه. قال: وفجأة اتخذ «هاني» اسم المريض، قراراً مدهشاً. إنه فكر في نفسه: إذا لم يبق لي في هذه الحياة سوى أمد قصير، فلماذا لا أستمتع بهذا الأمد على كل وجه؟ لطالما تمنيتُ أن أطوف حول العالم قبل أن يدركني الموت. ها هو ذا الوقت الذي أحقق فيه أمنيتي. وابتاع تذكرة السفر. فارتاع أطباؤه. وقالوا له: إننا نحذرك. إنك إن أقدمت على هذه الرحلة فستدفن في قاع البحر!! لكنه أجاب: كلا. لن يحدث شيء من هذا. لقد وعدتُ أقاربي ألا يدفنَ جثماني إلا في مقابر الأسرة. وركب «هاني» السفينة. وهو يتمثل بقول الخيام:

تعال نروي قصـــــة للبـــــشرْ ونقطـــع العمـــر بحلـــو السَمرْ

فما أطـــال النـــومُ عمـــراً وما قصَـــر فـــي الأعمـــار طولُ السَهرْ

وهذه أبيات يقولها وثنّي غير مسلم.

وبدأ الرجل رحلة مُشبَعة بالمرح والسرور. وأرسل خطاباً لزوجته يقول فيه: لقد شربتُ وأكلتُ ما لذّ وطاب على ظهر السفينة. وانشدتُ القصائد. وأكلتُ ألوان الطعام كلّها حتى الدُسم المحظور منها. وتمتعتُ في هذه الفترة بما لم أتمتع به في ماضي حياتي. ثم ماذا؟!

ثم يزعم دايل كارنيجي أنّ الرجل صحَّ من علّته. وأن الأسلوب الذي سار عليه أسلوب ناجع في قهر الأمراض ومقالبة الآلام!!

إنني لا أوافق على أبيات الخيّام. لأن فيها انحرافاً عن النهج الرّباني. ولكن المقصود من القصة: أن السرور والفرح والارتياح أعظم بكثير من العقاقير الطبيّة.

لا تحزَن إذا حصلتَ على الكَفاف

قال ابن الرومي:

قرّب الحـرصُ مركبـاً لشـــقيّ إنما الحـــرصُ مركـــبُ الأشـقياء

مرحـــباً بالكفـــاف يأتي هنيئاً وعلى المُتعبـــات ذيـــلُ العطـــاء

﴿ وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون ﴾.

يقول دايل كارنيجي: «لقد أثبت الإحصاء أن القلق هو القاتل (رقم ١) في أمريكا. ففي خلال سني الحرب العالمية الأخيرة، قُتل من أبنائنا نحو ثلث مليون مقاتل. وفي خلال هذه الفترة نفسها قضى داء القلب على مليوني نسمة. ومن هؤلاء الأخيرين مليون نسمة كان مرضهم ناشئاً عن القلق وتوتُّر الأعصاب..

نعم إن مرض القلب من الأسباب الرئيسية التي حدت بالدكتور «ألكسيس كاريل» إلى أن يقول: «إن رجال الأعمال الذين لا يعرفون كيف يكافحون القلق، يموتون مبكّرين».

والسبب معقول، والأجل مفروغ منه: ﴿ وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا ﴾.

وقلّما يمرض الزنوج في أمريكا أو الصينيون بأمراض القلب. فهؤلاء أقوام يأخذون الحياة مأخذاً سهلاً ليّناً. وإنك لترى أن عدد الأطباء الذي يموتون بالسكتة القلبية يزيد عشرين ضعفاً على عدد الفلاحين الذين يموتون بالعلّة نفسها. فإن الأطباء يحيَوْن حياة متوترة عنيفة، يدفعون الثمن غالياً. «طبيب يداوي الناس وهو عليلُ»!!

الرضا بما حصل يُذهب الحزن

وفي الحديث: «ولا نقول إلا ما يُرضي ربَّنا».

إن عليك واجباً مقدّساً، وهو الانقياد والتسليم إذا داهمك المقدور، لتكون النتيجة في صالحك. والعاقبة لك؛ لأنك بهذا تنجو من كارثة الإحباط العاجل والإفلاس الآجل.

قال الشاعر:

ولما رأيتُ الشيبَ لاح بعارضي ... ومفرق رأسي قلتُ للشيب مرحبا

ولو خفتُ أني إنْ كففتُ تحيتي ... تنكّب عني رمتُ أنْ يتنكّبا

ولكنْ إذا ما حلّ كرهٌ فسامحت ... به النفسُ يوماً كان للكره أذهبا

لا مفرّ إلا أن تؤمن بالقدر، فإنه سوف ينفّذ. ولو انسلخت من جلدك، وخرجت من ثيابك!!

نُقل عن إيمرسون في كتابه «القدرة على الإنجاز»، حيث تساءل: «من أين أتتنا الفكرة القاتلة: إن الحياة الرغدة المستقرة الهادئة الخالية من الصعاب والعقبات تخلق سعداء الرجال أو عظماءهم؟ إن الأمر على العكس. فالذين اعتادوا الرثاء لأنفسهم سيواصلون الرثاء لأنفسهم ولو ناموا على الحرير، وتقلّبوا في الدمقس. والتاريخ يشهد بأن العظمة والسعادة أسلمتا قيادهما لرجال من مختلفي البينات. بينات فيها الطيب وفيها الخبيث، وبينات لا يتميز فيها بين طيب وخبيث. في هذه البينات نبت رجال حملوا المسؤوليات على أكتافهم، ولم يطرحوها وراء ظهورهم».

إن الذين رفعوا علَم الهداية الربانيّة في الأيام الأولى للدعوة المحمدية، هم الموالي والفقراء والبؤساء، وإن جُلّ الذين صادموا الزحف الإيماني المقدّس هم أولئك المرموقون والوجهاء والمترفون: ﴿ وإذا تُتلى عليهم آياتنا بيّنات قال الذين كفروا للذين آمنوا أيّ الفريقين خيرٌ مقاما وأحسنُ نديا ﴾. ﴿ وقالوا نحنُ أكثرُ أموالا وأولادا وما نحنُ بمعذبين ﴾. ﴿ أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا أليس اللهُ بأعلم بالشاكرين ﴾. ﴿ وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه ﴾. ﴿ قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون ﴾. ﴿ وقالوا لولا نزّل هذا القرآنُ على رجل من القريتين عظيم ﴾ أهم يقسمون رحمة ربك ﴾.

وإني لأذكر بيتا للمتنبّي، وهو يخبرنا أن قيمته في سجاياه ومآثره ونبله لا في أصله وعنصره. يقول:

إن كنتُ عبداً فإني سيدٌ كرماً ... أو أسود اللون إني أبيضُ الخلق

إنْ فقدتَ جارحةً من جوارحك فقد بقيتْ لك جوارح

يقول ابن عباس:

إنّ يأخذ الله من عيني نورهما ... ففي لساني وسمعي منهما نورُ

قلبي ذكيٌّ وعقلي غيرُ ذي عوجٍ ... وفي فمي صارمٌ كالسيف مأثورُ

ولعل الخير فيما حصل لك من المصاب. ﴿وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خيرٌ لكم﴾.

يقول بشّار بن بُرْد:

وعيّرني الأعداءُ والعيبُ فيهمو ... فليس بعارٍ أن يُقال ضريرُ

إذا أبصر المرءُ المروءة والتُّقى ... فإنّ عمى العينين ليس يضيرُ

رأيتُ العمى أجراً وذُخراً وعصمة ... وإني إلى تلك الثلاث فقيرُ

انظر إلى الفرق بين كلام ابن عباس وبشّار، وبين ما قاله صالح بن عبدالقدوس لمّا عمي:

على الدنيا السلامُ فما لشيخ ... ضرير العين في الدنيا نصيبُ

يموتُ المرءُ وهو يعدُّ حياً ... ويُخلفُ ظنّهُ الأملُ الكذوبُ

يُمنّيني الطبيبُ شفاء عيني ... فإنّ البعض من بعض قريبُ

إن القضاء سوف ينفذ لا محالة، على القابل له والرافض له، لكن ذاك يُؤجَر ويسعد، وهذا يأثم ويشقى.

كتب عمر بن عبدالعزيز إلى ميمون بن مهران: كتبتَ تعزّيني على عبدالملك، وهذا أمر لم أزل أنتظره، فلمّا وقع لم أنكره.

الأيام دُوَل

يُروى أنّ أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ زار بِشْر بن مخلد في مرض له، فقال له: «يا أبا عبدالرحمن، أبشرْ بثواب الله، أيام الصحة لا سقم فيها، وأيام السقم لا صحّة فيها...».

والمعنى: أن أيام الصحة لا يعرض المرض فيها بالبال، فتقوى عزائم الإنسان، وتكثر أمانه، ويشتدُّ طموحه، وأيام المرض الشديد لا تعرض الصحة بالبال، فيخيِّم على النفس ضعف الأمل، وانقباض الهمّة وسلطان اليأس، وقول الإمام أحمد مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليئوس كفور * ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور * إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير﴾.

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «يخبر الله تعالى عن الإنسان وما فيه من الصفات الذميمة، إلا من رحم الله من عباده المؤمنين، أنه إذا أصابته شدّة بعد نعمة، حصل له يأس وقنوط من الخير بالنسبة إلى المستقبل، وكفرٌ وجحودٌ لماضي الحال، كأنه لم ير خيراً ولم يرجُ فرجاً.

وهكذا إن أصابته نعمة بعد نقمة: ﴿ليقولن ذهب السيئات عني﴾.

أي يقول: ما ينالني بعد هذا ضيم ولا سوء، ﴿إنه لفرح فخور﴾.

أي فرح بما في يده، بطر فخور على غيره. قال الله تعالى: ﴿إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير﴾.

لك أن تخرج في أرض الله الفسيحة

قال أحدهم: السفرُ يذهب الهموم.

قال الحافظ الرامهرمزي في كتابه «المحدث الفاضل»، في بيان فوائد الرحلة في طلب العلم والمتع الحاصلة بها، ردًّا على من كره الرحلة وعابها مايلي:

«ولو عرف الطاعن على أهل الرحلة مقدار لذّة الراحل في رحلته ونشاطه عند فصوله من وطنه، واستلذاذ جميع جوارحه عند تصرُّف لحظاته في المناهل والمنازل، والبواطن والظواهر، والنظر إلى دساكر الأقطار وغياظها، وحدائقها، ورياضها، وتصنُّع الوجود، ومشاهدة ما لم ير من عجائب البلدان، واختلاف الألسنة والألوان، والاستراحة في آفياء الحيطان، وظلال الغيطان، والأكل في المساجد، والشرب من الأودية، والنوم حيث يدركه الليل، واستصحاب مَن يحبُّه في ذات الله بسقوط الحشمة، وترك التصنُّع، وكل ما يصل إلى قلبه من السرور عن ظفره ببغيته، ووصوله إلى مقصده وهجومه على المجلس الذي شمَّر له، وقطع الشُّقَّة إليه، لعلِمه أنَّ لذّات الدنيا مجموعة في محاسن تلك المشاهد، وحلاوة تلك المناظر، واقتناص تلك الفوائد، التي هي عند أهلها أبهى من زهر الربيع، وأنفس من ذخائر العقيان، من حيث حُرِمها الطاعن وأشباهه..

قوِّضْ خيامَك عنْ رَبْعٍ أهنت به ... وجانبِ الذُّلَّ إنَّ الذُّلَّ يجتنبُ

وقفـــــة

«إن الله إذا أحبّ قوماً ابتلاهم، فمَن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط».

«أشدُّ الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلى الرجل على قدر دينه، فإن كان في دينه صلابة اشتدّ بلاؤه، وإن كان في دينه رقّة ابتُلي على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد، حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة».

«عجباً لأمر المؤمن إنّ أمره كلّه خير!! وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابتْه سرّاء شكر فكان خيراً له، وإن اصابته ضرّاء صبر فكان خيراً له».

«واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضرُّوك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك».

«يُبتلى الصالحون الأمثلَ فالأمثلَ».

«المؤمن كالخامة من الزرع تُفيئُها الريح يمنةً ويسرةً».

لا تحزنْ في اللحظات الأخيرة من حياتك

فهذا أبو الريحان البيروني (ت ٤٤٠). مع الفسحة في التعمير فقد عاش ٧٨ سنة مُكبًّا على تحصيل العلوم، مُنْصَبًّا إلى تصنيف الكتب، يفتح أبوابها ويحيط بشواكلها وأقرابها . يعني: بغوامضها وجليّاتها . ولا يكاد يفارق يدَه القلمُ، وعينَه النظرُ، وقلبَه الفكرُ. إلا فيما تمسُّ إليه الحاجة في المعاش، من بُلْغة الطعام وعلقة الرياش، ثم هِجْيراه . أي ديدنه . في سائر الأيام من السنة: علمٌ يُسفر عن وجهه قناع الإشكال، ويحسر عن ذراعيه أكمام الإغلاق.

حدَّث الفقيه أبو الحسن علي بن عيسى، قال: دخلتُ على أبي الريحان وهو يجود بنفسه . أي وهو في نزْع الروح قارب الموت . قد حشرجت نفسه، وضاق بها صدره. فقال لي في تلك الحال: كيفَ قلتَ لي يوماً حساب الجدّات الفاسدة؟ أي الميراث، وهي التي تكون من قِبَل الأم. فتلت له إشفاقاً عليه: أفي هذه الحالة؟! قال لي: يا هذا، أودِّع الدنيا وأنا عالم بهذه المسألة، ألا يكون خيراً من أن أخلِّيها وأنا جاهل بها؟! فأعدتُ ذلك عليه، وحفِظ وعلَّمني ما وعد، وخرجتُ من عنده فسمعتُ الصراخ!! إنها الهمم التي تجتاح ركام المخاوف.

والفاروقُ عمر في سكرات الموت، يشعب جرحُه دماً. ويسأل الصحابة: هل أكمل صلاته أم لا؟!

وسعد بن الربيع في «أحد» مضرَّج بدمائه. وهو يسأل في آخر رمَق عن الرسول ﷺ. إنها ثباتة الجأش وعمار القلب!

لا تحزن إذا داهمك الموت

واسمعْ لهذه القصةَ

قال إبراهيم بن الجراح: مرض أبو يوسف فأتيتُه أعوده، فوجدتُه مُغْمىً عليه، فلمَّا أفاق قال لي: ما تقول في مسألة؟ قلت: في مثل هذه الحال؟! قال: لا بأس ندرس بذلك لعلَّه ينجو به ناج.

ثم قال: يا إبراهيم، أيُّما أفضل في رمي الجمار: أن يرميها الرجل ماشياً أو راكباً؟ قلتُ: راكباً. قال: أخطأتَ. قلتُ: ماشياً. قال أخطأتَ. قلتُ: أيُّهما أفضل؟ قال: ما كان يُوقف عنده فالأفضل أن يرميه ماشياً، وأما ما كان لا يُوقف عنده، فالأفضل أن يرميه راكباً. ثم قمتُ من عنده فما بلغتُ باب داره حتى سمعتُ الصراخ عليه، وإذا هو قد مات، رحمة الله عليه.

قال أحد الكُتاب المعاصرين: هكذا كانوا!! الموت جاثم على رأس أحدهم بكُرْبه وغُصَصِه، والحشرجة تشتدُّ في نفسه وصدره، والإغماء والغشيان محيطٌ به، فإذا صحا أو أفاق من غشيته لحظات، تساءل عن بعض مسائل العلم الفرعية أو المندوبة، ليتعلَّمها أو ليعلِّمها، وهو في تلك الحال التي أخذ فيها الموت منه الأنفاس والتلابيب.

في موقفٍ نسيَ الحليمُ سدادَهُ ... ويطيشُ فيه النابهُ البيْطارُ

يا لله ما أغلى العلم على قلوبهم!! وما أشغل خواطرهم وعقولهم به!! حتى في ساعة النزع والموت، لم يتذكروا فيها زوجة أو ولداً قريباً عزيزاً، وإنما تذكروا العلم!! فرحمة الله تعالى عليهم، فبهذا صاروا أئمة في العلم والدين.

لا تحـــزن مـــــن الكـــــوارث

فأنت لا تعرف سرَّ المسألة وعواقب الأمور

أورد المؤرخ الأديب أحمد بن يوسف الكاتب المصري في كتابه المعجب الفريد «المكافأة وحسن العُقبى» فقال: وقد علم الإنسان أن سُفور الحالة ـ أي انكشاف الغمّة والشدة ـ عن ضدّه، حتم لابد منه. كما علم أنَّ انجلاء الليل يسفر عن النهار. ولكن خورَ الطبيعة أشدّ ما يلازم النفس عند نزول الكوارث. فإذا لم تُعالج بالدواء، اشتدّت العلة، وازدادت المحنة. لأن النفس إذا لم تُعَنْ عند الشدائد بما يجدّد قواها، تولّى عليها اليأس فأهلكها.

والتفكُّر في أخبار هذا الباب ـ باب أخبار من ابتلي فصبر، فكان ثمرة صبره حسن العقبى ـ مما يُشجّع النفْس، ويبعثها على ملازمة الصبر وحسن الأدب مع الربِّ عزَّ وجل، بحسن الظن في موافاة الإحسان عند نهاية الامتحان.

وقال أيضاً ـ في آخر الكتاب ـ: «خاتمة: قال بزرجمهر: الشدائد قبل المواهب، تشبه الجوع قبل الطعام. يحسن به موقعه، ويلذ معه تناوله».

وقال أفلاطون: «الشدائد تُصلح من النفس بمقدار ما تفسد من العيش، والتَّرَفُّه ـ أي الترف والترفُّه ـ يفسد من النفس بمقدار ما يصلح من العيش».

وقال أيضاً: «حافظ على كلّ صديق أهدته إليك الشدائد، والله عن كل صديق أهدته إليك النعمة».

وقال أيضاً: «الترفُّه كالليل، لا تتأملْ فيه ما تصدره أو تتناوله، والشدة كالنهار، ترى فيها سعيك وسعي غيرك».

وقال أزدشير: «الشدّة كُحّل ترى به ما لا تراه بالنعمة».

ويقول أيضاً: «وملاكُ مصلحة الأمر في الشدّة شيئان: أصغرهما قوة قلب صاحبها على ما ينوبه، وأعظمها حُسْن تفويضه إلى مالكه ورازقه».

وإذا صمد الرجل بفكره نحو خالقه، علم أنه لم يمتحنه إلا بما يوجب له مثوبة، أو يمحّص عنه كبيرة، وهو مع هذا من الله في أرباح متصلة، وفوائد متتابعة.

فأما إذا اشتدّ فكره تلقاء الخليقة، كثرت رذائله، وزاد تصنُّعه، وبرم بمقامه فيما قصر عن تأمُّله، واستطال من المحن ما عسى أن ينقضي في يومه، وخاف من المكروه ما لعلّه أن يخطئه.

وإنما تصدق المناجاة بين الرجل وبين ربه، لعلمه بما في السرائر وتأييده البصائر، وهي بين الرجل وبين أشباهه كثيرة الأذية، خارجة عن المصلحة.

ولله تعالى رَوْح يأتي عند اليأس منه، يُصيب به من يشاء من خلقه، وإليه الرغبة في تقريب الفرَج، وتسهيل الأمر، والرجوع إلى أفضل ما تطاول إليه السُّؤل، وهو حسبي ونعم الوكيل.

طالَعتُ كتاب «الفرج بعد الشدة» للتنوخي، وكرَّرتُ قراءته فخرجتُ منه بثلاث فوائد:

الأولى: أنَّ الفرج بعد الكرب سنَّة ماضية وقضية مُسلَّمة، كالصبح بعد الليل، لا شك فيه ولا ريب.

الثانية: أن المكاره مع الغالب أجمل عائدة، وأرفع فائدة للعبد في دينه ودنياه من المحابِّ.

الثالثة: أن جالب النفع ودافع الضر حقيقة إنما هو الله جل في علاه، واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك.

لا تحزن، فإنَّ الدنيا أحقر من أن تحزن من أجلها

يقول ابن المبارك العالم الشهير: قصيدة عدي بن زيد أحبُّ إليَّ من قصر الأمير طاهر بن الحسين لو كان لي.

وهي القصيدة الذائعة الرائعة، ومنها:

أيُّها الشامتُ المُعيِّرُ بالدهـ ـــر أأنت المبرَّأُ الموفورُ

أمْ لديك العهدُ الوثيقُ من الأيـ ـــام بلْ أنت جاهلٌ مغرورُ

أي: يا من شمت بمصائب الآخرين، هل عندك عهد أن لا تصيبك أنت مصيبة مثلهم؟! أم هل منحتك الأيام ميثاقاً لسلامتك من الكوارث والمحن؟! فلماذا الشماتة إذن؟

وفي الحديث الصحيح: «لو أن الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة، ما سقى كافراً منها شربة ماء». إن الدنيا عند الله تعالى أهون من جناح البعوضة. وهذه حقيقة قيمتها ووزنها. فلِمَ الجزع والهلع عليها ومن أجلها؟!

السعادة: أن تشعر بالأمن على نفسك ومستقبلك وأهلك ومعيشتك. وهي مجموعةٌ في الإيمان والرضا عن الله وقضائه وقدره، والقناعة: الصبر.

لا تحزن فأنت مؤمن بالله

﴿بل اللهُ يمنُّ عليكم أن هداكم للإيمان﴾.

من النعيم الذي لا يدركه إلاّ الفطناء: نظر المسلم إلى الكافر، وتذكُّر نعمة الله في الهداية إلى دين الإسلام، وأن الله عز وجل لم يقدِّر لك أن تكون كهذا الكافر في كفره بربه وتمرُّده عليه، وإلحاده في آياته، وجحود صفاته، ومحاربته لمولاه وخالقه ورازقه، وتكذيبه لرسله وكتبه، وعصيانه أوامره، ثم تذكَّرْ أنت أنك مسلم موحِّد، تؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر، وتؤدِّي الفرائض ولو على تقصير، فإن هذا في حدِّ ذاته نعمة لا تُقدَّر بثمن ولا تُباع بمال، ولا تدور في الحسبان، وليس لها شبيه في الأعيان: ﴿أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون﴾.

حتى ذكر بعض المفسرين أن من نعيم أهل الجنة نظرهم إلى أهل النار، فيشكرون ربهم على هذا النعيم: «وبضدِّها تتميز الأشياء».

وقفـــة

لا إله إلا الله: أي لا معبود بحقٍّ إلا الله سبحانه وتعالى، لتفرُّده بصفات الألوهية، وهي صفات الكمال.

روح هذه الكلمة وسرُّها: إفراد الربِّ ـ جلَّ ثناؤه وتقدَّست أسماؤه، وتبارك اسمُه، وتعالى جدُّه، ولا إله غيره ـ بالمحبة والإجلال والتعظيم، والخوف والرجاء، وتوابع ذلك من التوكّل والإنابة والرغبة والرهبة. فلا يُحَبُّ سواه، وكلُّ ما يُحبُّ غيره فإنما يُحبُّ تبعاً لمحبته، وكونه وسيلة إلى زيادة محبته. ولا يُخاف سواه ولا يُرجى سواه، ولا يُتوكّل إلا عليه، ولا يُرغَب إلا إليه، ولا يُرهَبُ إلا منه، ولا يُحلَفُ إلا باسمه، ولا يُنذَر إلا له، ولا يُتاب إلا إليه، ولا يُطاع إلا أمره، ولا يتحسَّب إلا به، ولا يُستغاث في الشدائد إلا به، ولا يُلتجأ إلا إليه، ولا يسجد إلا له، ولا يُذبح إلا له وباسمه، ويجتمع ذلك في حرف واحد، وهو: أن لا يُعبد إلا إياه بجميع أنواع العبادة.

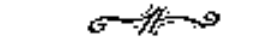

لا تحزن إذا أُصِبتَ بعاهةٍ

فإنها لن تعوقك عن التفوق

في ملحق عُكاظ العدد ١٠٢٦٢ في ١٤١٥/٤/٧هـ، مقابلة مع كفيف يُدعَى: محمود بن محمد المدني، درس كتب الأدب بعيون الآخرين، وسمع كتب التاريخ والمجلات والدوريات والصحف، وربما قرأ بالسماع على أحد أصدقائه حتى الثالثة صباحاً حتى صار مرجعاً في الأدب والطُّرَف والأخبار.

كتب مصطفى أمين في زاوية «فكرة» في الشرق الأوسط كلاماً. منه: اصبر خمس دقائق فحسب على كيد الكائدين، وظلم الظالمين، وسطوة الجبابرة. فإن السوط سوف يسقط، والقيد سوف ينكسر، والمحبوس سوف يخرج، والظلام سوف ينقشع، لكن عليك أن تصبر وتنتظر.

وَلَرُبَّ نازلةٍ يضيقُ بها الفتى ذرعاً وعند الله منها المخرجْ

قابلتُ في الرياض مفتي ألبانيا. وقد سُجن عشرين سنة من قبل الشيوعيين في ألبانيا مع الأعمال الشاقّة، والحبس والكيد، والنكال والظلم، والظلام والجوع، وكان يصلّي الصلوات الخمس في ناحية من دورة المياة خوفاً منهم، ومع هذا صبر واحتسب حتى جاءه الفرج. ﴿فانقلبوا بنعمة من الله وفضل﴾.

هذا «نلسون مانديلا» رئيس جنوب أفريقيا، سُجن سبعاً وعشرين سنة، وهو ينادي بحرية أمّته، وخلوص شعبه من القهر والكبت والاستبداد والظلم، وهو مصرٌّ صامد مواصل مستميت، حتى نال مجده الدنيوي. ﴿نوفّ إليهم أعمالهم فيها﴾. ﴿إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون﴾.

وأشجعُ منّي كلّ يوم سلامتي وما ثبتتْ إلا وفي نفسها أمرُ

﴿إن يمسسكم قرحٌ فقد مسّ القوم قرحٌ مثلُه﴾.

لا تحزن إذا عرفتَ الإسلام

ما أشقى النفوس التي لا تعرف الإسلام، ولم تهتد إليه. إن الإسلام يحتاج إلى دعاية من أصحابه وحَمَلته، وإعلانٍ عالميٍّ هائل، لأنه نبأ عظيم، والدعاية له يجب أن تكون راقية مهذبة جذابة، لأن سعادة البشرية لا تكون إلا في هذا الدين الحق الخالد، ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يُقبل منهُ ﴾.

سكن داعية مسلم شهير مدينة ميونخ الألمانية، وعند مدخل المدينة تُوجد لوحة إعلانية كبرى مكتوب عليها بالألمانية: «أنت لا تعرف كفرات يوكوهاما.. فتصب هذا الداعية لوحة كبرى بجانب هذه اللوحة كتب عليها: «أنت لا تعرف الإسلام، إن أردت معرفتَه، فاتصل بنا على هاتف كذا وكذا.. وانهالت عليه الاتصالات من الألمان من كل حَدَبٍ وصوْب، حتى أسلم على يده في سنة واحدة قرابة مائة ألف ألماني ما بين رجل وامرأة، وأقام مسجداً ومركزاً إسلامياً، وداراً للتعليم.

إن البشرية حائرة، بحاجة ماسَّة إلى هذا الدين العظيم، ليرد إليها أمنها وسكينتها وطمأنينتها، ﴿ يهدي به اللهُ من اتبع رضوانهُ سُبُلَ السلام ويُخرجُهم من الظُّلُمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مُستقيم ﴾.

يقول أحد العُبّاد الكبار: ما ظننت أن في العالم أحداً يعبدُ غيرَ الله.

لكن ﴿ وقليلٌ من عبادي الشكُور ﴾، ﴿ وإن تُطع أكثر من في الأرض يُضلُّوك عن سبيل الله إن يتبعُون إلا الظنَّ وإن هم إلاَّ يخرُصُون ﴾، ﴿ وما أكثرُ الناس ولو حرصت بمؤمنين ﴾.

وقد أخبرني أحد العلماء أن سودانيًا مسلماً قدم من البادية إلى العاصمة الخرطوم في أثناء الاستعمار الإنكليزي. فرأى رجل مرور بريطانيًا في وسط المدينة. فسأل هذا المسلم: من هذا؟ قالوا: كافر. قال: كافر بماذا؟ قالوا: بالله. قال: وهل أحد يكفر بالله؟! فأمسك على بطنه ثم تقيأ مما سمع ورأى. ثم عاد إلى البادية. ﴿فما لهم لا يؤمنون﴾.!

يقول الأصمعي: سمع أعرابي قارئاً يقرأ: ﴿فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون﴾. قال الأعرابي: سبحان الله. ومن أحوج العظيم حتى يقسم؟!

إنه حسن الظن والتطلع إلى كرم المولى وإحسانه ولطفه ورحمته.

وقد صح في الحديث أن الرسول ﷺ قال: «يضحك ربنا». فقال أعرابي: لا نعدم من ربٍ يضحك خيراً.

﴿وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا﴾. ﴿إن رحمت الله قريبٌ من المحسنين﴾، ﴿ألا إن نصر الله قريبٌ﴾.

من يقرأ كتب سير الناس وتراجم الرجال يستفد منها مسائل مطّردة ثابتة. منها:

١. أن قيمة الإنسان ما يُحسن. وهي كلمة لعلي بن أبي طالب. ومعناها: أن علم الإنسان أو أدبه أو عبادته أو كرمه أو خلقه هي في الحقيقة قيمته. وليست صورته أو هندامه ومنصبه: ﴿عبس وتولى * أن جاءه الأعمى﴾. ﴿ولعبدٌ مؤمنٌ خيرٌ من مشركٍ ولو أعجبكم﴾.

٢. بقدر همّة الإنسان واهتمامه وبذله وتضحيته تكون مكانته، ولا يعطى له المجد جزافاً.

لا تحسب المجد تمراً انت اكله...

﴿ولو أرادوا الخُروج لأعدّوا له عُدّة﴾. ﴿وجاهدوا في الله حقّ جهاده﴾.

٣. أن الإنسان هو الذي يصنع تاريخه بنفسه بإذن الله، وهو الذي يكتب سيرته بأفعاله الجميلة أو القبيحة: ﴿ونكتُبُ ما قدّموا وآثارهم﴾.

٤. وأن عمر العبد قصير ينصرم سريعاً، ويذهب عاجلاً. فلا يقصره بالذنوب والهموم والغموم والأحزان: ﴿لم يلبثوا إلا عشيّة أو ضحاها﴾. ﴿قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادّين﴾.

كفى حزناً أنّ الحياة مريرةٌ ولا عملٌ يرضى به الله صالحُ

• من أسباب السعادة:

١) العمل الصالح: ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمنٌ فلنحيينّه حياة طيّبة﴾.

٢) الزوجة الصالحة: ﴿ربّنا هب لنا من أزواجنا وذرّياتنا قرّة أعين﴾.

٣) البيت الواسع: وفي الحديث: «اللهم وسّعْ لي في داري».

٤) الكسب الطيب: وفي الحديث: «إن الله طيّب لا يقبل إلا طيباً».

٥) حسن الخلق والتودد للناس: ﴿ وجعلني مباركا أين ما كنت ﴾.

٦) السلامة من الدين، ومن الإسراف في النفقة: ﴿ لم يسرفوا ولم يقتروا ﴾.

﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط ﴾.

● مقومات السعادة:

قلبٌ شاكر، ولسان ذاكر، وجسم صابر.

شكرٌ وذكرٌ وصبرٌ فيها نعيمٌ وأجرْ

لو جمعتُ لك علم العلماء، وحكمةَ الحكماء، وقصائد الشعراء عن السعادة، لما وجدتها حتى تعزم عزيمة صادقة على تذوُّقها وجلبها، والبحث عنها وطرْد ما يضادها: «من أتاني يمشي أتيته هرولة».

ومن سعادة العبد: كتم أسراره وتدبير أموره.

ذكروا أن أعرابيًا استُؤمن على سرٍّ مقابل عشرة دنانير، فضاق ذرعاً بالسرِّ، وذهب إلى صاحب الدنانير، وردَّها عليه مقابل أن يُفشي السر، لأن الكتمان يحتاج إلى ثبات وصبر وعزيمة: ﴿ لا تقصص رؤياك على إخوتك ﴾، لأن نقاط الضعف عند الإنسان كشف أوراقه للناس، وإفشاء أسراره لهم، وهو مَرضٌ قديم، وداءٌ متأصِّل في البشرية، والنفس مُولعة بإفشاء الأسرار، ونقْل الأخبار، وعلاقة هذا بموضوع السعادة أن من أفشى أسراره فالغالب عليه أن يندم ويحزن ويغتم.

وللجاحظ في الكتمان كلام خلاب في رسائله الأدبية. فليعُدْ إليها من أراد. وفي القرآن: ﴿ وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا ﴾. وهذا أصل في كتمان السر. والأعرابي يقول: وكتمُ السر فيه ضربة العنق.

لا تحزن فلنْ تموتَ قبل حينك

﴿ فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾.

هذه الآية عزاء للجبناء الذين يموتون مرات كثيرة قبل الموت. فليعلموا أن هناك أجلاً مسمى، لا تقديم ولا تأخير. لا يعجّل هذا الموتَ أحدٌ. ولا يؤجّله بشر. ولو اجتمع أهل الخافقين. وهذا في حدّ ذاته يجلب للعبد الطمأنينة والسكينة والثبات: ﴿ وجاءت سكرةُ الموت بالحق ﴾.

واعلمْ أن التعلّق بغير الله شقاء: ﴿ فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين ﴾.

«سير أعلام النبلاء» للذهبي ثلاثة وعشرون مجلداً. ترجم فيها للمشاهير من العلماء والخلفاء والملوك والأمراء والوزراء والأثرياء والشعراء. وباستقراء هذا الكتاب تجد حقيقتين مهمتين:

الأولى: أن من تعلّق بغير الله من مال أو ولد أو منصب أو حرفة. وكّله الله إلى هذا الشيء. وكان سبب شقائه وعذابه ومحقه وسحقه: ﴿ وإنهم

ليضلوهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون ﴾ .فرعون والمنصب، قارون والمال، وأمية بن خلف والتجارة، والوليد والولد: ﴿ ذرني ومن خلقت وحيدا ﴾.

أبو جهل والجاه، أبو لهب والنسب، أبو مسلم والسلطة، المتنبي والشهرة، والحجاج والعلو في الأرض، ابن الفرات والوزارة.

الثانية: أن من اعتز بالله وعمل له وتقرب منه، أعزه ورفعه وشرفه بلا نسب ولا منصب ولا أهل ولا مال ولا عشيرة: بلال والأذان، سلمان والآخرة، صهيب والتضحية، عطاء والعلم، ﴿ وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا ﴾.

ألظُّوا بـ «يا ذا الجلال والإكرام»

صح عنه ﷺ أنه قال: «ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام». أي الزموها، وأكثروا منها، ودوموا عليها، ومثلها وأعظم: يا حيُّ يا قيوم، وقيل: إنه الاسم الأعظم لرب العالمين الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى. فما للعبد إلا أن يهتف بها وينادي ويستغيث ويدمن عليها. ليرى الفرج والظفر والفلاح: ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم ﴾.

في حياة المسلم ثلاثة أيام كأنها أعياد:

يـــومٌ يؤدّي فيه الفرائض جماعة، ويسْلم من المعاصي: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾.

ويـــومٌ يتوب فيه من ذنبه، وينخلع من معصيته، ويعود إلى ربه: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾.

ويـــومٌ يلقى فيه ربه على خاتمة حسنة وعمل مبرور: «من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه».

وبشَـــرتُ آمالي بشخصٍ هو الورى ودارٍ هـــي الدنيـــا ويومٍ هو الدهرُ

قرأتُ سِيرَ الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ، فوجدتُ في حياتهم خمس مسائل تميزهم عن غيرهم:

الأولى: اليسـر في حيـاتهم، والسـهولة وعـدم التكلُّف، وأخْـذ الأمـور ببساطة، وترك التنطع والتعمُّق والتشديد: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾.

الثانية: أن علْمهم غزير مبارك متصل بالعمل، لا فضول فيه ولا حواشي، ولا كثرة كلام، ولا رغوة أو تعقيد: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾.

الثالثة: أن أعمال القلوب لديهم أعظم من أعمال الأبدان، فعندهم الإخلاص والإنابة والتوكل والمحبة والرغبة والرهبة والخشية ونحوها. بينما

أمورهم ميسرة في نوافل الصلاة والصيام، حتى إن بعض الشابين أكثرُ اجتهاداً منهم في النوافل الظاهرة: ﴿فعلم ما في قُلُوبهم﴾.

الرابعة: تقلُّلهم من الدنيا ومتاعها، وتخفُّفهم منها. والإعراض عن بهارجها وزخارفها، مما أكسبهم راحة وسعادة وطمأنينة وسكينة: ﴿ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهُو مُؤمنٌ﴾.

الخامسة: تغليب الجهاد على غيره من الأعمال الصالحة، حتى صار سمة لهم، ومعْلماً وشارة وشعاراً. وبالجهاد قضوا على همومهم وغمومهم وأحزانهم، لأن فيه ذكراً وعملاً وبذلاً وحركة.

فالمجاهد في سبيل الله من أسعد الناس حالاً، وأشرحهم صدراً، وأطيبهم نفساً: ﴿والذين جاهدُوا فينا لنهدينهُمْ سُبُلنا وإن الله لمع المُحسنين﴾.

في القرآن حقائق وسنن لا تزول ولا تحول، أذكر ما يتعلق منها بسعادة العبد وراحة باله، من هذه السُّنَن الثابتة:

أن من استنصر بالله نصره: ﴿إن تنصُرُوا الله ينصُركُم ويثبت أقدامكُمْ﴾. ومن سأله أجابه: ﴿ادعُوني أستجب لكُم﴾. ومن استغفره غفر له: ﴿فاغفرْ لي فغفر لهُ﴾. ومن تاب إليه قبل منه: ﴿وهُو الذي يقبلُ التوبة عنْ عباده﴾. ومن توكَّل عليه كفاه: ﴿ومن يتوكلْ على الله فهُو حسْبُهُ﴾.

وأن ثلاثة يعجّلها الله لأهلها بنكالها وجزائها: البغي: ﴿إنما بغيكم على أنفسكم﴾. والنكث: ﴿فمن نكث فإنما ينكث على نفسه﴾. والمكر: ﴿ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله﴾. وأن الظالم لن يفلت من قبضة الله: ﴿فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا﴾. وأن ثمرة العمل الصالح عاجلة وآجلة. لأن الله غفور شكور: ﴿فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة﴾. وأنّ من أطاعه أحبّه: ﴿فاتبعوني يحببكم الله﴾. فإذا عرف العبد ذلك سعد وسرّ. لأنه يتعامل مع ربٍّ يرزق وينصر: ﴿إن الله هو الرزاق﴾. ﴿وما النصر إلا من عند الله﴾. ويغفر: ﴿وإني لغفار لمن تاب﴾. ويتوب: ﴿إنه هو التواب الرحيم﴾. وينتقم لأوليائه من أعدائه: ﴿إنا منتقمون﴾. فسبحانه ما أكمله وأجلّه: ﴿هل تعلم له سميا﴾؟!

للشيخ عبدالرحمن بن سعدي ـ رحمه الله ـ رسالة قيِّمة اسمها «الوسائل المفيدة في الحياة السعيدة». ذكر فيها: «إن من أسباب السعادة أن ينظر العبد إلى نعم الله عليه. فسوف يرى أنه يفوق بها أمماً من الناس لا تُحصى. حينها يستشعر العبد فضل الله عليه».

أقول: حتى في الأمور الدينية مع تقصير العبد، يجد أنه أعلى من فئام من الناس في المحافظة على الصلاة جماعة. وقراءة القرآن والذكر ونحو ذلك. وهذه نعمة جليلة لا تُقدَّر بثمن: ﴿وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾.

وقد ذكر الذهبي عن المحدّث الكبير ابن عبد الباقي أنه: استعرض الناس بعد خروجهم من جامع «دار السلام» ببغداد. فما وجد أحداً منهم يتمنّى أنه مكانه وفي مصلاه.

ولهذه الكلمة جانب إيجابي و سلبي: ﴿ وفضّلناهُم على كثيرٍ ممّن خلقنا تفضيلاً ﴾.

كلُّ هـذا الخلْـق غـرٌ وأنـا منهم فاتـركْ تفاصـيل الجُمَلْ

وقفـة

عن أسماءَ بنت عُمَيْس ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال لي رسول الله ﷺ:

«ألا أعلّمك كلماتٍ تقولينهنّ عند الكرب، أو في الكرب: الله الله ربّي لا أشركُ به شيئاً».

وفي لفظ: «من أصابه همٌّ أو غمٌّ أو سقمٌ أو شدّةٌ، فقال: الله ربي، لا شريك له، كشف ذلك عنه».

«هناك أمور مظلمة تورد على القلب سحائبَ متراكماتٍ مظلمة، فإذا فرَّ إلى ربه، وسلّم أمره إليه، وألقى نفسه بين يديه من غير شركةِ أحد من الخلق، كشف عنه ذلك، فأما من قال ذلك بقلبٍ غافل لاهٍ، فهيهات».

قال الشاعر:

وما نيالـي إذا أرواحُـنا سَـلمتْ بما فقدنـاه من مـالٍ ومن نشبِ

فالمالُ مكتسـبٌ والعزُّ مُرْتجَـعٌ إذا النفـوسُ وقاها الله من عطبِ

مَن خاف حاسداً

١. المعوِّذات مع الأذكار والدعاء عموماً: ﴿ ومن شرِّ حاسدٍ إذا حسد ﴾.

٢. كتمان أمرك عن الحاسد: ﴿ لا تدخُلوا من بابٍ واحدٍ وادخُلوا من أبوابٍ متفرِّقة ﴾.

٣. الابتعاد عنه: ﴿ وإن لم تُؤمنوا لي فاعتزلون ﴾.

٤. الإحسان إليه لكفِّ أذاه: ﴿ ادفع بالتي هي أحسنُ ﴾.

حسِّنْ خُلُقَكَ مع الناس

حُسْن الخلق يُمْنٌ وسعادة، وسُوء الخلق شؤمٌ وشقاء.

«إن المرء ليبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم.. ألا أنبئكم بأحبكم وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة؟! أحاسنكم أخلاقاً». ﴿ وإنك لعلى خُلُقٍ عظيم ﴾. ﴿ فبما رحمةٍ من الله لنت لهم ولو كنت فظًّا غليظ القلب لانفضُّوا من حولك ﴾. ﴿ وقُولوا للناس حُسنا ﴾.

وتقول أم المؤمنين عائشة بنت الصديق ـ رضي الله عنهما ـ في وصفها المعصوم عليه صلاة ربي وسلامه: «كان خُلُقه القرآن».

إن سعة الخلق وبسطة الخاطر: نعيم عاجل وسرور حاضر لمن أراد به الله خيراً، وإن سرعة الانفعال والحِدَّة وثورة الغضب: نكدٌ مستمرٌ وعذاب مقيم.

لا تحزن، وسوف أخبرك

ماذا يفعل من أُصيب بالأرق؟

الأرق تعسُّر النوم، والتململ على الفراش

١ـ الأذكار الشرعية: ﴿ألا بذكر الله تطمئنُّ القلوبُ﴾.

٢. هجْر النوم بالنهار إلا لحاجة ماسَّة: ﴿وجعلْنا النهارَ معاشا﴾

٣. القراءة والكتابة حتى النوم: ﴿وقُل ربِّ زدْني علما﴾

٤. إتعاب الجسم بالعمل النافع نهاراً: ﴿وجعل النَّهار نُشُورا﴾

٥. التقليل من شرب المنبِّهات كالقهوة والشاي.

شكَونا إلى أحبابنا طولَ ليلنا ... فقالوا لنا ما أقصرَ الليل عندنا

وذاك بأنَّ النومَ يغشى عيونهم ... يقيناً ولا يغشى لنا النومُ أعينا

مرارة الذنب تنافي حلاوة الطاعة، وبشاشة الإيمان، ومذاق السعادة.

يقول ابن تيمية: المعاصي تمنع القلب من الجولان في فضاء التوحيد: ﴿قل انظُروا ماذا في السَّموات والأرض﴾.

ومن نتائج المعصية الوخيمة

١. حجاب بين العبد وربه: ﴿كلاَّ إنَّهُم عن رَبِّهم يومئذٍ لَمحجُوبُون﴾.

٢. يُوحش المخلوق من الخالق: إذا ساء فعلُ المرء ساءت ظنونه.

٣. كآبة دائمة: ﴿لا يزالُ بُنيانُهُم الذي بنوا ريبة في قُلوبهم﴾.

٤. خوف في القلب واضطراب: ﴿سنُلقي في قُلوب الذين كفرُوا الرُّعب بما أشركُوا بالله﴾.

٥. نكد في المعيشة: ﴿فإنَّ لهُ معيشة ضنكا﴾.

٦. قسوة في القلب وظلمة: ﴿وجعلنا قُلُوبهُم قاسية﴾.

٧. سواد في الوجه وعبوس: ﴿فأمَّا الذين اسودَّت وُجُوهُهُم أكفرتُم﴾.

٨. بغضٌ في قلوب الخلق: «أنتم شهداء الله في أرضه».

٩. ضيقٌ في الرزق: ﴿ولو أنَّهُم أقامُوا التَّوراة والإنجيل وما أُنزل إليهم من رَبِّهم لأكلُوا من فوقهم ومن تحت أرجُلهم﴾.

١٠. غضب الرحمن، ونقص الإيمان، وحلول المصائب والأحزان: ﴿فباءُو بغضب على غضب﴾. ﴿بل ران على قُلُوبهم ما كانُوا يكسبُون﴾. ﴿وقالُوا قُلُوبنا غُلفٌ﴾.

اطلب الرزق ولا تحرص

الدودة في الطين يرزقها رب العالمين: ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾.

الطيور في الوكور يطعمها الغفور الشكور: «كما يرزق الطير، تغدو خماصاً وتروح بطاناً».

السمك في الماء يرزقه رب الأرض والسماء: ﴿يُطعِمُ ولا يُطعَمُ﴾.

وأنت أزكى من الدودة والطير والسمك، فلا تحزن على رزقك.

عرفتُ أناساً ما أصابهم الفقر والكدر وضيق الصدر، إلا بسبب بعدهم عن الله عز وجل، فتجد أحدهم كان غنيًا، ورزقه واسع وهو في عافية من ربه وفي خير من مولاه، فأعرض عن طاعة الله، وتهاون بالصلاة، واقترف كبائر الذنوب، فسلبه ربه عافية بدنه وسعة رزقه، وابتلاه بالفقر والهمّ والغمّ، فأصبح من نكدٍ إلى نكدٍ، ومن بلاء إلى بلاء: ﴿ومن أعرض عن ذكري فإنّ له معيشة ضنكا﴾. ﴿ذلك بأنّ الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾. ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير﴾. ﴿وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا﴾.

أتبكي على ليلى وأنت قتلتها ... هنيئاً مريئاً أيها القاتل الصبُّ

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾

سـرُّ الهدايـة

ولن يهتديَ للسعادة ولن يجدها ولن ينعم بها، إلا من اتبع الصراط المستقيم الذي تركنا محمد ﷺ على طرفه، وطرفه الآخر في جنات النعيم: ﴿ولهديناهم صراطا مستقيما﴾.

فسعادة من لزم الصراط المستقيم أنه مطمئنٌ لحسن العاقبة، واثق من طيب المصير، ساكن إلى موعود ربه، راضٍ بقضاء مولاه، مخبت في سلوكه هذا السبيل، يعلم أن له هادياً يهديه على هذا الصراط، وهو معصوم لا ينطق عن الهوى، ولا يتبع مَن غوى، قوله حجّة على الورى، محفوظ من نزغات الشيطان، وعثرات الأقران، وسقطات الإنسان: ﴿لهُ معقباتٌ مِن بين يديه ومن خلفه يحفظونهُ من أمر الله﴾.

وهذا العبد يجد السعادة في سلوكه هذا الصراط، لأنه يعلم أن له إلهاً، وأمامه أسوة، وبيده كتاباً، وفي قلبه نوراً، وفي خلده واعظاً، وهو ذاهب إلى نعيم، وعامل في طاعة، وساعٍ إلى خير: ﴿ذلك هُدى الله يهدي به من يشاءُ﴾.

أين ما يُدعى ظلاماً يا رفيق الدرب أينا ... إنْ نورَ الله في قلبي وهذا ما أراهُ

وهما صراطان: معنوي وحسي، فالمعنوي: صراط الهداية والإيمان، والحسي: الصراط على متن جهنم، فصراط الإيمان على متن الدنيا الفانية

له كلاليب من الشهوات. والصراط الأخروي على متن جهنم له كلاليب كشوك السعدان. فمَن تجاوز هذا الصراط بإيمانه تجاوز ذاك الصراط على حسب إيقانه. وإذا اهتدى العبد إلى الصراط المستقيم زالت همومه وغمومه وأحزانه.

عَشر زهراتٍ يقطفها مَن أراد الحياة الطيبة

١. جلسة في السحر للاستغفار: ﴿والمُستغفرين بالأسحار﴾.

٢. وخلوة للتفكُّر: ﴿ويتفكَّرون في خلق السَّموات والأرض﴾.

٣. ومجالسة الصالحين: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعُون ربَّهم﴾.

٤. والذكر: ﴿اذكُروا الله ذكرا كثيرا﴾.

٥. وركعتان بخشوع: ﴿الذين هُم في صلاتهم خاشعُون﴾.

٦. وتلاوة بتدبُّر: ﴿أفلا يتدبَّرُون القُرآن﴾.

٧. وصيام يوم شديدِ الحر: «يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلي».

٨. وصدقة في خفاء: «حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه».

٩. وكشْف كربة عن مسلم: «من فرَّج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرَّج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة».

١٠. وزهْد في الفانية: ﴿والآخرةُ خيرٌ وأبقى﴾.

تلك عشرة كاملة.

من شقاء ابن نوح قوله: ﴿سآوي إلى جبل يعصمني من الماء﴾. ولو أوى إلى ربّ الأرض والسماء لكان أجلّ وأعزّ وأمنع.

ومن شقاء النمرود قوله: أنا أحيي وأميت. فتقمّص ثوباً ليس له. واغتصب صفة لا تحلّ له. فُبهتَ وخسأ وخاب.

﴿فأخذه الله نكال الآخرة والأولى﴾.

مفتاح السعادة كلمة، وميراث الملّة عبارة، وراية الفلاح جملة. فالكلمة والعبارة والجملة هي: لا إله إلا الله، محمد رسول الله ﷺ.

سعادةُ مَن خلقها في الأرض: أن يُقال له في السماء: صدقتَ: ﴿والذي جاء بالصدق وصدّق به﴾.

وسعادة مَن عمل بها: أن ينجو من الدمار والشنار والعار والنار: ﴿وينجي الله الذين اتّقوا بمفازتهم﴾.

وسعادة من دعا إليها: أن يُعان ويُنصر ويُشكر: ﴿وإنّ جندنا لهم الغالبون﴾.

وسعادة من أحبّها: أن يُرفع ويُكرَم ويُعزّ: ﴿ولله العزّة ولرسوله وللمؤمنين﴾.

هتف بها بلال الرقيق فأصبح حرًّا: ﴿يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾.

وتلعثم في نطقها أبو لهب الهاشمي، فمات عبداً ذليلاً حقيراً: ﴿ومن يُهن اللهُ فما له من مُكرم﴾.

إنها الاكسيرُ الذي يحوّل الركام البشري الفاني إلى قمم إيمانية ربانية طاهرة: ﴿ولكن جعلناه نُورا نَهدي به من نَشاءُ من عبادنا﴾.

لا تفرح بالدنيا إذا أعرضتَ عن الآخرة، فإن العذاب الواصب في طريقك، والغُلّ والنكال ينتظرك: ﴿ما أغنى عنّي ماليه * هلك عنّي سُلطانيه﴾، ﴿إنّ ربك لبالمرصاد﴾.

ولا تفرحْ بالولد إذا أعرضتَ عن الواحد الصمد، فإن الإعراض عنه كلُّ الخذلان، وغاية الخسران، ونهاية الهوان: ﴿وضُربتْ عليهمُ الذلّةُ والمسكنةُ﴾.

ولا تفرحْ بالأموال إذا أسأتَ الأعمال، فإن إساءة العمل محقٌ للخاتمة، وتبابٌ في المصير، ولعنة في الآخرة: ﴿ولعذابُ الآخرة أخزى﴾، ﴿وما أموالُكم ولا أولادُكم بالتي تُقربُكم عندنا زُلفى إلاّ من آمن وعمل صالحاً﴾.

وقفة

•**يا حيُّ يا قيوم برحمتك استغيث**•: في رفع هذا الدعاء مناسبة بديعة، فإن صفة الحياة متضمّنة لجميع صفات الكمال، مستلزمة لها، وصفة القيُّومية متضمّنة لجميع صفات الأفعال، ولهذا كان اسم الله الأعظم الذي

إذا دُعيَ به أجاب، وإذا سُئل به أعطى: هو اسم الحي القيوم. والحياة التامَّة تضادُّ جميعَ الأسقام والآلام، ولهذا لما كَمُلت حياة أهل الجنة، لم يلحقهم همٌّ ولا غمٌّ ولا حَزَن ولا شيء من الآفات. ونقصان الحياة تضرُّ بالأفعال، وتنافي القيومية، فكمال القيومية لكمال الحياة، فالحيُّ المطلق التامُّ الحياة لا تفوته صفة الكمال ألبتة، والقيوم لايتعذَّرُ عليه فعْل ممكن ألبتة. فالتوسل بصفة الحياة والقيومية له تأثير في إزالة ما يُضادُّ الحياة ويضرُّ بالأفعال.

قال الشاعر:

لعمرُك ما المكروه منْ حيث تَتَّقي ... وتخشى ولا المحبوبُ من حيثُ تَطْمَعُ

وأكثرُ خوفِ الناسِ ليسَ بكائنٍ ... فما درْكُ الهمِّ الذي ليسَ ينفعُ

لا تحزنْ وتعاملْ مع الأمرِ الواقع

إذا هوَّنتَ ما قد عزَّ هان، وإذا أيسْتَ من الشيء سلتْ عنه نفسك:

﴿ سيُؤْتينا اللهُ من فضله ورَسُولُهُ إنَّا إلى اللهِ راغبُونَ ﴾.

قرأتُ أن رجلاً قفز من نافذة وكان بأصبعه اليسرى خاتم، فتشبث الخاتم بمسمار في النافذة، ومع سقوط الرجل اقتلع المسمار أصبعه من أصلها، وبقي بأربع أصابع، يقول عن نفسه: لا أكاد أتذكَّر أن لي أربع أصابع

في يد فحسب، أو أنني فقدتُ أصبعاً من أصابعي إلا حينما أتذكر تلك الواقعة، وإلا فعملي على ما يرام، ونفسي راضية بما حدث: «قدَر الله وما شاء فعل».

لا تقلَ للنـــار أخٌ إنْ قلـــتَ احًا فَـرحَ الجانـي وسـحَّ الدمعُ سَحًا

وأعرف رجلاً بُترَت يده اليسرى من الكتف لمرض أصابه، فعاش طويلاً وتزوَّج، ورُزق بنين، وهو يقود سيارته بطلاقة، ويؤدي عمله بارتياح، وكأن الله لم يخلق له إلا يداً واحدة: «ارضَ بما قسم الله لك، تكنْ أغنى الناس».

وسـلْ نفسك تسـلو في منازلها هل الدمـوع تَرُدُّ الغائبَ الغالي؟

ما أسرع ما نتكيَّف مع واقعنا، وما أعجب ما نتأقلم مع وضعنا وحياتنا، قبل خمسين سنة كان قاع البيت بساطاً من حصير النخل، وقربة ماء، وقدراً من فخار، وقصعة، وجفنة، وإبريقاً، وقامت حياتنا واستمرت معيشتنا، لأننا رضينا وسلَّمنا وتحاكمنا إلى واقعنا.

والنفـسُ راغبـــةٌ إذا رغَّبْتَهـا وإذا تُـــردُّ إلـــى قليـــلٍ تَقْنَـــعُ

وقعت فتنة بين قبيلتين في الكوفة في المسجد الجامع، فسلُّوا سيوفهم، وامتشقوا رماحهم، وهاجت الدائرة، وكادت الجماجم أن تفارق الأجساد، وانسلَّ أحد الناس من المسجد ليبحث عن المُصلِح الكبير والرجل الحليم، الأحنف بن قيس، فوجده في بيته يحلب غنمه، عليه كساء لا يساوي عشرة دراهم، نحيلَ الجسم، نحيف البنية، أحنف الرجلين، فأخبروه الخبر فما اهتزت في جسمه شعرة ولا اضطرب، لأنه قد اعتاد الكوارث، وعاش

الحوادث، وقال لهم: خيراً إن شاء الله. ثم قُدِّم له إفطاره وكان لم يحدث شيء. فإذا إفطاره كسرة من الخبز اليابس، وزيت وملح، وكأس من الماء، فسمَّى وأكل، ثم حمد الله، وقال: بُرٌّ من بُرّ العراق، وزيت من الشام، مع ماء دجلة، وملح مرو، إنها لنعمٌ جليلة. ثم لبس ثوبه، وأخذ عصاه، ثم دلف على الجموع، فلما رآه الناس اشرأبَّت إليه أعناقهم، وطفحت إليه عيونهم، وأنصتوا لما يقول، فارتجل كلمة صلح، ثم طلب من الناس التفرُّق، فذهب كلٌّ واحد منهم لا يلوي على شيء. وهدأت الثائرة، وماتت الفتنة.

قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه خلقٌ وجيبُ قميصه مرقوعُ

●في القصة دروس، منها:

أن العظمة ليست بالأبهة والمظهر، وأن قلَّة الشيء ليست دليلاً على الشقاء، وكذلك السعادة ليست بكثرة الأشياء والترفُّه: ﴿فأمَّا الإنسانُ إذا ما ابتلاهُ ربُّهُ فأكرمهُ ونعَّمهُ فيقولُ ربِّي أكرمن ﴿١٥﴾ وأمَّا إذا ما ابتلاهُ فقدر عليه رزقهُ فيقولُ ربِّي أهانن﴾.

وأن المواهب والصفات السامية هي قيمة الإنسان، لا ثوبه ولا نعله ولا قَصْره ولا داره، إنما وزنه في علمه وكرمه وحلمه وعقله: ﴿إنَّ أكرمكُمْ عند اللّه أتقاكُمْ﴾. وعلاقة هذا بموضوعنا أن السعادة ليست في الثراء الفاحش، ولا في القصر المنيف، ولا في الذهب والفضة، ولكن السعادة في القلب بإيمانه، برضاه، بأنسه، بإشراقه: ﴿فلا تُعجبك أموالُهُمْ ولا أولادُهُمْ﴾، ﴿قُلْ بفضل اللّه وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خيرٌ ممَّا يجمعُون﴾.

عوِّد نفسك على التسليم بالقضاء والقدر. ماذا تفعل إذا لم تؤمن بالقضاء والقدر. هل تتخذ في الأرض نفقاً أو سُلَّماً في السماء. لن ينفعك ذلك. ولن ينقذك من القضاء والقدر. إذن فما الحلّ؟

الحلُّ: رضينا وسلمنا: ﴿أينما تكونوا يدرككم الموتُ ولو كنتم في بروجٍ مشيدةٍ﴾.

من أعنف الأيام في حياتي، ومن أفظع الأوقات في عمري: تلك الساعة التي أخبرني فيها الطبيب المختصُّ ببتر يد أخي محمد. رحمه الله. من الكتف. ونزل الخبر على سمعي كالقذيفة. وغالبت نفسي. وثابت روحي إلى قول المولى: ﴿ما أصاب من مُصيبة إلا بإذن الله ومن يُؤمن بالله يهد قلبه﴾. وقوله: ﴿وبشر الصابرين ﴿١٥٥﴾ الذين إذا أصابتهم مُصيبةٌ قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون﴾.

كانت هذه الآيات برداً وسلاماً وروحاً وريحاناً.

لا راعك الله في دنيا نهايتها ... فرقى تحلُّ وسكنى أضيق الحفر

وأحسن الله أجراً كنت تطلبه ... فقد أتاك على صفرٍ من العُمُر

وليس لنا من حيلة فنحتال. إنما الحيلة في الإيمان والتسليم فحسب. ﴿أم أبرموا أمراً فإنا مُبرمون﴾. ﴿والله غالبٌ على أمره﴾، ﴿وإذا قضى أمراً فإنما يقولُ له كُن فيكونُ﴾.

إن الخنساء النخعية تُخبر في لحظة واحدة بقتل أربعة أبناء لها في سبيل الله بالقادسية. فما كان منها إلا أن حمدت ربها. وشكرت مولاها على

حسن الصنيع، ولطف الاختيار، وحلول القضاء، لأن هناك معيناً من الإيمان، ورافداً من اليقين لا ينقطع، فمثلها تشكر وتُؤجَر وتسعد في الدنيا والآخرة، وإذا لم تفعل هذا فما هو البديل إذن؟! التسخُّط والتضجُّر والاعتراض والرفض، ثم خسارة الدنيا والآخرة! **فمن رضي فله الرضا، ومَن سخط فله السخط.**

إن بلسم المصائب وعلاج الأزمات، قولنا: إنا لله وإنا إليه راجعون.

والمعنى: كلنا لله، فنحن خَلْقه وفي ملكه، ونحن نعود إليه، فالمبدأ منه، والمعاد إليه، والأمر بيده، فليس لنا من الأمر شيء.

نفسي التي تملكُ الأشياء ذاهبةً فكيفَ ابكي على شيءٍ إذا ذهَبا

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾، ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾.

لو فوجئتَ بخبر صاعق باحتراق بيتك، أو موت ابنك، أو ذهاب مالك، فماذا عساك أن تفعل؟ من الآن وطِّن نفسك، لا ينفع الهرب، لا يجدي الفرار والتملُّص من القضاء والقدر، سلِّم بالأمر، وارضَ بالقدر، واعترفْ بالواقع، واكتسب الأجر، لأنه ليس أمامك إلا هذا، نعم هناك خيار آخر، ولكنه رديء أحذِّرك منه، إنه: التبرُّم بما حصل والتضجُّر مما صار، والثورة والغضب والهيجان، ولكن تحصل على ماذا من هذا كله؟! إنك سوف تنال غضب الربِّ جلَّ في علياه، ومقْت الناس، وذَهاب الأجر، وفادح الوزر، ثم لا يعود عليك المصاب، ولا ترتفع عنك المصيبة، ولا ينصرف عنك الأمر المحتوم: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾

لا تحزن فإنَّ ما تحزن لأجله سينتهي

فإن الموت مقدم على الكل: الظالم والمظلوم، والقوي والضعيف، والغني والفقير. فلستَ بدعاً من الناس أن تموت، فقبلك ماتت أمم وبعدك تموت أمم.

ذكر ابن بطوطة أن في الشمال مقبرة دُفن فيها ألف ملك عليها لوحة مكتوب فيها:

وسلاطينهم سل الطين عنهم ... والرؤوس العظام صارتْ عظاما

إن الأمر المذهل في هذا: غفلة الإنسان عن هذا الفناء المداهم له صباح مساء، وظنُّه أنه خالد مخلَّد منعَّم، وتغافله عن المصير المحتوم، وتراخيه عن النهاية الحتمة لكل حي: ﴿يا أيها الناسُ اتقُوا ربكُم إنَّ زلزلة الساعة شيءٌ عظيمٌ﴾، ﴿اقترب للناس حسابُهم وهم في غفلة مُعرضُون﴾.

لما أهلك الله الأمم، وأباد الشعوب، ودمَّر القرى الظالمة وأهلها، قال عز من قائل: ﴿هل تُحسُّ منهُم من أحدٍ أو تسمعُ لهُم ركزاً﴾؟! انتهى كلُّ شيء عنهم إلا الخبر والحديث.

هل عندكم خبرٌ من أهل اندلس ... فقد مضى بحديث القوم ركبانُ

وقفـــة

دعاء الكرب: مشتملٌ على توحيد الإلهية والربوبية، ووصف الرب سبحانه بالعظمة والحلم، وهاتان الصفتان مستلزمتان لكمال القدرة والرحمة، والإحسان والتجاوز، ووصفه بكمال ربوبيته للعالم العلوي والسُّفلي، والعرش الذي هو سقف المخلوقات وأعظمها.

والربوبية التامَّة تستلزم توحيده، وأنه الذي لا تنبغي العبادة والحب والخوف والرجاء والإجلال والطاعة إلا له، وعظمته المطلقة تستلزم إثبات كل كمال له، وسلبَ كل نقص وتمثيل عنه؛ وحلمُه يستلزم كمال رحمته وإحسانه إلى خلقه.

فعلم القلب ومعرفته بذلك تُوجب محبته وإجلاله وتوحيده، فيحصل له من الابتهاج واللذة والسرور ما يدفع عنه ألم الكرْب والهمّ والغمّ، وأنت تجد المريض إذا ورد عليه ما يسُرُّه ويُفرحه، ويَقْوِي نفسه، كيف تقوَى الطبيعة على دفع المرض الحسيِّ، فحصول هذا الشفاء للقلب أولى وأحرى.

لا تكتئبْ، فإن الاكتئاب طريق الشقاء

ذكرت جريدة «المسلمون» عدد ٢٥٠ في شهر صفر سنة ١٤١٠هـ أن هناك ٢٠٠ مليون مكتئب على وجه الأرض!

الاكتئاب يجتاح العالم!! لا يفرِّق بين دولة غربية وأخرى شرقية! أو غني وفقير، إنه مرض يصيب الجميع... ونهايته في الغالب... الانتحار!!

الانتحار لا يعترف بالأسماء والمناصب والدول. لكنه يخاف من المؤمنين. بعض الأرقام تؤكد أن ضحاياه وصلوا إلى ٢٠٠ مليون مريض في كل أنحاء العالم... إلاّ أنّ آخر الإحصاءات تؤكّد أن واحداً على الأقل بين كل عشرة أفراد على وجه الأرض مصاب بهذا المرض الخطير!!

وقد وصلت خطورة هذا المرض أنه لا يصيب الكبار فقط، بل يصل إلى حدّ مداهمة الجنين في بطن أمه!!.

● الاكتئاب بوابة الانتحار:

﴿ ولا تقتلوا أنفسكم ﴾، ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾.

تذكر الأخبار التي تناقلتها وكالات الأنباء أن مرض الاكتئاب قد تمكّن من الرئيس السابق للولايات المتحدة الأمريكية (رونالد ريجان). وتعود إصابة الرئيس الأمريكي بهذا المرض لتجاوزه سنّ السبعين في الوقت الذي لا يزال يتعرّض فيه لضغوط عصبية كبيرة.. بالإضافة للعمليات الجراحية التي أُجريت له على فترات متلاحقة. ﴿ ولو كنتم في بروج مشيدة ﴾.

وهناك الكثير من المشاهير وخاصّة من يعملون بالفنّ، يداهمهم هذا المرض، وقد كان الاكتئاب سبباً رئيساً - إن لم يكن الوحيد - في موت الشاعر صلاح جاهين. وكذلك يُقال: إن نابليون بونابرت مات مكتئباً في منفاه. ﴿ وتزهق أنفسهم وهم كافرون ﴾.

وما زلنا نذكر أيضاً الخبر الذي طيّرته وكالات الأنباء، احتلّ صدر الصفحات الأولى في أغلب صحف العالم، عن الجريمة المروعة التي

ارتكبتها أمٌ ألمانية بقتل ثلاثة من أطفالها. واتضح أن السبب هو مرضها بالاكتئاب، ولحُبِّها الشديد لأطفالها خافت أن تورثهم العذاب والضيق الذي تشعر به، فقرّرت «إراحتهم»!! من هذا العذاب بقتلهم الثلاثة.. ثم قتلتْ نفسها!!

وأرقام «منظمة الصحة العالمية» تشير إلى خطورة الأمر.. ففي عام ١٩٧٣م كان عدد المصابين بالاكتئاب في العالم ٣٪ . وارتفعت هذه النسبة لتصل إلى ٥٪ في عام ١٩٧٨م. كما أشارت بعض الدراسات إلى وجود فرد أمريكي مصاب بالاكتئاب من كل أربعة!! في حين أعلن رئيس مؤتمر الاضطراب النفسي الذي عُقد في شيكاغو عام ١٩٨١م أن هناك ١٠٠ مليون شخص في العالم يعانون من الاكتئاب، أغلبهم من دول العالم المتقدم. وقالت أرقام أخرى أنهم مائتا مليون مكتئب!! ﴿ أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ﴾.

قال أحد الحكماء: اصنع من الليمون شراباً حلواً. وقال أحدهم: ليس الذكي الفطن الذي يستطيع أن يزيد أرباحه. لكنّ الذكي الذي يحوّل خسائره إلى أرباح ﴿ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾.

وفي المثل: لا تنطح الحائط!!

والمعنى: لا تعاند مَن لا تستفيد من عناده فائدة تعود عليك بخير.

إذا لم تستطعْ شيئاً فدعْهُ وجاوزْه إلى ما تستطيعُ

وقالوا: ولا تطحن الدقيق. ﴿ فأثابكم غماً بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ﴾.

والمعنى: أن الأمور التي فُرغ منها وانتهت لا ينبغي أن تُعاد وتُكرَّر؛ لأن في ذلك قلقاً واضطراباً وتضييعاً للوقت.

وقالوا أيضاً ـ وهو مثل إنكليزي ـ: لا تنشر النشارة.

والمعنى: أي نشارة الخشب. لا تأتي وتنشرها مرة ثانية. فقد فرغ منها.

يقولون ذلك لمن يشتغل بالتوافه، واجترار الهموم، وإعادة الماضي، ﴿ الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قُتلوا قُلْ فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين ﴾.

لا تُعِدْ قصةَ الفراقِ كثيراً وتسلْ عنها تجدْ فؤادك سالي

هناك مجالات للفارغين من الأعمال يمكن سدُّها. كالتزود بالصالحات، ونفع الناس، وعيادة المرضى، وزيارة المقابر، والعناية بالمساجد، والمشاركة في الجمعيات الخيرية، ومجالس الأحياء، وترتيب المنازل والمكتبة، والرياضة النافعة، وإيصال النفع للفقراء والعجزة والأرامل. ﴿ إنك كادحٌ إلى ربك كدحاً فملاقيه ﴾.

ولم أر كالمعروف أما مذاقه فحلو وأما وجهه فجميل

اقرأ التاريخ لتجد المنكوبين والمسلوبين والمصابين.

وبعد فصول من هذا البحث سوف أطلعك على لوحة من الحزن للمنكوبين بعنوان: تعزَّ بالمنكوبين.

اقرأ التاريخ إذ فيه العبرُ ضلَّ قومٌ ليس يدرون الخبرْ

﴿ وكلاً نقصُّ عليك من أنباء الرُّسُل ما نُثبِّتُ به فؤادك ﴾. ﴿ لقد كان في قصصهم عبرةٌ ﴾. ﴿ فاقصُصِ القصصَ لعلهم يتفكرون ﴾.

قال عمر: أصبحتُ وما لي مطلب إلا التمتُّع بمواطن القضاء.

لترمـي بي المنايـا حيثُ شـاءتْ فإنـي في الشـجاعة قـدْ رُبيتْ

ومعنى ذلك: أنه مرتاح لقضاء الله وقدره، سواء كان فيما يحلو له أو فيما كان مرّاً.

وقال بعضهم: ما أبالي على أيّ الراحلتَيْن ركبتُ، إن كان الفقر فَهو الصبر، وإن كان الغنى فهو الشكر.

ومات لأبي ذؤيب الهذلي ثمانية من الأبناء بالطاعون في عام واحد، فماذا عسى أن يقول؟ إنه آمن وسلّم وأذعن لقضاء ربه. وقال:

وتجلّـدي للشـامتين أريهـم انـي لريب الدهـر لا أتضعضعْ

وإذا المنيـةُ أنشـبتْ أظفـارها ألفـيتَ كـلَّ تميمـةٍ لا تنفـعْ

﴿ ما أصاب من مُصيبة إلا بإذن الله ﴾.

وفقد ابن عباس بصرَه، فقال ـ معزّياً نفسه ـ:

إنْ يأخـذِ اللهُ من عينيَّ نورهمـا ففـي فـؤادي وقلبـي منهمـا نورُ

قلبـي ذكـيٌّ وعقلـي غيرُ ذي عوجٍ وفي فمي صـارمٌ كالسيف مشهورُ

وهو التسلّي بما عنده من النعم الكثيرة إذا فقد القليل منها.

وبُشرتْ رجُل عروة بن الزبير، ومات ابنه في يوم واحد، فقال: اللهم لك الحمد. إن كنتَ أخذتَ فقد أعطيتَ، وإن كنتَ ابتليْتَ فقد عافيتَ، منحتَني أربعة أعضاء، وأخذت عضواً واحداً. ومنحتَني أربعة أبناء، وأخذتَ ابناً واحداً. ﴿وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا﴾، ﴿سلامٌ عليكُم بما صبرتُم﴾.

وقُتل عبدالله بن الصِّمة أخو دريد. فعزَّى دريد نفسه بعد أن ذكر أنه دافع عن أخيه قدرَ المستطاع. ولكن لا حيلة في القضاء. مات أخوه عبدالله فقال دريد:

وطاعنتُ عنه الخيل حتى تبدَّدتْ ... وحتى علاني حالكُ اللون أسود

طعانَ امرئ أسى أخاهُ بنفسه ... ويعلمُ أنَّ المرءَ غيرُ مخلَّد

وخفَّفتُ وجدي أنني لم أقلْ لهُ ... كذبت ولم أبخلْ بما ملكتْ يدي

ويروى عن الشافعي، واعظاً ومعزِّياً للمصابين:

دع الأيام تفعل ما تشاءُ ... وطِبْ نفساً إذا حكم القضاءُ

إذا نزل القضاءُ بأرض قومٍ ... فلا أرضٌ تقيه ولا سماءُ

وقال أبو العتاهية:

كم مرة حفَّت بك المكاره ... خار لك الله وأنت كاره؟

كم مرة خفنا من الموت فما متنا؟!

كم مرة ظننا أنها القاضية وأنها النهاية، فإذا هي العودة الجديدة والقوة والاستمرار؟!

كم مرة ضاقت بنا السبل، وتقطَّعت بنا الحبال، وأظلمت في وجوهنا الآفاق، وإذا هو الفتح والنصر والخير والبشارة؟! ﴿قُلِ اللهُ يُنَجِّيكُم مِنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ﴾.

كم مرة أظلمت أمامنا دنيانا، وضاقت علينا أنفسنا والأرض بما رحُبت، فإذا هو الخير العميم واليسر والتأييد؟! ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾.

من علم أن الله غالبٌ على أمره، كيف يخاف أمر غيره؟! من علم أن كل شيء دون الله، فكيف يخوفونك بالذين من دونه؟! من خاف الله كيف يخاف من غيره، وهو يقول: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾.

معه سبحانه العزة، والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

معه الغلبة، ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾، ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾.

ذكر ابن كثير في تفسيره أثراً قدسياً: «وعزتي وجلالي ما اعتصم بي عبد، فكادت له السماوات والأرض إلا جعلتُ له من بينها فَرَجاً ومخرجاً، وعزتي وجلالي ما اعتصم عبدي بغيري إلا أسخت الأرض من تحت قدميه».

قال الإمام ابن تيمية: بـ «لا حول ولا قوة إلا بالله» تُحمَل الأثقال، وتُكابَد الأهوال، ويُنال شريف الأحوال.

فالزمها أيُّها العبد؛ فإنها كنز من كنوز الجنة، وهي من بنود السعادة، ومن مسارات الراحة، وانشراح الصدر.

الاستغفارُ يفتح الأقفال

يقول ابن تيمية: إن المسألة لتغلق عليَّ، فأستغفر الله ألف مرة أو أكثر أو أقلّ، فيفتحها الله عليّ.

﴿ فقلتُ استغفروا ربكم إنه كان غفارا ﴾.

إن من أسباب راحة البال، استغفار ذي الجلال.

ربَّ ضارة نافعة. وكل قضاء خير حتى المعصية بشرطها.

فقد ورد في المسند: «**لا يقضي الله للعبد قضاءً إلا كان خيراً له**». قيل لابن تيمية: حتى المعصية؟ قال: نعم، إذا كان معها التوبة والندم، والاستغفار والانكسار. ﴿ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسولُ لوجدوا الله توابا رحيما ﴾.

قال أبو تمام في أيام السعود وأيام النحس:

مرتْ سنونٌ بالسعود وبالهنا ... فكأنها من قصرها أيامُ
ثم انثنتْ أيامُ هجرٍ بعدها ... فكأنها من طولها أعوامُ
ثم انقضتْ تلك السنونُ وأهلُها ... فكأنها وكأنهم أحلامُ

﴿ وتلك الأيامُ نداولها بين الناس ﴾. ﴿ كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها ﴾.

عجبت لعظماء عرفهم التاريخ، كانوا يستقبلون المصائب كأنها قطرات الغيث، أو هفيف النسيم، وعلى رأس الجميع سيد الخلق محمد ﷺ، وهو

في الغار، يقول لصاحبه: ﴿ لا تحزنْ إنّ الله معنا ﴾. وفي طريق الهجرة، وهو مطارَد مشرَّد يبشِّر سراقة بأنه يُسوِّر سواريْ كسرى!

بشرى من الغيب ألقتْ في فم الغار وحياً وأفضتْ إلى الدنيا بأسرار

وفي بدر يثب في الدرع ﷺ وهو يقول: ﴿ سيُهزمُ الجمعُ ويولّون الدُّبر ﴾.

أنت الشجاعُ إذا لقيتَ كتيبةً أدَبُت في هَوْل الردى أبطالها

وفي أحد - بعد القتل والجراح - يقول للصحابة: «صُفُّوا خلفي. لأُثني على ربي». إنها همم نبويّة تقطع الثريّا، وعزم نبوي يهزُّ الجبال.

قيس بن عاصم المنقري من حلماء العرب. كان مُحتبياً يكلّم قومه بقصة. فأتاه رجل فقال: قُتل ابنك الآن. قتله ابن فلانة. فما حلّ حبوته. ولا أنهى قصته، حتى انتهى من كلامه. ثم قال: غسّلوا ابني وكفّنوه، ثم آذنوني بالصلاة عليه! ﴿ والصابرين في البأساء والضرّاء وحين البأس ﴾.

وعكرمة بن أبي جهل يُمضُّ الماء في سكَرات الموت، فيقول: أعطوه فلاناً. لحارث بن هشام. فيتناولونه واحداً بعد واحد، حتى يموت الجميع.

إذا قُتلوا ضجّتْ لمجدِ دماؤهمْ وكان قديماً منْ مناياهم القتلْ

قال الشاعر:

وإنما رجلُ الدنيا وواحدُها منْ لا يعوّلُ في الدنيا على رجُلْ

الناس عليك لا لك

إن العاقل الحصيف يجعل الناس عليه لا له، فلا يبني موقفاً، أو يتخذ قراراً يعتمد فيه على الناس. إن الناس لهم حدود في التضامن مع الغير، ولهم مدىً يصلون إليه في البذل والتضحية لا يتجاوزونه.

انظر إلى الحسين بن علي - رضي الله عنه وأرضاه - وهو ابن بنت الرسول ﷺ، يُقتل فلا تنبس الأمة ببنت شفة، بل الذين قتلوه يكبّرون ويهلّلون على هذا الانتصار الضخم بذبحه!! رضي الله عنه، يقول الشاعر:

جاؤوا برأسك يا ابن بنت محمد ... متزمّلاً بدمائه تزميلا

ويكبّرون بأن قُتلت وإنما ... قتلوا بك التكبير والتهليلا

ويُساق أحمد بن حنبل إلى الحبس، ويُجلد جلداً رهيباً، ويشرف على الموت، فلا يتحرّك معه أحد.

ويُؤخذ ابن تيمية مأسوراً، ويركب البغل إلى مصر، فلا تموج تلك الجموع الهادرة التي حضرت جنازته، لأن لهم حدوداً يصلون إليها فحسب، ﴿ ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً ﴾، ﴿ يا أيها النبيُّ حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين ﴾، ﴿ وتوكّل على الحيّ الذي لا يموت ﴾، ﴿ إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً ﴾.

فالزمْ يديك بحبل الله معتصماً ... فإنه الركن إنْ خانتك أركانُ

رفقاً بالمال

«ما عال من اقتصد»

قال أحدهم:

اجمعْ نقودَك إنّ العزّ في المال واستغنِ ما شئتَ عن عمٍ وعن خال

إن الفلسفة التي تدعو إلى تبذير المال وتبديده وإنفاقه في غير وجهه، أو عدم جمعه أصلاً ليست بصحيحة، وإنما هي منقولة من عُبّاد الهنود، ومن جهلة المتصوفة.

إن الإسلام يدعو إلى الكسب الشريف، وإلى جمع المال الشريف، وإنفاقه في الوجه الشريف، ليكون العبد عزيزاً بماله، وقد قال ﷺ: «نعم المال الصالح في يد الرجل الصالح»، وهو حديث حسن.

وإن مما يجلب الهموم والغموم كثرةُ الديون، أو الفقر المضني المهلك: «فهل تنتظرون إلاّ غنىً مطغياً أو فقراً منسياً». ولذا استعاذ ﷺ فقال: «اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر»، و «كاد الفقر ان يكون كفراً».

وهذا لا يتعارض مع الحديث الذي يرويه ابن ماجه: «ازهدْ في الدنيا يحبّك الله، وازهَد فيما عند الناس يحبك الناس»، على أن فيه ضعفاً.

لكن المعنى: أن يكون لك الكفاف، وما يكفيك عن استجداء الناس وطلب ما عندهم من المال. بل تكون شريفاً نزيهاً، عندك ما يكفُّ وجهك عنهم. «ومن يستغن يُغنه الله».

وما مددتُ يدي إلاّ لخالقها وما طلبتُ من الإنسان ديناراً

وفي الصحيح: «إنك إن تذر ورثتك أغنياء، خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس».

أشدُّ به ما قد أضاعوا وفرطوا ... حقوق أناسٍ ما استطاعوا لها سدّا

يقول أحدهم في عزّة النفس.

أحسنُ الأقوال قولي لكَ خذْ ... أقبحُ الأقوال كلاّ ولعلْ

وفي الصحيح: «اليد العليا خير من اليد السفلى». اليد العليا المعطية، واليد السُّفلى الآخذة أو السائلة. ﴿يحسبهم الجاهلُ أغنياء من التعفُّف﴾.

والمعنى: لا تتملّق البَشَر فتطلب منهم رزقاً أو مكسباً، فإن الله عز وجلّ ضَمِن الرزق والأجل والخلق لأن عزّة الإيمان قعساء، وأهله شرفاء. والعزة لهم، ورؤوسهم دائماً مرتفعة، وانوفهم دائماً شامخة: ﴿أيبتغون عندهُمُ العزّة فإنّ العزّة لله جميعاً﴾. قال ابن الوردي:

أنا لا أرغبُ تقبيلَ يدٍ ... قطعُها أحسنُ من تلك القُبَلْ

إنْ جزتَني عن صنيعٍ كنتُ في ... رقّها أوّلَ فيكفيني الخجلْ

رضاهم، والتقربُ منهم، والحرص على ثنائهم، والتضررُ بذمِّهم، وهذا من ضعف التوحيد.

فليتك تحلو والحياةُ مريرةٌ ... وليتك ترضى والأنامُ غضابُ

إذا صحَّ منك الودُّ فالكلُّ هيِّنٌ ... وكلُّ الذي فوق التراب ترابُ

أسباب انشراح الصدر

ذكر ابن القيم مسائل يُشرح بها الصدر:

أهمها: التوحيد: فإنه بحسب صفائه ونقائه يوسع الصدر، حتى يكون أوسع من الدنيا وما فيها.

ولا حياة لمُشرك وملحد. يقول سبحانه وتعالى: ﴿ومن أعرض عن ذكري فإنَّ له معيشة ضنكا ونحشرُه يوم القيامة أعمى﴾. وقال سبحانه: ﴿فمن يُرد اللهُ أن يهديهُ يشرح صدرهُ للإسلام﴾. وقال سبحانه: ﴿أفمن شرح اللهُ صدرهُ للإسلام فهو على نورٍ من ربِّه﴾.

وتوعَّد الله أعداءه بضيق الصدر والرهبة والخوف والقلق والاضطراب. ﴿سنُلقي في قُلوب الذين كفروا الرُّعب بما أشركوا بالله ما لم يُنزِّل به سُلطانا﴾، ﴿فويلٌ للقاسية قُلوبُهم من ذكر الله﴾، ﴿ومن يُرد أن يُضلَّهُ يجعل صدرهُ ضيِّقا حرجا كأنما يصَّعَّدُ في السَّماء﴾.

ومما يشرح الصدر: **العلم النافع**. فالعلماء أشرح الناس صدوراً، وأكثرهم حبوراً، وأعظمهم سروراً. لما عندهم من الميراث المحمدي النبوي: ﴿ وعلمك ما لم تكن تعلم ﴾ ، ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾.

ومنها: **العمل الصالح**: فإن للحسنة نوراً في القلب، وضياءً في الوجه، وسعة في الرزق، ومحبة في قلوب الخلق. ﴿ لأسقيناهم ماء غدقا ﴾.

ومنها: **الشجاعة**: فالشجاع واسع البطان، ثابت الجنان، قوي الأركان، لأنه يؤوِل إلى الرحمن، فلا تهمُّه الحوادث، ولا تهزُّه الأراجيف، ولا تزعزعه التوجسات.

تردى ثياب الموت حمراً فما أتى ... لها الليل إلا وهي من سندس خضر

وما مات حتى مات مضرب سيفه ... من الضرب واعتلت عليه القنا السمر

ومنها: **اجتناب المعاصي**: فإنها كدَر حاضر، ووحشة جاثمة، وظلام قاتم.

رأيت الذنوب تميت القلوب ... وقد يورث الذل إدمانها

ومنها: **اجتناب كثرة المباحات**: من الكلام والطعام والمنام والخلطة. ﴿ والذين هم عن اللغو معرضون ﴾. ﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾. ﴿ وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ﴾.

يا رفيق الفراش أكثرت نوماً ... إن بعد الحياة نوماً طويلاً

فُرِغَ من القضاء

سأل أحد المرضى بالهواجس والهموم طبيبَ القلق والاضطراب. فقال له الطبيب المسلم: اعلم أن العالم قد فرغ من خلقه وتدبيره، ولا يقع فيه حركة ولا همس إلا بإذن الله. فلِمَ الهمُّ والغمُّ؟! «إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق الخلق بخمسين ألف سنة».

قال المتنبي على هذا:

وتعظم في عين الصغير صغارُها وتصغرُ في عين العظيم العظائمُ

طَعْمُ الحريةِ اللذيذ

يقول الراشد في كتاب «المسار»: من عنده ثلاثمائة وستون رغيفاً وجَرَّة زيت وألفٌ وستمائة تمرة، لم يستعبده أحد.

وقال أحد السلف: من اكتفى بالخبز اليابس والماء، سلم من الرقِّ إلا لله تعالى. ﴿وما لأحدٍ عنده من نعمةٍ تُجزى﴾.

قال أحدهم:

أطعتُ مطامعي فاستعبدتني ولو أني قنعتُ لكنتُ حرا

وقال آخر:

ارى أشقياءَ الناس لا يسامونها على أنهمُ فيها عراةٌ وجوعُ

أراها وإنْ كانتْ تسرُّ فإنها سحابةُ صيفٍ عنْ قليلٍ تقشعُ

إن الذين يسعون إلى السعادة بجمع المال أو المنصب أو الوظيفة، سوف يعلمون أنهم هم الخاسرون حقاً. وأنهم ما جلبوا إلا الهموم والغموم. ﴿ ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم ﴾. ﴿ بل تؤثرون الحياة الدنيا * والآخرة خير وأبقى ﴾.

سفيان الثوري مخدته التراب

توسد سفيان الثوري كومة من التراب في مزدلفة وهو حاج، فقال له الناس: أفي مثل هذا الموطن تتوسد التراب وأنت محدث الدنيا؟ قال: لمخدتي هذه أعظم من مخدة أبي جعفر المنصور الخليفة.

ليت كفّاً مدّت إليك بسدّ ... فقطعت بالحسام قبل الوصول

﴿ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ﴾.

لا تركنْ إلى المُرجفينَ

الوعود الكاذبة، والإرهاصات الخاطئة المغلوبة، التي يخاف منها أكثر الناس، إنما هي أوهام. ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم ﴾.

والقلق والأرق وقُرحة المعدة: ثمرات اليأس والشعور بالإحباط والفشل.

لا تعاقبنا فقد عاقبنا ... قلقٌ أسهرنا جنح الظلام

لن يضرَّك السبّ والشتم

كان الرئيس الأمريكي «إبراهام لينكولن» يقول: أنا لا أقرأ رسائل الشتم التي توجّه إليّ، ولا أفتح مظروفها فضلاً عن الرد عليها؛ لأنني لو اشتغلت بها لمَا قدَّمت شيئًا لشعبي. ﴿فأعرض عنهم﴾، ﴿فاصفح الصفح الجميل﴾، ﴿فاصفح عنهم وقل سلامٌ﴾.

قال حسّان:

ما أبالي أنبّ بالحزن تيسٌ ... أو لحاني بظهر غيبٍ لئيمُ

المعنى: أن كلمات اللؤماء والسخفاء والحقراء الشتّامين المتسلقين على أعراض الناس، لا تضرُّ ولا تُهمُّ، ولا يمكن أن يتلفت لها مسلم، أو أن يتحرك منها شجاع.

كان قائد البحرية الأمريكية في الحرب العالمية الثانية رجلاً لامعاً، يحرص على الشهرة، فتعامل مع مرؤوسيه الذين كالوا له الشتائم والسباب والإهانات، حتى قال: أصبح اليوم عندي من النقد مناعة، لقد عجم عودي، وكبرت سني، وعلمتُ أن الكلام لا يهدم مجداً ولا ينسف سُوراً حصيناً.

وماذا تبتغي الشعراء مني ... وقد جاوزتُ حدَّ الأربعينا

يُذكَر عن عيسى - عليه السلام - أنه قال: أحبوا أعداءكم.

والمعنى: أن تُصدروا في أعدائكم عفواً عامّاً، حتى تسلموا من التشفّي والانتقام والحقد الذي ينهي حياتكم. ﴿والعافين عن الناس والله يُحبُّ المُحسنين﴾، «اذهبوا فأنتم الطلقاء»، ﴿لا تثريب عليكُمُ اليوم﴾، ﴿عفا الله عمّا سلف﴾.

اقرأ الجمالَ في الكونْ

مما يشرح الصدر قراءة الجمال في خلق ذي الجلال والإكرام، والتمتُّع بالنظر في الكون، هذا الكتاب المفتوح، إن الله يقول في خلقه: ﴿ فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ﴾ ﴿ هذا خلقُ الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه ﴾ . ﴿ قل انظروا ماذا في السموات والأرض ﴾ .

وسوف أنقل لك، بعد صفحات، من أخبار الكون ما يدلُّك على حكمة وعظمة ﴿ الذي أعطى كلَّ شيء خلقه ثم هدى ﴾ .

قال الشاعر:

وكتابُ القضاء أقرأ فيه ... صوراً ما قرأتها في كتابي

قراءة في الشمس اللامعة، والنجوم الساطعة، في النهر.. في الجدول.. في التلّ.. في الشجرة.. في الثمرة.. في الضياء.. في الهواء.. في الماء، ﴿ فتبارك اللهُ أحسنُ الخالقين ﴾ .

وفي كلِّ شيءٍ له آيةٌ ... تدلُّ على أنَّه الواحدْ

يقول إيليا أبو ماضي:

أيُّها الشاكي وما بك داءٌ ... كيف تغدو إذا غدوت عليلا

أتُرى الشوك في الورود وتعمى ... أن ترى فوقه الندى إكليلا

والذي نفسُه بغير جمالٍ ... لا يرى في الوجود شيئاً جميلا

﴿أفلا ينظُرُون إلى الإبل كيف خُلقت﴾

يقول أينشتاين: مَن ينظر إلى الكون يعلم أن المبدع حكيم لا يلعب بالنَّرد. ﴿الذي أحسن كُلَّ شيءٍ خلقه﴾، ﴿ما خلقناهما إلا بالحَقِّ﴾، ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا﴾.

والمعنى: أن كل شيء بحسبان وبحكمة، وبترتيب وبنظام، يعلم من يرى هذا الكون أن هناك إلهاً قديراً لا يُجري الأمور مجازفة، جل في علاه.

ثم يقول سبحانه وتعالى: ﴿الشَّمسُ والقمرُ بحُسبان﴾. ﴿لا الشمسُ ينبغي لها أن تدرك القمر ولا اليلُ سابقُ النَّهار وكُلٌّ في فلك يسبحُون﴾.

لا يجدي الحِرْص

قال ﷺ: «لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها». فلِمَ الجزع؟! ولِمَ الهَلَع؟! ولِمَ الحرص إذن. إذا انتهى من هذا وفرغ؟! ﴿وكُلُّ شيء عنده بمقدار﴾: ﴿وكان أمرُ الله قدرا مَقدُورا﴾.

الأزمات تكفِّر عنك السيئات

يُذكَر عن الشاعر ابن المعتز أنه قال: الله ما أوطأ راحلة المتوكل على الله، وما أسرع أوْبة الواثق بالله!! وقد صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «ما يصيب

المؤمن من همٍّ، ولا غمٍّ، ولا وصبٍ، ولا نصبٍ، ولا مرضٍ، حتى الشوكة يُشاكها، إلا كفّر الله بها من خطاياه.. فهذا لمن صبر واحتسب وأناب، وعرف أنه يتعامل مع الواحد الوهاب.

قال المتنبي في أبيات حكيمة تضفي على العبد قوة وانشراحاً:

لا تلقَ دهرك إلا غيرَ مكترثٍ ما دام يصحبُ فيه روحك البدنُ

فما يُديم سُروراً ما سُررتَ به ولا يردُّ عليك الغائبَ الحزنُ

﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾.

«حسبنا الله ونعم الوكيل»

«حسبنا الله ونعم الوكيل»: قالها إبراهيم لما أُلقي في النار، فصارت برداً وسلاماً. وقالها محمد ﷺ في أُحُد، فنصره الله.

لما وضع إبراهيم في المنجنيق قال له جبريل: ألك إليَّ حاجة؟ فقال له إبراهيم: أمَّا إليك فلا، وأمَّا إلى الله فنَعَم!

البحر يُغرق، والنار تُحرق، ولكن جفَّ هذا، وخمدتْ تلك، بسبب: «حسبنا الله ونعم الوكيل».

رأى موسى البحر أمامه والعدو خلفه، فقال: ﴿كلاَّ إنَّ معي ربِّي سيهدين﴾، فنجا بإذن الله.

ذُكر في السيرة أن الرسول ﷺ لما دخل الغار، سخّر الله الحمام فبنت عشّها، والعنكبوت فبنت بيتها بفم الغار، فقال المشركون: ما دخل هنا محمد.

ظنّوا الحمام وظنّوا العنكبوت على ... خير البرية لم تنسج ولم تحم

عنايةُ الله أغنتْ عن مضاعفةٍ ... من الدروع وعن عالٍ من الأطم

إنها العناية الربانية إذا تلمّحها العبد، وتظر أن هناك رباً قديراً ناصراً ولياً راحماً، حينها يركن العبد إليه.

يقول شوقي:

وإذا العنايةُ لاحظتك عيونها ... نمْ فالحوادثُ كلُّهن أمانُ

﴿ فإنك بأعيننا ﴾، ﴿ فاللهُ خيرٌ حافظا وهو أرحمُ الرحمين ﴾.

مكوّنات السّعادة

وعند الترمذي عنه ﷺ: «من بات آمناً في سربه، معافىً في بدنه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها».

والمعنى: إذا حصل على غذاء، وعلى مأوى وكان آمناً، فقد حصل على أحسن السعادات، وأفضل الخيرات، وهذا يحصل عليه كثير من الناس، لكنهم لا يذكرونه، ولا ينظرون إليه ولا يلمسونه.

يقول سبحانه وتعالى لرسوله: ﴿ وأتممتُ عليكُم نعمتي ﴾. فأيُّ نعمة تمّت على الرسول ﷺ؟

أهي المادة؟ أهو الغذاء؟ أهي القصور والدور والذهب والفضة. ولم يملك من ذلك شيئاً؟

إن هذا الرسول العظيم ﷺ كان ينام في غرفة من طين. سقفها من جريد النخل. ويربط حجَرين على بطنه. ويتوسّد على مخدّة من ليف النخل تؤثّر في جنبه. ورهن درعه عند يهودي في ثلاثين صاعاً من شعير. ويدور ثلاثة أيام لا يجد رديء التمر ليأكله ويشبع منه.

مبتُ ودرعُك مرهونٌ على شطفٍ ... من الشعير وأبقى رهنك الأجلُ

لأنّ فيك معاني اليتم أعذبُهُ ... حتى دُعيت أبا الأيتام يا بطلُ

وقلتُ في قصيدة أخرى:

كفاك عن كلّ قصرٍ شاهقٍ عمدٍ ... بيتٌ من الطين أو كهفٌ من العلم

تبني الفضائلَ أبراجاً مشيّدةً ... تصب الخيام التي من أروع الخيم

﴿ وللآخرةُ خيرٌ لك من الأولى ﴿٤﴾ ولسوف يُعطيك ربُّك فترضى ﴾.

﴿ إنّا أعطيناك الكوثر ﴾.

نصب المنصب

من متاعب الحياة المنصب. قال ابن الوردي:

نصبُ المنصبِ أوهى جلدي يا عنائي من مداراة السفلْ

والمعنى: أن ضريبة المنصب غالية. إنها تأخذ ماء الوجه، والصحة والراحة، وقليلٌ مَن ينجو من تلك الضرائب التي يدفعها يومياً، من عرقه، من دمه، من سمعته، من راحته، من عزته، من شرفه، من كرامته. **«لا تسأل الإمارة.. فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة..»** **﴿هلك عني سلطانيه﴾**.

قال الشاعر:

هب الدنيا تصيرُ إليك عفواً أليس مصيرُ ذلك للزوال؟!

قدّر أن الدنيا أتت بكل شيء، فإلى أي شيء تذهب؟ إلى الفناء. **﴿ويبقى وجهُ ربك ذو الجلال والإكرام﴾**.

قال أحد الصالحين لابنه: لا تكن يا بُنيَّ رأساً. فإن الرأس كثير الأوجاع.

والمعنى: لا تحب التصدُّر دائماً والتَّرؤُّس، فإن الانتقادات والشتائم والإحراجات والضرائب لا تصل إلا إلى هؤلاء المقدَّمين.

إنَّ نصفَ الناس أعداءٌ لمنْ ولي السلطةَ هذا إنْ عدلْ

هيا إلى الصلاة

﴿ يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ﴾.

كان ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة.

وكان يقول: «أرحنا بها يا بلال».

ويقول: «جعلت قرة عيني في الصلاة».

إذا ضاق الصدر، وصعب الأمر، وكثر المكر، فاهرع إلى المصلى فصلِّ.

إذا أظلمت في وجهك الأيام، واختلفت الليالي، وتغيَّر الأصحاب، فعليك بالصلاة.

كان النبي ﷺ في المهمات العظيمة يشرح صدره بالصلاة، كيوم بدر والأحزاب وغيرها من المواطن. وذكروا عن الحافظ ابن حجر صاحب «الفتح» أنه ذهب إلى القلعة بمصر فأحاط به اللصوص، فقام يصلي، ففرَّج الله عنه.

وذكر ابن عساكر وابن القيم: أن رجلاً من الصالحين لقيه لصٌّ في إحدى طرق الشام، فأجهز عليه ليقتله، فطلب منه مهلة ليصلي ركعتين. فقام فافتتح الصلاة، وتذكَّر قول الله تعالى: ﴿ أمَّن يجيب المُضطرَّ إذا دعاه ﴾. فردَّدها ثلاثاً، فنزل مَلَك من السماء بحربة فقتل المجرم، وقال: أنا رسولُ من يجيب المضطر إذا دعاه. ﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ﴾. ﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمُنكر ﴾. ﴿ إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ﴾.

وإن مما يشرح الصدر، ويزيل الهمّ والغمّ، الصلاةُ على الرسول ﷺ: ﴿يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾.

صحَّ ذلك عند الترمذي: أن أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ قال: يا رسول الله، كم أجعل لك من صلاتي؟ قال: «ما شئت». قال: الربع؟ قال: «ما شئت، وإن زدت فخير». قال: الثُّلُثَيْن؟ قال: «ما شئت، وإن زدت فخير». قال: أجعل لك صلاتي كلها؟ قال: «إذن يُغفر ذنبك، وتُكفى همك».

وهنا الشاهد، أن الهمّ يزول بالصلاة والسلام على سيد الخلق: «من صلى عليَّ صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشراً». «اكثروا من الصلاة عليَّ ليلة الجمعة ويوم الجمعة، فإن صلاتكم معروضة عليَّ». قالوا: كيف تُعرَض عليك صلاتنا وقد أرمت؟! ـ أي بليتَ ـ قال: «إن الله حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء». إن للذين يقتدون به ﷺ ويتَّبعون النور الذي أنزل معه نصيباً من انشراح صدره وعُلوّ قدره ورفعة ذكره.

يقول ابن تيمية: أكملُ الصلاة على الرسول ﷺ هي الصلاة الإبراهيمية: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وباركْ على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين، إنك حميد مجيد.

نسينا في ودادك كلَّ غالٍ ... فأنت اليوم أغلى ما لدينا

سلامٌ على محبتكمْ ويكفي ... لنا شرفاً سلامٌ وما علينا

الصَّدقة سَعة في الصدر

ويدخل في عموم ما يجلب السعادة ويزيل الهمَّ والكدر: فعلُ الإحسان، من الصدقة والبر وإسداء الخير للناس، فإن هذا من أحسن ما يُوسِّع به الصدر. ﴿أنفقوا مما رزقناكم﴾ . ﴿والمُتصدقين والمُتصدقات﴾.

وقد وصف ﷺ البخيل والكريم برجلين عليهما جُبَّتان، فلا يزال الكريم يُعطي ويبذل، فتتوسَّع عليه الجبَّة والدرع من الحديد حتى يعفو أثره، ولا يزال البخيل يمسك ويمنع، فتتقلَّص عليه، فتخنقه حتى تضيق عليه روحه! ﴿ومثلُ الذين يُنفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابلٌ فآتت أُكلها ضعفين فإن لم يُصبها وابلٌ فطلٌ﴾ . وقال سبحانه وتعالى: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عُنُقك﴾ .

إن غلَّ الروح جزء من غلِّ اليد، وإن البخلاء أضيق الناس صدوراً وأخلاقاً؛ لأنهم بخلوا بفضل الله عز وجل، ولو علموا أن ما يعطونه الناس إنما هو جلب للسعادة، لَسارعوا إلى هذا الفعل الخيِّر. ﴿إن تُقرضوا اللهَ قرضا حسنا يُضاعفهُ لكُم ويغفر لكُم﴾ .

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ومن يُوق شُحَّ نفسه فأولئك هُمُ المُفلحُون﴾ . ﴿ومما رزقناهُم يُنفقُون﴾.

اللهُ أعطاك فابذلْ من عطيته ... فالمالُ عاريةٌ والعمرُ رحّالُ

المالُ كالماء إنْ تحبسْ سواقيَهُ ... يأسنْ وإن يجر يعذُبْ منه سَلْسالُ

يقول حاتم:

أما والـذي لا يعلـمُ الغيبَ غيـرُه ويُحيي العظامَ البيضَ وهْيَ رميمُ

لقد كنتُ أطوي البطنَ والزادُ يُشتهى مخافـةَ يـومٍ أنْ يُقـالَ لئيـمُ

إن هذا الكريم يأمر امرأته أن تستضيف له ضيوفاً، وأن تنتظر رؤاده ليأكلوا معه، ويؤانسوه ليشرح صدره، يقول:

إذا ما صنعتِ الزادَ فالتمسـي لـهُ أكـولاً فإنـي لسـتُ آكلُه وحدي

ثم يقول لها وهو يعلن فلسفته الواضحة، وهي معادلة حسابية سافرة:

أريني كريماً ماتَ من قبلِ حينـهِ فيرضـى فـؤادي أو بخـيلاً مخلّدا

هل جمْعُ المال يزيد في عمر صاحبه؟ هل إنفاقه يُنقص من أجَله؟ ليس بصحيح.

لا تغضبْ

﴿ وإمّا ينزغنّك من الشّيطان نزغٌ فاستعذ بالله إنّهُ هو السّميعُ العليمُ ﴾.

أوصى ﷺ أحد أصحابه فقال: «لا تغضبْ، لا تغضبْ، لا تغضبْ».

وغضب رجل عنده فأمره ﷺ أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم.

وقال تعالى: ﴿ وأعوذُ بك ربِّ أن يحضرُون ﴾، ﴿ إنّ الّذين اتّقوا إذا مسّهم طائفٌ من الشّيطان تذكّروا فإذا هم مبصرُون ﴾.

إن مما يورث الكدَر والهم والحزن الحِدةُ والغضبُ، وله دواء عند المصطفى ﷺ.

منها: مجاهدة الطبع على ترك الغضب. ﴿والكاظمين الغيظ﴾. ﴿وإذا ما غضبوا هم يغفرون﴾.

ومنها: الوضوء، فإن الغضب جمرة من النار، والنار يطفئها الماء. «الطهور شطر الإيمان». «الوضوء سلاح المؤمن».

ومنها: إذا كان واقفاً أن يجلس، وإذا كان جالساً أن يضطجع.

منها: أن يسكت فلا يتكلم إذا غضب.

ومنها أيضاً: أن يتذكر ثواب الكاظمين لغيظهم، العافين عن الناس، المسامحين.

ورد صباحي

وسوف أختم رسالتي بورد من الأذكار تداوم عليه كلَّ صباح، ليجلب لك السعادة، ويحفظك من شر شياطين الإنس والجن، ويكون لك عاصماً طيلة يومك حتى تُمسي.

من هذه الأدعية، وهي التي صحت عنه ﷺ:

١. «أمسينا وأمسى الملك لله، والحمد لله، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، رب أسألك خير ما في هذه

الليلة، وخير ما بعدها، وأعوذ بك من شرّ هذه الليلة وشر ما بعدها، رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر، رب أعوذ بك من عذاب في النار وعذاب في القبر».

٢. وحديث: «اللهم عالم الغيب والشهادة، فاطر السماوات والأرض، ربّ كلّ شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي، وشرّ الشيطان وشركه، وأن اقترف على نفسي سوءاً أو أجرّه إلى مسلم».

٣. وحديث: «بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم». ثلاث مرات.

٤. «اللهم إني أصبحتُ أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك أنك أنت الله لا إله إلاّ أنت، وحدك لا شريك لك، وأن محمداً عبدك ورسولك ﷺ». أربع مرات.

٥ ـ «اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم». ثلاث مرات.

٦. «أصبحنا على فطرة الإسلام، وعلى كلمة الإخلاص، وعلى دين نبينا محمد ﷺ، وعلى ملّة أبينا إبراهيم حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين». ثلاث مرات.

٧. «سبحان الله وبحمده: عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته». ثلاث مرات.

٨ ـ «رضيتُ بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً». ثلاث مرات.

٩. «أعوذ بكلمات الله التامات من شرّ ما خلق». ثلاثاً.

١٠. «اللهم بك أصبحنا، وبك أمسينا، وبك نحيا، وبك نموت، وإليك النشور».

١١. «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير». مائة مرة.

وقفة

يقول ابن القيم: «أجمع العارفون بالله على أن الخذلان: أن يكلك الله إلى نفسك، ويُخلّي بينك وبينها، والتوفيق ان لا يكلك الله إلى نفسك.

فالعبيد متقلّبون بين توفيقه وخذلانه، بل العبد في الساعة الواحدة ينال نصيبه من هذا وهذا، فيطيعه ويُرضيه، ويذكره ويشكره بتوفيقه له، ثم يعصيه ويخالفه، ويُسخطه ويغفل عنه بخذلانه له، فهو دائر بين توفيقه وخذلانه.

فمتى شهد العبد هذا المشهد وأعطاه حقّه، علم شدّة ضرورته وحاجته إلى التوفيق في كل نفس وكل لحظة وطرْفة عين، وأن إيمانه وتوحيده بيده تعالى، لو تخلّى عنه طرفة عين لَتُلّ عرش توحيده، ولخرّت سماء إيمانه على الأرض، وأن الممسك له: هو من يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه».

القرآن.. الكتاب المبارك

ومن أسباب السعادة وانشراح الصدر قراءة كتاب الله بتدبُّر وتمعُّن وتأمُّل. فإن الله وصف كتابه بأنه هدىً ونور وشفاء لما في الصدور. ووصفه بأنه رحمة. ﴿قد جاءتكم موعظةٌ من ربِّكم وشفاءٌ لما في الصُّدور﴾، ﴿أفلا يتدبَّرون القرءان أم على قُلوب أقفالُها﴾. ﴿أفلا يتدبَّرون القرءان ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾، ﴿كتابٌ أنزلناهُ إليك مُبارك ليدَّبَّروا آياته﴾.

قال بعض أهل العلم: مباركٌ في تلاوته، والعمل به، وتحكيمه والاستنباط منه.

وقال أحد الصالحين: أحسستُ بغمٍّ لا يعلمه إلا الله وبهمٍّ مقيم، فأخذت المصحف وبدأتُ أتلو، فزال عني. والله. فجأةً هذا الغمُّ. وأبدلني الله سروراً وحبوراً مكان ذلك الكدر. ﴿إن هذا القُرءان يهدي للتي هي أقوم﴾، ﴿يهدي به اللهُ من اتبع رضوانهُ سُبُل السلام﴾، ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا﴾.

لا تحرص على الشهرة

فإنَّ لها ضريبةً من الكدَر والهمِّ والغمِّ

مما يشتت القلب ويكدِّر صفاءه واستقراره وهدوءه: الحرصُ على الظهور والشهرة. وطلب رضا الناس. ﴿لا يُريدُونَ عُلُوّاً في الأرض ولا فساداً﴾.

ولذلك قال أحدهم بالمقابل:

مَنْ أخملَ النفسَ احياها وروَّحها ... ولم يبتْ طاوياً منها على ضَجَر

إنَّ الرياحَ إذا اشتدتْ عواصفُها ... فليس ترمي سوى العالي من الشجَر

«من راءى راءى الله به، ومن سمَّع سمَّع الله به». ﴿يُراءُونَ النَّاس﴾، ﴿ويُحبُّون أن يُحْمَدُوا بما لم يَفعلوا﴾، ﴿ولا تكونُوا كالذين خرجُوا من ديارهم بَطَراً ورِئاءَ النَّاس﴾.

ثوبُ الرياءِ يَشِفُّ عما تحتَهُ ... فإذا التحفْتَ بـه فإنَّك عـاري

الحياة الطيبة

من القضايا الكبرى المسلَّمة أن أعظم هذه الأسباب التي أكتبها هنا في جلب السعادة هو الإيمان بالله رب العالمين، وأن الأسباب الأخرى والمعلومات والفوائد التي جمعت إذا أُهديتْ لشخص ولم يحصل على الإيمان بالله، ولم يحُزْ ذلك الكنز، فلن تنفعه أبداً، ولا تفيده، ولا يتعب نفسه في البحث عنها.

إن الأصل الأصيل الإيمان بالله رباً، وبمحمد نبياً، وبالإسلام ديناً.

يقول إقبال الشاعر:

إنما الكافرُ حيرانٌ له الآفاقُ تيهُ وارى المؤمنَ كوناً تاهت الآفاقُ فيهُ

وأعظم من ذلك وأصدق، قول ربنا سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

وهناك شرطان:

الإيمان بالله، ثم العمل الصالح. ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً﴾.

وهناك فائدتان:

الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة، والأجر العظيم عند الله سبحانه وتعالى. ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾.

البلاء في صالحك

لا تجزع من المصائب، ولا تكترث بالكوارث، ففي الحديث: «إن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط».

عبودية الإذعان والتسليم

ومن لوازم الإيمان أن ترضى بالقدر خيره وشره، ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين﴾. إن الأقدار ليست على رغباتنا دائماً وإنما بقصورنا لا نعرف الاختيار في القضاء والقدر. فلسنا في مقام الاقتراح، ولكننا في مقام العبودية والتسليم.

يُبتلى العبد على قدر إيمانه. «أوعك كما يوعك رجلان منكم». «أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الصالحون». ﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل﴾. «من يرد الله به خيراً يصب منه». ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم﴾. ﴿ولقد فتنا الذين من قبلهم﴾.

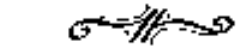

منَ الإمارة إلى التجارة

علي بن المأمون العباسي - أمير ابن خليفة - كان يسكن قصراً فخماً، وعنده الدنيا مبذولة ميسَّرة. فأطلَّ ذات يوم من شرفة القصر، فرأى عاملاً يكدح طيلة النهار، فإذا أضحى النهار توضَّأ وصلَّى ركعتين على شاطئ دجلة، فإذا اقترب الغروب ذهب إلى أهله. فدعاه يوماً من الأيام فسأله، فأخبره أن له زوجة وأختين وأمّاً يكدح عليهن، وأنه لا قوت له ولا دخل إلا ما يتكسبه من السوق، وأنه يصوم كل يوم ويُفطر مع الغروب على ما

يحصل. قال: فهل تشكو من شيء؟ قال: لا والحمد لله رب العالمين. فترك القصر، وترك الإمارة، وهام على وجهه. ووُجد ميتاً بعد سنوات عديدة. وكان يعمل في الخشب جهة خرسان؛ لأنه وجد السعادة في عمله هذا، ولم يجدها في القصر. ﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم ﴾.

يذكّرني هذا بقصة أصحاب الكهف، الذين كانوا في القصور مع الملك. فوجدوا الضيق، ووجدوا التشتُّت. ووجدوا الاضطراب؛ لأن الكفر يسكن القصر، فذهبوا، وقال قائلهم: ﴿ فأوُوا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا ﴾.

لبيتٌ تخفقُ الأرياحُ فيه ... أحبُّ إليَّ من قصرٍ منيفِ

نعمُ الخياط مع الأحباب ميدانٌ...

والمعنى: أن المحلَّ الضيق مع الحب والإيمان، ومع المودَّة يتسع ويتحمَّل الكثير. «جفاننا لضيوف الدار أجفانٌ».

من أسباب الكدر والنكد مجالسةُ الثقلاء

قال أحمد: الثقلاء أهل البدع. وقيل: الحمقى. وقيل: الثقيل: هو ثخين الطبع، المخالف في المشرب، البارد في تصرفاته. ﴿ كأنهم خشبٌ مسندةٌ ﴾. ﴿ لا يكادون يفقهون حديثا ﴾.

قال الشافعي عنهم: إن الثقيل ليجلس إليّ فأظنّ أن الأرض تميل في الجهة التي هو فيها.

وكان الأعمش إذا رأى ثقيلاً. قال: ﴿ ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون ﴾.

لا بأس بالقوم من طول ومن قصر جسم البغال وأحلام العصافير

وكان ابن تيمية إذا جالس ثقيلاً. قال: مجالسة الثقلاء حمّى الربع. ﴿ وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم ﴾ . ﴿ فلا تقعدوا معهم ﴾. «مثل الجليس السيئ كنافخ الكير». إن من أثقل الناس على القلوب العريّ من الفضائل، الصغير في المُثُل، الواقف على شهواته، المستسلم لرغباته. ﴿ فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم ﴾.

قال الشاعر:

أنتَ يا هذا ثقيلٌ وثقيلٌ وثقيلْ أنت في المنظر إنسانٌ وفي الميزان فيلْ

قال ابن القيم: إذا ابتُليت بثقيل، فسلّم له جسمك، وهاجرْ بروحك، وانتقلْ عنه وسافرْ. وملّكه أذنًا صمّاء، وعيناً عمياء، حتى يفتح الله بينك وبينه. ﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فُرُطا ﴾.

إلى أهل المصائب

في الحديث الصحيح: «من قبضتُ صفيَّهُ من أهل الدنيا ثم احتسبه عوضتُه منه الجنة». رواه البخاري.

وكانتْ فسي حيساتِكَ لسي عظسةٌ ... فانتَ اليسومَ اوعسظ منسك حيّاً

وفي الحديث الصحيح: «مَنْ ابتليتُه بحبيبتيه (أي عينيه) عوضتُه منهما الجنة». «فإنها لا تعمى الأبصارُ ولكن تعمى القُلُوبُ التي في الصُّدُور﴾.

وفي حديث صحيح: «إن الله ـ عز وجل ـ إذا قبض ابن العبد المؤمن، قال للملائكة: قبضتم ابن عبدي المؤمن؟ قالوا: نعم. قال: قبضتم ثمرة فؤاده؟ قالوا: نعم. قال: ماذا قال عبدي؟ قالوا: حمدك واسترجع. قال: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة، وسمُّوه بيت الحمد». رواه الترمذي.

وفي الأثر: يتمنى أناس يوم القيامة أنهم قُرِضوا بالمقارض، لِما يرَوْن من حسن عُقبى وثواب المصابين. ﴿إنما يُوفَّى الصابرُون أجرَهُم بغيْر حساب﴾، ﴿سلامٌ عليكُم بما صبرتُم﴾، ﴿ربَّنا أفرِغْ علينا صبْرًا﴾، ﴿واصبرْ وما صبْرُك إلا بالله﴾، ﴿فاصبرْ إنَّ وعْدَ الله حقٌّ﴾.

وفي الحديث: «إن عِظَم الجزاء من عِظَم البلاء، وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرِّضا، ومن سخط فله السخط». رواه الترمذي.

إن في المصائب مسائل: الصبر والقدر والأجر. وليعلم العبد أن الذي أخذ هو الذي أعطى. وأن الذي سلب هو الذي منح. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾.

وما المالُ والأهلونَ إلا ودائعٌ ولا بدَّ يوماً أن تُردَّ الودائعُ

مشاهد التوحيد

إن من مشاهد التوحيد عند الأذيَّة (استقبال الأذى من الناس) أموراً:

أولها **مشهد العفو**: وهو مشهد سلامة القلب، وصفائه ونقاءه لمن آذاك، وحبُّ الخير وهي درجة زائدة، وإيصال الخير والنفع له، وهي درجة أعلى وأعظم، فهي تبدأ بكظم الغيظ، وهو: أن لا تُؤذي من آذاك، ثم العفو، وهو أن تسامحه، وأن تغفر له زلَّته، والإحسان، وهو: أن تبادله مكان الإساءة منه إحساناً منك. ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾. ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾.

وفي الأثر: «إن الله أمرني أن أصل من قطعني، وأن أعفو عمن ظلمني، وأن أُعطي من حرمني».

و**مشهد القضاء**: وهي أن تعلم أنه ما آذاك إلا بقضاء من الله وقدر. فإن العبد سبب من الأسباب، وأن المقدر والقاضي هو الله. فتسلَّم وتُذعن لمولاك.

ومشهد الكفارة: وهي أن هذا الأذى كفارة من ذنوبك وحطٌّ من سيئاتك، ومحوٌ لزلاّتك، ورفعة لدرجاتك، ﴿فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرنّ عنهم سيئاتهم﴾.

من الحكمة التي يؤتاها كثير من المؤمنين، نزع فتيل العداوة، ﴿ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليٌّ حميم﴾. «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده».

أي: أن تلقى من أذاك ببشْر وبكلمة لينة، وبوجه طليق، لتنزع منه أتون العداوة، وتطفئ نار الخصومة، ﴿وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إنّ الشيطان ينزغ بينهم﴾.

كُنْ رِبْقَ البِشْرِ إنّ الحُرَّ شيمتُهُ ... صحيفةٌ وعليها البِشْرُ عنوانُ

ومن مشاهد التوحيد في أذى مَن يؤذيك:

مشهد معرفة تقصير النفس: وهو أن هذا لم يُسلَّط عليك إلا بذنوب منك أنت. ﴿أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم﴾، ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾.

وهناك مشهد عظيم، وهو مشهدٌ تحمدُ الله عليه وتشكره، وهو: أن جعلك مظلوماً لا ظالماً.

وبعض السلف كان يقول: اللهم اجعلني مظلوماً لا ظالماً. وهذا كابْني آدم، إذ قال خيْرُهما: ﴿لئن بسطت إليّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله ربّ العلمين﴾.

وهناك مشهد لطيف آخر، وهو: **مشهد الرحمة** وهو: أن ترحم من آذاك، فإنه يستحق الرحمة، فإن إصراره على الأذى، وجرأته على مجاهرة الله بأذية مسلم: يستحق أن ترقَّ له، وأن ترحمه، وأن تنقذه من هذا. «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً».

ولما آذى مِسْطَح أبا بكر في عِرْضه وفي ابنته عائشة، حلف أبو بكر لا ينفق على مسطح، وكان فقيراً ينفق عليه أبو بكر، فأنزل الله: ﴿ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾. قال أبو بكر: بلى أحب أن يغفر الله لي، فأعاد له النفقة وعفا عنه.

وقال عيينة بن حصن لعمر: هيه يا عمر؟ والله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم فينا بالعدل، فهمّ به عمر، فقال الحرُّ بن قيس: يا أمير المؤمنين، إن الله يقول: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾، قال: فوالله ما جاوزها عمر، وكان وقَّافاً عند كتاب الله.

وقال يوسف لإخوته: ﴿لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين﴾.

وأعلنها ﷺ في الملأ فيمن آذاه وضرده وحاربه من كفار قريش، قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء». قالها يوم الفتح، وفي الحديث: «ليس الشديد بالصُّرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب».

قال ابن المبارك:

إذا صاحبت قوماً أهل وُدٍّ ... فكُن لهمُ كذي الرّحم الشفيق

ولا تأخذْ بزلّة كلّ قوم ... فتبقى في الزمان بلا رفيق

قال بعضهم: موجود في الإنجيل: اغفر لمن أخطأ عليك مرةً سبعَ مرات. ﴿فمن عفا وأصلح فأجرُهُ على الله﴾.

أي: من أخطأ عليك مرة فكرّرْ عليه العفو سبع مرات. ليسلم لك دينك وعرضك. ويرتاح قلبك. فإن القصاص من أعصابك ومن دمك. ومن توملك ومن راحتك ومن عرضك. وليس من الآخرين.

قال الهنود في مثلٍ لهم: «الذي يقهر نفسه: أشجع من الذي يفتح مدينة . ﴿إنّ النّفس لأمّارةٌ بالسُّوء إلاّ ما رحم ربي﴾.

وقفة

«أما دعوة ذي النون. فإن فيها من كمال التوحيد والتنزيه للرب تعالى. واعتراف العبد بظلمه ودنيه. ما هو من أبلغ أدوية الكرْب والهمّ والغم. وأبلغ الوسائل إلى الله سبحانه في قضاء الحوائج. فإن التوحيد والتنزيه يتضمّنان إثبات كلّ كمال لله. وسلبَ كلّ نقص وعيب وتمثيل عنه.

والاعتراف بالظلم يتضمّن إيمان العبد بالشرع والثواب والعقاب، ويُوجب انكسارَه ورجوعه إلى الله، واستقالته عثرتَه. والاعتراف بعبوديته وافتقاره إلى ربه. فهاهنا أربعة أمور قد وقع التوسّل بها: التوحيد، والتنزيه، والعبودية، والاعتراف».

﴿ وبشّر الصابرين ﴿١٥٥﴾ الذين إذا أصابتهم مُصيبةٌ قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ﴿١٥٦﴾ أولئك عليهم صلواتٌ من ربهم ورحمةٌ وأولئك هُمُ المُهتدون ﴾.

اعتنِ بالظاهر والباطن

صفاء النفس بصفاء الثوب، وهنا أمر لطيف وشيء شريف، وهو أن بعض الحكماء يقول: من اتسخ ثوبه، تكدّرت نفسه. وهذا أمر ظاهر.

وكثير من الناس يأتيه الكدَر بسبب اتساخ ثوبه، أو تغيُّر هندامه، أو عدم ترتيب مكتبته، أو اختلاط الأوراق عنده، أو اضطراب مواعيده وبرنامجه اليومي، والكَون بُني على النظام، فمن عرف حقيقة هذا الدين، علم أنه جاء لتنظيم حياة العبد، قليلها وكثيرها، صغيرها وجليلها، وكل شيء عنده بحسبان. ﴿ ما فرّطنا في الكتاب من شيءٍ ﴾. وفي حديث عند الترمذي: «**إن الله نظيف يحب النظافة**».

وعند مسلم في الصحيح: «**إن الله جميلٌ يحب الجمال**».

وفي حديث حسن: «**تجمّلوا حتى تكونوا كأنكم شامة في عيون الناس**».

يمشون في الحلل المضاعف نسجها مشي الجمال إلى الجمال البزّل

وأول الجمال: الاهتمام بالغسل. وعند البخاري: «حقٌ على المسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام يوماً، يغسل فيه رأسه وجسمه».

هذا على أقل تقدير، وكان بعض الصالحين يغتسل كل يوم مرة، كعثمان ابن عفان فيما ورد عنه. «هذا مغتسلٌ باردٌ وشرابٌ».

ومنها خصال الفطرة: كإعفاء اللحية، وقصّ الشارب، وتقليم الأظافر، وأخذ الشعر الزائد من الجسم، والسواك، والطِّيب، وتخليل الأسنان، وتنظيف الملابس، والاعتناء بالمظهر. فإن هذا مما يوسِّع الصدر ويفسح الخاطر، ومنها لُبس البياض. «البسوا البياض، وكفِّنوا فيه موتاكم».

رقاق النعال طيبا حُجزاتهم يُحيَّون بالرَّيحان يوم السباسب

وقد عقد البخاري باب: لبس البياض: «إن الملائكة تنزل بثياب بيض عليهم عمائم بيض».

ومنها ترتيب المواعيد في دفتر صغير، وتنظيم الوقت، فوقتٌ للقراءة، ووقت للعبادة، ووقت للمطالعة، ووقت للراحة. «لكلِّ أجلٍ كتابٌ». «وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزِّله إلا بقدرٍ معلوم».

في مكتبة الكونجرس لوحة مكتوب عليها: الكون بُني على النظام، وهذا صحيح. ففي الشرائع السماوية الدعوة إلى التنظيم والتنسيق والترتيب، وأخبر - سبحانه وتعالى - أن الكون ليس لهواً ولا عبثاً، وأنه بقضاء وقدر، وأنه بترتيب وبحسبان: «الشمس والقمر بحسبان»، «لا الشمس ينبغي لها

أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون ». « والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ». « وجعلنا الليل والنهار ءايتين فمحونا ءاية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا ». « ربنا ما خلقت هذا باطلا ». « وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين » لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين ».

« وقل اعملوا »:

كان حكماء اليونان إذا أرادوا معالجة المصاب بالأوهام والقلق والأمراض النفسية: يجبرونه على العمل في الفلاحة والبساتين. فما يمرُّ وقتٌ قصير إلا وقد عادت إليه عافيته وطمأنينته. « فامشوا في مناكبها ». « وقل اعملوا ».

إن أهل الأعمال اليدوية هم أكثر الناس راحة وسعادة وبسطة بال. وانظر إلى هؤلاء العمال كيف يملكون من سَعة البال وقوة الأجسام، بسبب حركتهم ونشاطهم ومزاولاتهم. **واعوذ بك من العجز والكسل**.

التجئ إلى الله

الله: هو الاسم الجليل العظيم، هو أعرف المعارف. فيه معنىً لطيف، قيل: هو من أله، وهو الذي تألهه القلوب، وتحبه، وتسكن إليه، وترضى به، وتركن إليه. ولا يمكن للقلب أبداً أن يسكن أو يرتاح أو يطمئنّ لغيره

سبحانه. ولذلك علّم ﷺ فاطمة ابنته دعاء الكرب: «الله، الله ربي لا أشرك به شيئاً». وهو حديث صحيح. ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾، ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾. ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾. ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾.

عليه توكَّلتُ

ومن أعظم ما يُضفي السعادة على العبد ركونُه إلى ربه، وتوكُّله عليه، واكتفاؤه بولايته ورعايته وحراسته. ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾. ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾. ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

أجمَعُوا على ثلاثة

طالعت الكتب التي تعتني بمسألة القلق والاضطراب، سواء كانت لسلفنا من محدِّثين وأدباء ومربِّين ومؤرِّخين أو لغيرهم، مع النشرات والكتب الشرقية والغربية المترجمة، والدوريات والمجلاَّت، فوجدتُ الجميع مجمعين على ثلاثة أسس لمن أراد الشفاء والعافية وانشراح الصدر، وهي:

أولاً: الاتصال بالله عز وجل، وعبوديته، وطاعته واللجوء إليه، وهي مسألة الإيمان الكبرى. ﴿ **فاعبده واصطبر لعبادته** ﴾ .

الثاني: إغلاق ملف الماضي، بمآسيه ودموعه، وأحزانه ومصائبه، وآلامه وهمومه، والبدء بحياة جديدة مع يوم جديد .

الثالث: ترك المستقبل الغائب، وعدم الاشتغال به والانهماك فيه، وترك التوقعات والانتظارات والتوجسات، وإنما العيش في حدود اليوم فحسب.

قال عليٌ: إياكم وطول الأمل، فإنه يُنسي. ﴿ **وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون** ﴾.

إياك وتصديق الأراجيف والشائعات، فإن الله قال عن أعدائه: ﴿ **يحسبون كل صيحة عليهم** ﴾.

وعرفتُ أناساً من سنوات عديدة، وهم ينتظرون أموراً ومصائب وحوادث وكوارث لم تقع، ولا يزالون يُخوّفون أنفسهم وغيرهم منها، فسبحان الله ما أنكد عيشهم!! ومثل هؤلاء كالسجين المعذّب عند الصينيين، فإنهم يجعلونه تحت أنبوب يقطر على رأسه قطرة من الماء في الدقيقة الواحدة، فيبقى هذا السجين ينتظر كلّ قطرة ثم يصيبه الجنون، ويفقد عقله. وقد وصف الله أهل النار فقال: ﴿ **لا يُقضى عليهم فيموتوا ولا يُخفف عنهم من عذابها** ﴾ ، ﴿ **لا يموتُ فيها ولا يحيى** ﴾ ، ﴿ **كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها** ﴾.

أحلْ ظالمك على الله

إلى الديّـــان يـوم الحشْـر نمضي وعنـــد اللـــه تجتمـــعُ الخصـــومُ

ويكفي العبدَ إنصافاً وعدلاً أنه ينتظر يوماً يجمع الله فيه الأولين والآخـرين، لا ظلم في ذلك اليوم، والحَكَم هو الله عز وجل، والشـهود الملائكة. ﴿ ونضعُ الموازين القســط ليوم القيامة فلا تُظلمُ نفسٌ شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ﴾.

كسرى وعجوز

وذكر بُزرجمهر حكيم فارس: أن عجوزاً فارسية كان عندها دجاج في كوخ مجاور لقصر كسرى الحاكم، فسافرت إلى قرية أخرى، فقالت: يا ربّ أستودعك الدجاج، فلما غابت، عدا كسرى على كوخها ليوسع قصرَه وبستانه، فذبح جنودُه الدجاج، وهدموا الكوخ، فعادت العجوز فالتفتت إلى السماء وقالت: يا ربّ، غبتُ أنا فأين أنت؟ فأنصفها الله وانتقم لها، فعدا ابن كسرى على أبيه بالسكين فقتله على فراشه. ﴿ أليس اللهُ بكافٍ عبدهُ ويُخوّفونك بالذين من دُونه ﴾. ليتنا جميعاً نكون كخيْرَي ابنَي آدم القائل: ﴿ لئن بسطت إليَّ يدك لتقتلني ما أنا بباسطٍ يدي إليك لأقتلك ﴾ .. كن عبدالله المقتول، ولا تكن عبدالله القاتل.. إن عند المسلم مبدأ ورسالة وقضية أعظم من الانتقام والتشفي والحقد والكراهية.

مركب النقص قد يكون مركب كمال

﴿ لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم ﴾ . بعض العباقرة شقوا طريقهم بصمود. لإحساسهم بنقص عارض. فكثير من العلماء كانوا موالي، كعطاء، وسعيد بن جبير، وقتادة. والبخاري، والترمذي. وأبي حنيفة.

وكثير من أذكياء العالم وبحور الشريعة أصابهم العمى، كابن عباس، وقتادة، وابن أم مكتوم، والأعمش، ويزيد بن هارون.

ومن العلماء المتأخرين: الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، والشيخ عبدالله بن حميد والشيخ عبدالعزيز بن باز. وقرأتُ عن أذكياء ومخترعين وعباقرة عربيين كثير كان بهم عاهات. فهذا أعمى، وذاك أصمُّ، وآخر أعرج، وثان مُقْعَد. ومع ذلك أثَّروا في التاريخ، وأثروا في حياة البشرية بالعلوم والاختراعات والكشوف. ﴿ ويجعل لكم نورا تمشون به ﴾.

ليست الشهادة العلمية الراقية كلَّ شيء. لا تهتمَّ ولا تغتمَّ ولا تضيقْ ذرْعاً لأنك لم تنل الشهادة الجامعية. أو الماجستير. أو الدكتوراه. فإنها ليست كل شيء. بإمكانك أن تؤثِّر وأن تلمع وأن تقدِّم للأمة خيراً كثيراً. ولو لم تكن صاحب شهادة علمية. كم من رجل شهير خطير نافع لا يحمل شهادة. إنما شقَّ طريقه بعصاميَّته وطموحه وهمته وصموده. نظرتُ في عصرنا الحاضر فرأيتُ كثيراً من المؤثِّرين في العلم الشرعي والدعوة والوعي والتربية والفكر والأدب. لم يكن عندهم شهادات عالية. مثل الشيخ ابن باز، مالك بن نبي. العقاد. الطنطاوي. أبي زهرة. المودودي. الندوي. وجمع كثير.

ودونك علماء السلف، والعباقرة الذين مرُّوا في القرون المفضَّلة.

نفسٌ عصامٌ سوَّدتْ عِصاميا وعلَّمتْهُ الكرَّ والإقداما

وعلى الضدِّ من ذلك آلاف الدكاترة في العالم طولاً وعرضاً. ﴿هل تُحِسُّ منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا﴾.

القناعة كنز عظيم، وفي الحديث الصحيح: «ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس».

ارض بأهلك، بدخلك، بمركبك، بأبنائك، بوظيفتك، تجد السعادة والطمأنينة.

وفي الحديث الصحيح: «الغنى غنى النفس».

وليس بكثرة العَرَض ولا بالأموال ولا بالمنصب. لكن راحة النفس، ورضاها بما قسم الله.

وفي الحديث الصحيح: «إنَّ الله يحبُّ العبدَ الغني التقي الخفي». وحديث: «اللهمَّ اجعل غناه في قلبه».

قال أحدهم: ركبتُ مع صاحب سيارة من المطار، متوجِّهاً إلى مدينة من المدن، فرأيتُ هذا السائق مسروراً جذلاً، حامداً لله وشاكراً، وذاكراً لمولاه، فسألتُه عن أهله فأخبرني أن عنده أسرتين، وأكثر من عشرة أبناء، ودخله في الشهر ثمانمائة ريال فحسب، وعنده غرف قديمة يسكنها هو وأهله، وهو مرتاح البال، لأنه راضٍ بما قسم الله له.

قال: فعجبتُ حينما قارنتُ بين هذا وبين أناس يملكون مليارات من الأموال والقصور والدور، وهم يعيشون ضنكاً من المعيشة. فعرفتُ أن السعادة ليست في المال.

عرفتُ خبر تاجر كبير، وثري شهير عنده آلاف الملايين وعشرات القصور والدور، وكان ضيقَ الخُلق، شرسَ التعامل، ثائرَ الطبع، كاسفَ البال، مات في غربة عن أهله، لأنه لم يرضَ بما أعطاه الله إياه. ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ * كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا﴾.

من معالم راحة البال عند العربي القديم أن يخلو بنفسه في الصحراء، وينفرد عن الأحياء، يقول أحدهم:

عوى الذئبُ فاستأنستُ بالذئب إذ عوى ... وصوتَ إنسانٌ فكدتُ أطيرُ

وقد خرج أبو ذر إلى الربذة، وقال سفيان الثوري: وددتُ أني في شِعْب من الشعاب لا يعرفني أحد! وفي الحديث: «**يوشك أن يكون خير مال المسلم: غنم يتبع بها مواقع القطر وشعف الجبال، يفرُّ بدينه من الفتن**».

فإذا حصلت الفتن كان الأسلم للعبد: الفرار منها، كما فعل ابن عمر وأسامة بن زيد ومحمد بن مسلمة لما قُتل عثمان.

عرفتُ أناساً ما أصابهم الفقر والكدَر وضيق الصدر إلا بسبب بعدهم عن الله عز وجل. فتجد أحدهم كان غنيًا ورزقه واسع، وهو في عافية من ربه، وفي خير من مولاه، فأعرض عن طاعة الله، وتهاون بالصلاة، واقترف كبائر الذنوب، فسلبه ربه عافية بدنه، وسعة رزقه، وابتلاه بالفقر والهمّ

وانعم. فاصبح من نكد إلى نكد، ومن بلاء إلى بلاء. ﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ﴾، ﴿ ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾، وقوله تعالى: ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير ﴾، ﴿ وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا ﴾.

وددت أن عندي وصفة سحرية ألقيها على همومك وغمومك وأحزانك. فإذا هي تلقف ما يأفكون. لكن من أين لي؟! ولكن سوف أخبرك بوصفة طبية من عيادة علماء الملة وروّاد الشريعة. وهي: اعبد الخالق، وارضَ بالرزق، وسلّم بالقضاء، وازهد في الدنيا، وقصّر الأمل. انتهى.

عجبت لعالم نفساني شهير أمريكي. اسمه «وليم جمس». هو أبو علم النفس عندهم. يقول: إننا نحن البشر نفكر فيما لا نملك، ولا نشكر الله على ما نملك، وننظر إلى الجانب المأسوي المظلم في حياتنا، ولا ننظر إلى الجانب المشرق فيها. ونتحسّر على ما ينقصنا، ولا نسعد بما عندنا. ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾، «واعوذ بالله من نفس لا تشبع».

وفي الحديث: «من أصبح والآخرة همّه، جمع الله شمله، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن اصبح والدنيا همّه، فرّق الله عليه شمله، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلاّ ما كُتب له». ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون ﴾.

وأخيراً اعترفوا

«سخاروف» عالم روسي، نفي إلى جزيرة سيبيريا، لأفكاره المخالفة للإلحاد، والكفر بالله، فكان يُنادي أن هناك قوة فاعلة مؤثرة في العالم، خلاف ما يقوله الشيوعيُّون: لا إله والحياة مادة، ومعنى هذا: أن النفوس مفطورة على التوحيد. ﴿فطرت الله التي فطر الناس عليها﴾.

إن الملحد لا مكان له هنا وهناك؛ لأنه منكوس الفطرة، خاوي الضمير، مبتور الإرادة، مخالف لمنهج الله في الأرض.

قابلتُ أستاذاً مسلماً في معهد الفكر الإسلامي بواشنطن قبل سقوط الشيوعية - أو الاتحاد السوفيتي - بسنتين، فذكر لي هذه الآية: ﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون﴾ وقال: سوف تتم هذه الآية فيهم: ﴿فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم﴾. ﴿فأرسلنا عليهم سيل العرم﴾. ﴿فكُلاً أخذنا بذنبه﴾ ﴿فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون﴾.

لحظاتٌ مع الحمقى

للزيَّات في مجلة «الرسالة» كلامٌ عجيب، ومقالة رائعة في وصف الشيوعية، حينما أرسلوا سفينة الفضاء إلى القمر وعادت. فكتب أحد روَّادها مقالاً في صحيفة «البرافدا» الروسية، يقول فيها: صعدنا إلى السماء فلم نجد هناك إلهاً ولا جنة ولا ناراً ولا ملائكة.

فكتب الزيَّات مقالة يقول فيها: «عجباً لكم أيها الحُمُر الحمقى!! أتظنون أنكم سوف ترَوْن ربكم على عرشه بارزاً، وسوف ترون الحور العين في الجنات يمشين في الحرير، وسوف تسمعون رقرقة الكوثر، وسوف تشمُّون رائحة المعذَّبين في النار، إنكم إن ظننتم ذلك خسرتم خسرانكم الذي تعيشونه، ولكن لا أفسر ذلك التيه والضلال والانحراف والحمق إلا بالشيوعية والإلحاد الذي في رؤوسكم. إن الشيوعية يومٌ بلا غد، وأرضٌ بلا سماء، وعملٌ بلا خاتمة، وسعي بلا نتيجة...» إلى آخر ما قال. ﴿أم تحسبُ أنَّ أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هُم إلاَّ كالأنعام بل هُم أضلُّ سبيلا﴾، ﴿لهُم قلوبٌ لا يفقهُون بها ولهُم أعينٌ لاَّ يُبصرُون بها ولهُم آذانٌ لاَّ يسمعُون بها﴾، ﴿ومن يُهن اللهُ فما لهُ من مُكرم﴾، ﴿أعمالُهم كسرابٍ بقيعة﴾، ﴿أعمالُهم كرمادٍ اشتدَّت به الرِّيحُ في يوم عاصف﴾.

ومن كلام العقاد في كتاب «مذهب ذوي العاهات»، وهو ينهد غاضباً على هذه الشيوعية، وعلى هذا الإلحاد السخيف الذي وقع في العالم. كلامٌ ما معناه: إن الفطرة السويَّة تقبل هذا الدين الحق، دين الإسلام. أما

المعاقون عقليًا والمتخلفون وأهل الأفكار العفنة القاصرة. فإنها يمكن أن ترتكب الإلحاد. ﴿وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون﴾.

إن الإلحاد ضربة قاصمة للفكر. وهو أشبه بما يُحدثه الأطفال في عالمهم. وهو خطيئة ما عرف الدهر أكبر منها خطيئة. ولذلك قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أفي الله شكٌ...﴾!!

يعني: أن الأمر لا شكَّ فيه. وهو ظاهر. بل ذكر ابن تيمية: أن الصانع - يعني: الله سبحانه وتعالى - لم ينكره أحد في الظاهر إلا فرعون. مع العلم أنه معترف به في باطنه. وفي داخله. ولذلك يقول موسى: ﴿قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا ربُّ السماوات والأرض بصائر وإني لأظنك يا فرعون مثبورا﴾. ولكن فرعون في آخر المطاف صرخ بما في قلبه: ﴿آمنتُ أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين﴾.

الإيمان طريق النجاة

في كتاب «الله يتجلى في عصر العلم». وكتاب «الطب محراب الإيمان». حقيقة وهي: وجدتُ أن أكثر مُعين للعبد في التخلُّص من همومه وغمومه. هو الإيمان بالله عز وجل. وتفويض الأمر إليه. ﴿وأفوض أمري إلى الله﴾. ﴿ما أصاب من مُصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه﴾.

من يعلم أن هذا بقضاء وقدر. يهد قلبه للرضا والتسليم. أو نحو ذلك. ﴿ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾.

وأعلمُ أنني لم تُصبني مصيبةٌ ... من الله إلا قد أصابتْ فتىً قبلي

إن كُتّاب الغرب اللامعين، مثل «كرسي مريسون»، و«الكسس كاريل»، و«دايل كارنيجي»، يعترفون أن المنقذ للغرب المادي المتدهور في حياتهم إنما هو الإيمان بالله عز وجل. وذكروا أن السبب الكبير والسرّ الأعظم في حوادث الانتحارات التي أصبحت ظاهرة في الغرب. إنما هو الإلحاد والإعراض عن الله - عز وجل - رب العالمين. ﴿لهم عذابٌ شديدٌ بما نسوا يوم الحساب﴾. ﴿ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق﴾.

ذكرتْ جريدة «الشرق الأوسط» في عددها بتاريخ ١٤١٥/٤/٢١هـ، نقلاً عن مذكرات عقيلة الرئيس الأمريكي السابق «جورج بوش»: أنها حاولت الانتحار أكثر من مرة. وقادت السيارة إلى الهاوية تطلب الموت مظانّه، وحاولت أن تختنق.

لقد حضر قزمان معركة أُحد يقاتل فيها مع المسلمين فقاتل قتالاً شديداً، قال الناس: هنيئًا له الجنة. فقال ﷺ: «إنه من أهل النار»!! فاشتدت به جراحه فلم يصبر، فقتل نفسه بالسيف فمات. ﴿الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾.

وهذا معنى قوله سبحانه وتعالى: ﴿ومن أعرض عن ذكري فإنّ له معيشة ضنكا﴾.

إن المسلم لا يقدم على مثل هذه الأمور، مهما بلغت الحال، إن ركعتين بوضوء وخشوع وخضوع كفيلتان أن تُنهيا كل هذا الغمّ والكدر والهم والإحباط. ﴿ومن آناء الليل فسبّح وأطراف النهار لعلك ترضى﴾.

إن القرآن يتساءل عن هذا العالم، وعن انحرافه وضلاله فيقول: ﴿ فما لهم لا يؤمنون ﴾؟! ما هو الذي يردُّهم عن الإيمان. وقد وضُحت المحجة، وقامت الحجة، وبان الدليل، وظهر الحق، وسطع البرهان. ﴿ سنُريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيّن لهم أنه الحقُّ ﴾. يتبين لهم أن محمداً ﷺ صادق، وأن الله إله يستحق العبادة، وأن الإسلام دين كامل يستحق أن يعتنقه العالم. ﴿ ومن يُسلم وجهه إلى الله وهو مُحسنٌ فقد استمسك بالعُروة الوُثقى ﴾.

حتى الكُفَّار درجات

في مذكرات الرئيس «جورج بوش» بعنوان «سيرة إلى الأمام»: ذكر أنه حضر جنازة «برجنيف»، رئيس الاتحاد السوفيتي في موسكو. قال: فوجدتها جنازة مظلمة قاتمة، ليس فيها إيمان ولا روح. لأن «بوش» نصراني وأولئك ملاحدة. ﴿ ولتجدنَّ أقربهم مَّودَّةً للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ﴾. فانظرْ كيف أدرك هذا مع ضلاله انحرافَ أولئك، لأن الأمر أصبح نسبياً. فكيف لو عرف بوش الإسلام، دين الله الحق؟! ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾.

وذكّرني هذا بمقالة لشيخ الإسلام ابن تيمية، وهو يتحدّث عن أحد البطاحية (الفرق الضالّة الصوفية المنحرفة). يقول هذا البطاحي لابن تيمية: ما لكم يا ابن تيمية إذا جئنا إليكم - يعني أهل السنة - بارت كرامتنا وبطلت، وإذا ذهبنا إلى التتر المغول الكفار ظهرت كرامتنا؟ قال ابن تيمية: أتدري ما مثلنا ومثلكم ومثلُ التتار؟ أما نحن فخيول بيض، وأنتم بُلق، والتتر سُود، فالأبلق إذا دخل بين السود أصبح أبيض، وإذا خالط البيض أصبح أسود، فأنتم عندكم بقية من نور، إذا دخلتم مع أهل الكفر ظهر هذا النور، وإذا أتيتم إلينا ونحن أهل النور الأعظم والسنة، ظهر ظلامكم وسوادكم، فهذا مثلكم ومثلنا ومثل التتار. ﴿وأمّا الذين ابيضّتْ وُجوهُهُمْ ففي رحْمة الله هُمْ فيها خالدُون﴾.

إرادة فولاذية

ذهب طالب من بلاد الإسلام يدرس في الغرب، وفي لندن بالذات. فسكن مع أسرة بريطانية كافرة، ليتعلّم اللغة، فكان متديّناً وكان يستيقظ مع الفجر الباكر، فيذهب إلى صنبور الماء ويتوضأ، وكان ماءً بارداً، ثم يذهب إلى مصلاّه فيسجد لربه ويركع ويسبح ويحمد. وكانت عجوزٌ في البيت تلاحظه دائماً، فسألته بعد أيام: ماذا تفعل؟ قال: أمرني ديني أن أفعل هذا. قالت: فلو أخّرت الوقت الباكر حتى ترتاح في نومك ثم تستيقظ. قال: لكنّ ربي لا يقبل مني إذا أخّرت الصلاة عن وقتها. فهزّت رأسها. وقالت: إرادة تكسر الحديد!! ﴿رجالٌ لاّ تُلهيهِمْ تجارةٌ ولا بيْعٌ عن ذكر الله وإقام الصّلاة﴾.

إنها إرادة الإيمان، وقوة اليقين، وسلطان التوحيد. هذه الإرادة هي التي أوحت إلى سحرة فرعون وقد آمنوا بالله رب العالمين في لحظة الصراع العالمي بين موسى وفرعون. قالوا لفرعون: ﴿ قالُوا لَن نُؤْثِرَكَ على ما جاءنا من البيِّنات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض ﴾. وهو التحدّي الذي ما سُمع بمثله. وأصبح عليهم أن يؤدّوا هذا الرسالة في هذه اللحظة، وأن يبلغوا الكلمة الصادقة القوية إلى هذا الملحد الجبار.

لقد دخل حبيب بن زيد إلى مسيلمة يدعوه إلى التوحيد، فأخذ مسيلمة يقطّعه بالسيف قطعةً قطعةً. فما أنَّ ولا صاحَ ولا اهتزَّ حتى لقي ربه شهيداً. ﴿ والشُّهداءُ عند ربِّهم لَهُم أجرُهُم ونُورُهُم ﴾.

ورُفع خُبيب بن عدي على مشنقة الموت، فأنشد:

ولستُ أبالي حينَ أُقتَلُ مسلماً ... على أيِّ جنبٍ كانَ في الله مصرعي

فطرة الله

إذا اشتدَّ الظلام وزمجر الرعْد وقصفت الريح، استيقظت الفطرة. ﴿ جاءتْها ريحٌ عاصفٌ وجاءَهُمُ المَوجُ من كُلِّ مكانٍ وظنُّوا أنَّهُم أُحيطَ بهِم دعَوُا اللّهَ مُخلصينَ لهُ الدِّينَ ﴾. غير أن المسلم يدعو ربه في الشدّة والرخاء، والسراء والضراء: ﴿ فلولا أنَّهُ كانَ من المُسبِّحينَ * للَبِثَ في بطنِه إلى يومِ يُبعثُونَ ﴾. إن الكثير يسأل الله وقتَ حاجته وهو متضرّع إلى ربّه. فإذا تحقّق مطلبه أعرض ونأى بجانبه. والله عز وجل لا يُلعَب عليه كما يُلعب

على الولدان. ولا يُخادَع كما يُخادَع الطفل. ﴿يخادعون الله وهو خادعهم﴾. إن الذين يلتجئون إلى الله في وقت انصنائع ما هم إلا تلاميذ لذاك الضالّ المنحرف فرعون. الذي قيل له بعد فوات الأوان: ﴿آلآن وقد عصيت قبلُ وكنت من المُفسدين﴾.

سمعتُ هيئة الإذاعة البريطانية تُخبر حين احتلّ العراقُ الكويت: أن تاتشر رئيسة الوزراء البريطانية السابقة كانت في ولاية كلورادو الأمريكية. فلما سمعت الخبر هُرعتْ إلى الكنيسة وسجدتْ!

ولا أفسر هذه الظاهرة إلا باستيقاظ الفطرة عند مثل هؤلاء إلى فاطرها عز وجل. مع كفرهم وضلالهم. لأن النفوس مفطورة على الإيمان به تعالى: «كلُّ مولود يُولد على الفطرة. فأبواه يهوّدانه أو ينصرانه او يمجّسانه».

لا تحزن على تأخُّر الرزق، فإنه بأجَلٍ مسمّى

الذي يستعجل نصيبه من الرزق. ويبادر الزمن. ويقلق من تأخُّر رغباته. كالذي يسابق الإمام في الصلاة. ويعلم أنه لا يسلّم إلا بعد الإمام! فالأمور والأرزاق مقدّرة. فُرغ منها قبل خلْق الخليقة. بخمسين الف سنة. ﴿أتى أمرُ الله فلا تستعجلوه﴾. ﴿وإن يُردك بخير فلا رادّ لفضله﴾.

يقول عمر: «اللّهمّ إني أعوذ بك من جَلَد الفاجر. وعَجْز الثقة». وهذه كلمة عظيمة صادقة. فلقد طُفْت بفكري في التاريخ. فوجدتُ كثيراً من

أعداء الله عز وجل، عندهم من الدأب والجلد والمثابرة والطموح: العجب العُجاب. ووجدتُ كثيراً من المسلمين عندهم من الكسل والفتور والتواكل والتخاذل: ما الله به عليم. فأدركتُ عُمق كلمة عمر - رضي الله عنه -.

انغمس في العمل النافع

إن الوليد بن المغيرة وأمية بن خلف والعاص بن وائل أنفقوا أموالهم في محاربة الرسالة ومجابهة الحق ﴿فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون﴾. ولكنّ كثيراً من المسلمين يبخلون بأموالهم. لتلا يُشاد بها منار الفضيلة، ويُبنى بها صرح الإيمان ﴿ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه﴾. وهذا جلّد الفاجر وعجز الثقة.

في مذكّرات «جولدا مائير» اليهودية، بعنوان «الحقد»: فإذا هي في مرحلة من مراحل حياتها تعمل ستّ عشرة ساعة بلا انقطاع، في خدمة مبادئها الضالّة وأفكارها المنحرفة. حتى أوجدت مع «بن جوريون» دولة، ومن شاء فلينظُر كتابها.

ورأيت آلوفاً من أبناء المسلمين لا يعملون ولو ساعةً واحدة. إنما هم في لهو وأكل وشُرب ونوم وضياع ﴿ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض﴾.

كان عمر دؤوباً في عمله ليلاً ونهاراً، قليلَ النوم. فقال أهله: ألا تنام؟ قال: لو نمتُ في الليل ضاعت نفسي. ولو نمت في النهار ضاعت رعيّتي.

في مذكرات الهالك «موشي ديان» بعنوان «السيف والحكم»: كان يطير من دولة إلى دولة، ومن مدينة إلى مدينة. نهاراً وليلاً. سرّاً وجهراً. ويحضر الاجتماعات، ويعقد المؤتمرات، ويفسّخ الصفقات، والمعاهدات، ويكتب المذكّرات. فقلت: واحسرتاه، هذا جلد إخوان القردة والخنازير، وذاك عجز كثيرٍ من المسلمين. ولكن هذا جلد الفاجر وعجز الثقة.

لو كنتَ من مازنٍ لم تستبحْ إبلي بنو اللقيطة من ذهلِ بن شيبانا

لقد حارب عمر العطالة والبطالة والفراغ، وأخرج شباباً سكنوا المسجد، فضربهم وقال: اخرجوا واطلبوا الرزق، فإن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة. إن مع الفراغ والعطالة: الوساوسَ والكدرَ والمرضَ النفسيّ، والانهيارَ العصبيَّ والهمَّ والغمَّ. وإن مع العمل والنشاط: السرورَ والحُبُورَ والسعادةَ. وسوف ينتهي عندنا القلقُ والهمُّ والغمُّ، والأمراضُ العقليَّةُ والعصبيَّةُ والنفسيَّةُ إذا قام كلٌّ بدوره في الحياة، فعملت المصانعُ، واشتغلت المعامل، وفُتحت الجمعيّاتُ الخيريّة والتعاونيّة والدعويّة، والمخيّمات والمراكز والمُلتقيات الأدبيّة، والدّورات العلميّة وغيرها.. ﴿وقُلِ اعْمَلُوا﴾، ﴿فانتشِرُوا في الأرْضِ﴾، ﴿سَابِقُوا﴾، ﴿وَسَارِعُوا﴾، «وإن نبيَّ الله داود كان يأكل من عمل يده».

وللرّاشد كتاب، بعنوان «صناعة الحياة»، تحدّث عن هذه المسألة بإسهاب، وذكر أن كثيراً من الناس لا يقومون بدورهم في الحياة.

وكثيرٌ من الناس أحياء، ولكنَّهم كالأموات. لا يُدركون سرَّ حياتهم، ولا يُقدمون لمستقبلهم ولا لأمَّتهم. ولا لأنفُسهم خيراً ﴿رضوا بأن يكونوا مع الخوالف﴾، ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله﴾.

إن المرأة السوداء التي كانت تَقُمُّ مسجد الرسول ﷺ قامت بدَوْرها في الحياة، ودخلت بهذا الدَّور الجنة ﴿ولأمةٌ مؤمنةٌ خيرٌ من مُشركةٍ ولو أعجبتكُم﴾.

وكذلك الغلام الذي صنع المنبر للرسول ﷺ أدَّى ما عليه، وكسب أجراً بهذا الأمر، لأن موهبته في النَّجارة ﴿والذين لا يجدون إلا جُهدهُم﴾.

سمحت الولاياتُ المتحدة الأمريكيَّة عام ١٩٨٥م بدخول الدُّعاة المسلمين سجونَ أمريكا، لأنَّ المجرمين والمروِّجين والقَتَلَة، إذا اهتدَوْا إلى الإسلام، أصبحوا أعضاء صالحين في مجتمعاتهم ﴿أومن كان ميتاً فأحييناهُ وجعلنا لهُ نوراً يمشي به في الناس﴾.

دعاءان اثنان عظيمان، نافعان لمن أراد السَّداد في الأمور وضبْط النفس عند الأحداث والوقائع.

الأول: حديث عليٍّ، أن الرسول ﷺ قال له: «قل: اللهمَّ اهدني وسدِّدني». رواه مسلم.

الثاني: حديث حصين بن عبيد، عند أبي داود: قال له ﷺ: «قل: اللهمَّ ألهمني رُشْدي، وقني شرَّ نفسي».

إذا لم يكنْ عونٌ من الله للفتى ... فأكثرُ ما يجنـي عليه اجتهادُهُ

التعلُّق بالحياة، وعشق البقاء، وحبُّ العيش، وكراهيةُ الموت، يُورد العبد الكدرَ وضيقَ الصدر والمَلَقَ والقلقَ والأرقَ والرَّهقَ. وقد لام الله اليهود على تعلُّقهم بالحياة الدنيا، فقال: ﴿ ولتجدنَّهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يودُّ أحدُهم لو يُعمَّرُ ألفَ سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يُعمَّر والله بصيرٌ بما يعملون ﴾.

وهنا قضايا، منها: تنكير الحياة، والمقصود: أنها أيُّ حياة، ولو كانت حياة البهائم والعجماوات، ولو كانت شخصية رخيصة فإنهم يحرصون عليها.

ومنها: اختيار لفظ: ألف سنة، لأن اليهودي كان يلقَى اليهوديَّ فيقول له: عِمْ صباحاً ألف سنة، أي: عش ألفَ سنة. فذكَر سبحانه وتعالى أنهم يريدون هذا العمرَ الطويل، ولكنْ لو عاشوه فما النهاية؟! مصيرهم إلى نارٍ تلظَّى ﴿ ولعذابُ الآخرة أخزى وهم لا يُنصرون ﴾.

من أحسن كلمات العامة: لا همَّ والله يُدعى.

والمعنى: أن هناك إلهاً في السماء يُدعى، ويُطلَب منه الخير. فلماذا تهتمّ أنت في الأرض، فإذا وكَّلت ربَّك بهمِّك، كشَفَه وأزاله ﴿ أمَّن يُجيبُ المُضطرَّ إذا دعاهُ ويكشفُ السُّوء ﴾، ﴿ وإذا سألك عبادي عنِّي فإني قريبٌ أُجيبُ دعوةَ الدَّاعِ إذا دعان ﴾.

اخلقْ بذي الصبر أن يحظى بحاجته ومُدْمِنِ القَرْعِ للأبواب أن يلجَا

في حياتك دقائقُ غالية

رأيت موقفين مُؤثّرين مُعبّرين للشيخ علي الطنطاوي في مذكّراته:

الموقف الأول: تحدّث عن نفسه وكاد يغرق على شاطئ بيروت، حينما كان يسبح فأشرفَ على الموت، وحُمِلَ مَغْمِيّاً عليه، وكان في تلك اللحظات يُذعِن لمولاه، ويودُّ لو عادَ ولو ساعةً إلى الحياة، ليجدّد إيمانَه وعملَه الصّالح، فيَصِل الإيمان عنده منتهاه.

والموقف الثاني: ذَكَر أنه قَدِم في قافلة من سوريا إلى بيت الله العتيق، وبينما هو في صحراء تبوك ضلّوا وبَقُوا ثلاثة أيام، وانتهى طعامهم وشرابهم، وأشرفوا على الموت، فقام وألقى في الجموع خطبةَ الوداع من الحياة، خطبة توحيديّة حارّةً رنّانة، بكى وأبكى الناس، وأحسّ ان الإيمان ارتفع، وأنه ليس هناك مُعين ولا مُنقذ الا الله جلّ في علاه « يسألُه من في السّماوات والأرض كلّ يوم هو في شأن ».

يقول سبحانه وتعالى: « وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين ».

ان الله يحبُّ المؤمنين الأقوياء الذين يتحدّون أعداءهم بصبر وجلادة، فلا يَهِنون، ولا يُصابون بالإحباط واليأس، ولا تنهار قواهم، ولا يستكينون للذّلّة والضّعف والفشل، بل يصمُدون ويُواصلون ويُرابطون، وهي مَضْربة إيمانهم بربّهم وبرسولهم وبدينهم. المؤمن القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير.

جُرحت أُصبُع أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ في ذات الله فقال:

هـــل أنت إلا إصبَعٌ دمـيت وفي سـبيل اللـه مـا لقـيت

ووضع أبو بكر إصبعه في ثُقْب الغار ليحمي بها الرسول ﷺ من العقرب، فلُدغ. فتفرأ عليها ﷺ فبرئت بإذن الله.

قال رجلٌ لعنترة: ما السِّرُّ في شجاعتك. وأنك تُغلب الرجال؟ قال: ضَعْ إصبعك في فمي، وخُذ إصبعي في فمك، فوضَعَها في فم عنترة. ووضع عنترةُ إصبعه في فم الرجل. وكلٌّ عضَّ إصبعَ صاحبه. فصاح الرجل من الألم، ولم يصبر. فأخرج له عنترةُ إصبعه. وقال: بهذا غلبتُ الأبطال. أي: بالصبر والاحتمال.

إن مما يُفرح المؤمن أن لُطفَ الله ورحمته وعطوفه قريبٌ منه. فيشعر برعاية الله وولايته بحَسَب إيمانه. والكائنات والأحياء والجمادات والطيور والزواحف تشعر بأن لها ربًّا خالقاً ورازقاً. ﴿وإن من شيء إلا يُسبِّحُ بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾.

يا رب حمداً ليس غيرك يحمدُ يا منْ له كلُّ الخلائق تصمدُ

عندنا، العامة وقتَ الحرث، يرمون الحبَّ بأيديهم في شقوق الأرض، ويهتفون: حبٌّ يابس، في بلد يابس. بين يديك يا فاطر السماوات والأرض ﴿أفرأيتم ما تحرثون ﴿٦٣﴾ أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون﴾. إنها نزعةُ توحيد الباري، وتوجُّه النفوس إليه، سبحانه وتعالى.

قام الخطيب المصقع عبدالحميد كشك ـ وهو أعمى ـ فلمّا علا المنبر، أخرج من جيبه سعفة نخل، مكتوبٌ عليها بنفسها: الله، بالخطّ الكوفي الجميل. ثم هتف في الجموع:

انظـــــر لتلك الشـــجرة ذات الغصـــون النضـــرة
مـــن الـــذي أنبتهـــا وزانهـــا بالخضـــرة
ذاك هـــو اللـــه الذي قدرتـــه مقتـــدرة

فأجهش الناس بالبكاء.

إنه قاطر السماوات والأرض، مرسومة آياته في الكائنات، تنطق بالوحدانيّة والصّمديّة والربوبيّة والالوهيّة «ربنا ما خلقت هذا باطلا».

من دعائم السرور والارتياح، أن تشعر أن هناك ربًا يرحم ويغفر ويتوب على من تاب. فابشر برحمة ربك التي وسعت السماوات والأرض. قال سبحانه: «ورحمتي وسعت كلّ شيء». وما أعظم لطفه سبحانه وتعالى. وفي حديث صحيح: أن أعرابيًا صلى مع رسول الله ﷺ. فلمّا أصبح في التّشهّد قال: اللهم ارحمني ومحمداً، ولا ترحم معنا أحداً. قال ﷺ: «لقد حجرت واسعاً». أي: ضيّقت واسعا. إن رحمة الله وسعت كلّ شيء «وكان بالمؤمنين رحيما». «الله أرحم بعباده من هذه بولدها».

أحرق رجل نفسه بالنار فراراً من عذاب الله عز وجل. فجمعه سبحانه وتعالى وقال له: «يا عبدي، ما حملك على ما صنعت؟ قال: يا ربّ، خفتك، وخشيت ذنوبي، فأدخله الله الجنة». حديث صحيح.

«وأمّا من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ـ فإنّ الجنّة هي المأوى».

حاسب الله رجلاً مُسرفاً على نفسه موحِّداً، فلم يجد عنده حسنةً، لكنَّه كان يُتاجر في الدنيا، ويتجاوز عن المُعسر، قال الله: نحن أولَى بالكرم منك، تجاوزوا عنه، فأدخله الله الجنة.

﴿ والذي أطمعُ أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ﴾، ﴿ لا تقنطوا من رحمة الله ﴾.

عند مسلم: أن الرسول ﷺ صلَّى بالناس، فقام رجل فقال: أصبتُ حدًّا، فأقِمْه عليَّ، قال: «أصليت معنا؟»، قال: نعم، قال: «اذهب فقد غفر لك».

﴿ ومن يعمل سُوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً ﴾.

هناك لُطفٌ خفيٌّ يكْتنف العبد، مِنْ أمامه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، ومِن فوقه ومن تحت قدميْه، صاحب اللُّطف الخفيِّ هو الله ربُّ العالمين، سَلَّم محمداً ﷺ في الغار، ورحم أهلَ الكهف في الغار، وفرَّج عن الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصَّخْرة في الغار، وأنجَى إبراهيم من النار، وأنجى موسى من الغرق، ونوحاً من الطُّوفان، ويوسف من الجُبِّ، وأيوبَ من المرض.

وقفة

عن أم سلَمَة أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مسلم تُصيبه مصيبةٌ، فيقول ما أمرَه الله: ﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ اللهم أْجُرْني في مصيبتي واخلفْ لي خيراً منها، إلا أخلف الله له خيراً منها».

قال الشاعر:

خليلـيَّ لا واللـه ما مـن مُلِمَّةٍ ... تـدومُ علـى حـيٍّ وانْ هـيَ جلَّت
فإنْ نزلـتْ يومـاً فلا تخضعنْ لها ... ولا تُكثر الشَّـكوى إذا النَّعـلُ زلَّتِ
فكـم من كريمٍ قـد بُلـيَ بنوائبٍ ... فصـابرَها حتى مضتْ واضمحلَّتِ
وكانت علـى الأيام نفسـي عزيزةً ... فلمَّا رأتْ صـبري على الذُّلِّ ذلَّتِ

وقال آخر:

يضـيقُ صـدري بغمٍّ عند حادثـةٍ ... وربَّما خيـرَ لـي فـي الغمِّ أحيانا
ورُبَّ يـوم يكسـونَ الغـمُّ أوَّلـهُ ... وعنـد آخـره رَوْحـاً وريحـانا
ما ضـاقتْ ذرْعـاً بغـمٍّ عند نائبةٍ ... إلاَّ ولـي فـرجٌ قد حـلَّ أوْ حانا

الأفعالُ الجميلة طريقُ السعادة

رأيتُ في أوّل ديوان حاتم الطّائي كلمةً جميلة له، يقول فيها: إذا كان تَرك الشّرّ يكفيك، فدَعْهُ.

ومعناه: إذا كان يَسَع السُّكوتُ عن الشّرّ واجتنابُه، فحسبه بذلك «فأعرِض عنهُم»، «ودعْ أذاهُم».

محبّة الخير للناس موهبةٌ ربّانيّة، وعطاءٌ مبارك من الفتّاح العليم.

يقول ابن عباس متحدّثاً بنعمة الله عز وجل: ليَّ ثلاثُ خصال: ما نزل غيثٌ بأرض، إلاّ حمدتُ الله وسُررت بذلك، وليس لي فيها شاةٌ ولا بعير. ولا سمعتُ بقاضٍ عادل، إلاّ دعوتُ الله له، وليس عنده لي قضيّة، ولا عَرَفتُ آيةً من كتاب الله، إلاّ وددتُ أن الناس يعرفون منها ما أعرف.

إنه حُبُّ الخير للناس، وإشاعة الفضيلة بينهم، وسلامة الصدر لهم، والنُّصْح كلَّ النصح للخليقة.

يقول الشاعر:

فلا نزلتْ عليَّ ولا بأرضي ... سحائبُ ليس تنتظمُ البلادا

المعنى: إذا لم تكن الغمامة عامَّةً، والغَيْثُ عامًّا في الناس، فلا أريدها أن تكون خاصَّةً بي، فلستُ أنانيًّا ﴿الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله﴾.

ألا يُشجيك قول حاتم، وهو يتحدَّث عن رُوحه الفيَّاضة، وعن خلقه الجمّ:

أما والذي لا يعلمُ الغيب غيرُهُ ... ويُحيي العظام البيض وهي رميمُ

لقد كنتُ أطوي البطن والزادُ يشتهى ... مخافةَ يومٍ أن يُقالَ لئيمُ

العِلْم النافع والعلم الضارّ

لِيَهْنِكَ العِلْمُ إذا دلَّك على الله. ﴿وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث﴾. إن هناك علمًا إيمانيًّا، وعلمًا كافرًا. يقول سبحانه وتعالى عن أعدائه: ﴿يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾. ويقول عنهم: ﴿بل ادارك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون﴾. ويقول عنهم: ﴿ذلك مبلغهم من العلم ...﴾.

ويقول جلّ وعلا: ﴿ واتلُ عليهم نبأ الذي آتيناهُ آياتنا فانسلخ منها فأتبعهُ الشيطانُ فكان من الغاوين ﴿١٧٥﴾ ولو شئنا لرفعناهُ بها ولكنهُ أخلد إلى الأرض واتبع هواهُ فمثلهُ كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركهُ يلهث ذلك مثلُ القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ﴾. وقال سبحانه وتعالى عن اليهود وعن علمهم: ﴿ كمثل الحمار يحملُ أسفارا ﴾: إنه علمٌ لكنه لا يهدي. وبرهان لا يشفي. وحجّة ليست قاطعة ولا فالجة. ونقل ليس بصادق. وكلامٌ ليس بحق. ودلالة ولكنّ إلى الانحراف. وتوجُّه ولكن إلى غيّ. فكيف يجد أصحاب هذا العلم السعادة. وهم أوّل من يسحقها بأقدامهم: ﴿ فاستحبوا العمى على الهدى ﴾. ﴿ وقولهم قلوبنا غلفٌ بل طبع اللهُ عليها بكفرهم ﴾.

رأيت مئات الألوف من الكتب الهائلة المذهلة في مكتبة الكونجرس بواشنطن. في كلّ فنّ. وفي كلّ تخصّص. عن كل جيل وشعب وأمّة وحضارة وثقافة. ولكنّ الامة التي تحتضن هذه المكتبة العظمى. أمّة كافرة بربّها. إنها لا تعلم إلا العالم المنظورَ المشهود. وأمّا ما وراء ذلك فلا سمع ولا بصر ولا قلب ولا وعي ﴿ وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء ﴾.

إن الروض أخضر. ولكنّ العنز مريضةٌ. وإن التّمر متفزيّ. ولكنّ البُخل مستوزيّ. وإن الماء عذب زُلال. ولكن في الفم مرارة ﴿ كم آتيناهم من آية بينة ﴾. ﴿ وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين ﴾.

أكثِر من الاطّلاع والتأمُّل

إن ممّا يشرح الصدر: كثرة المعرفة، وغزارةُ المادّة العلميّة، واتّساع الثقافة، وعُمق الفكر، وبُعد النّظرة، وأصالة الفهم، والغوّص على الدليل، ومعرفة سرّ المسألة، وإدراكُ مقاصد الأمور، واكتشافُ حقائق الأشياء ﴿ إنّما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ ، ﴿ بل كذّبوا بما لم يُحيطوا بعلمه ﴾ . إن العالِم رحْب الصدر، واسع البال، مطمئنّ النفْس، منشرح الخاطر.

يزيدُ بكثْـرة الإنفـاق منـه ... وينقـصُ إنْ بـخـل كفّـاً شـددْتا

يقول أحد مفكّري الغرب: لي ملفٌّ كبير في درج مكتبي، مكتوبٌ عليه: حماقات ارتكبتُها، أكتبه لكلّ سبعْات وتوافه وعثرات أزاولها في يومي وليلتي، لأتخلّص منها.

قلت: سَبَقَك علماءُ سلفِ هذه الأمّة بالمحاسَبة الدقيقة والتّنقيب المُضني لأنفسهم ﴿ ولا أقسمُ بالنفس اللوامة ﴾.

قال الحسن البصري: المسلم لنفسه أشدُّ مُحاسَبةً من الشريك لشريكه.

وكان الربيع بن خُثَيم يكتُب كلامه من الجمعة إلى الجمعة، فإن وَجَد حسنةً حَمِدَ الله، وإن وَجَد سيّئةً استغفر.

وقال أحد السلف: لي ذنبٌ من أربعين سنة. وأنا أسأل الله أن يغفره لي. ولا زلت أئنُّ في طلب المغفرة ﴿والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة﴾.

حاسب نفسك

احتفظ بمذكرة لديك، لتُحاسب بها نفسك، وتذكر فيها السلبيَّات الملازمة لك، وتبدأ بذكر التقدُّم في معالجتها.

قال عمر: حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسَبوا، وزِنُوها قبل أن تُوزَنوا، وتزيَّنوا للعرض الأكبر.

ثلاثة أخطاء تتكرَّر في حياتنا اليومية:

الأول: ضياع الوقت.

الثاني: التكلُّم فيما لا يعني: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه».

الثالث: الاهتمام بتوافه الأمور، كسماع تخويفات المُرجفين، وتوقُّعات المثبِّطين، وتوهُّمات الموسوسين، كَدَرٌ عاجل، وهمٌّ معجَّل، وهو من عوائق السعادة وراحة البال.

يقول امرؤ القيس:

ألا عمْ صباحاً أيها الطَّلَلُ البالي ... وهل يعمنْ من كان في العُصُر الخالي

وهل يعمنْ إلا سعيدٌ منعَّمٌ ... قليلُ الهموم لا يبيت بأوجال

علّم الرسول ﷺ عمّه العباس دعاء يجمع سعادة الدنيا والآخرة. وهو قوله ﷺ: **اللهم إني أسألك العفو والعافية**.

وهذا جامع مانع شافٍ كافٍ. فيه خير العاجل والآجل.

﴿فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة﴾. ﴿فلا يضلّ ولا يشقى﴾.

خذوا حذركم

من سعادة العبد أخذ الحيطة واستعمال الأسباب، مع التوكّل على الله عزّ وجل. فإن الرسول ﷺ بارز في بعض الغزوات وعليه درع، وهو سيّد المتوكّلين. وقال لأحدهم لما قال له: أعقلها يا رسول الله، أو أتوكّل؟ قال: **اعقلها وتوكّل**.

فالأخذ بالسبب والتوكّل على الله قوام التوحيد. وترك السبب مع التوكّل على الله قدحٌ في الشرع. وأخذ السبب مع ترك التوكّل على الله قدحٌ في التوحيد.

وذكر ابنُ الجوزي في هذا: أن رجلاً قصّ ظفره، فاستفحل عليه فمات. ولم يأخذ بالحيطة.

ورجلٌ دخل على حمارٍ من سردان، فهصر بطنَهُ فمات.

وذكروا عن طه حسين ـ الكاتب المصري ـ أنه قال لسائقه: لا تُسرع حتى نصل مبكّرين.

وهذا معنى مثل: رُبَّ عجلة تُهب ريثا.

قال الشاعر:

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المتعجل الزلل

فالتوقي لا يُعارض القدر، بل هو منه، ومن لُبه ﴿وليتلطف﴾، ﴿تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم﴾.

اكْسِب الناس

ومن سعادة العبد قُدرته على كسْب الناس، واستجلاب محبّتهم وعطفهم قال إبراهيم عليه السلام: ﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾. قال المفسرون: الثناء الحسن. وقال سبحانه وتعالى عن موسى: ﴿وألقيت عليك محبة مني﴾. قال بعضُهم: ما رآك أحد إلا أحبّك.

وفي الحديث الصحيح: «**انتم شهداء الله في الأرض**». والسنة الخلْق أقلام الحقّ.

وصحّ: «**أن جبريل يُنادي في أهل السماء: إن الله يحب فلاناً فأحبّوه. فيُحبّه أهل السماء. ويُوضع له القبول في الأرض**».